مواقف وأحداث أمرية

ترجمة واعداد وتنظيم
سيفي سيفي النعيمي

المقدمة

يحتوي هذا الكتاب، على عدد من القصص القصيرة الرائعة عن حياة مؤسس الديانة البهائية، (حضرة بهاء الله) وشخصيته الفريدة، وعن حياة (حضرة عبد البهاء) مَثَلْ الديانة البهائية الأعلى، وكذلك على العديد من القصص الخاصة بالشهداء والمؤمنين الأوائل، لتقديمها للأجيال الأعزّاء، باعتبارها الرافد الأول والمهم، لإنارة حياة البشرية جمعاء، مدركين تماما، ان اشعاعات هذه القصص التاريخية، هي الفنار العالي، لهداية البشرية الى المحبة والسلام، وهي دليل فريد، يقتدي به كل المؤمنين بالأمر المبارك على مرّ العصور والاجيال.

ولإخراج هذا الكتاب بشكل اوسع - قدر الامكان - أضفنا الى كل ما سبق، قصص واحداث حياة أولئك المؤمنين الابطال الشجعان الذين خطوا بدمائهم تاريخ صدق حقيقة الديانة البهائية، وهي بالتأكيد تشكل حجر زاوية في تنوير الأفكار وزيادة الايمان والاخلاص في ايصال رسالة حضرة بهاء الله الى جميع البشر، والتفاني في خدمة البشرية جمعاء، من كل ملة ومذهب.

الاهـــداء

أقدم هذا العمل المتواضع، هدية الى أفراد عائلتي، والى كل حبيب مؤمن، ناطق باللغة العربية.

واذا ما ورد أي خطأ او تقصير، فأرجو المعذرة، لأن اخراج كتاب بهذا الحجم والشكل، بما شمله، من ترجمة وطباعة وتصحيح وتدقيق ومقارنة واعداد وتنظيم، لهو عمل يحتاج الى أكثر من فرد لإخراجه بشكل جيد. ونظرا لعدم توفر الامكانيات المطلوبة في مثل ظروفنا المحدودة، لذلك خرج الكتاب بهذا الشكل المتواضع، عسى ان يفي بالغرض المطلوب قدر الامكان.

المترجم

<u>ملاحظة</u>

ان كل ما جاء من أحاديث ونصوص عن حضرة بهاء الله وحضرة عبد البهاء وبقية الشخصيات المقدسة، ما هي الا تراجم غير حرفية لما تفضلوا به، وهي تشمل معاني ما تفضلوا به قدر المستطاع.

قصص عن حضرة بهاء الله

الرسالة البيضاء

جاء الرجل الى أرض أقدس أحد اليزديين البسطاء من ايران لأول مرة، ولم يكن قد شاهد أو تشرف سابقا بحضرة بهاء الله، وعندما دخل البيت المبارك وجد العديد من الأحباء جالسين دون تمييز فقال، الله أبهى.. أيكم حضرة بهاء الله؟ حينما سمع حضرته سؤال الرجل نهض فاتحا ذراعيه ليعانقه ورحب به بحرارة ولطف.

أنهى اليزدي بعد أيام زيارته لعكاء وعاد الى ايران.

بعد عدة أشهر وصلت من ايران مجموعة من رسائل الأحباء، فتفضل الجمال المبارك يخاطب خادمه: " افتح رسالة الحبيب اليزدي أولا ".

بحث الخادم عنها بين الرسائل، وعندما فتحها وجدها خالية. فقال متعجبا: مولاي انها رسالة بيضاء! ابتسم الجمال المبارك وتفضل: " ان لغة القلوب لا تحتاج الى خطوط وكتابة ". ثم انزل لوحا لصديقه اليزدي ملأها بالرحمة والبركة جوابا لرسالته البيضاء.

انتبـه

حكى السيد طاهر مالميري احدى تجاربه عندما كان في زيارة أرض أقدس في زمن حضرة بهاء الله قال: "كنت في عكاء متشرفا بالمحضر المبارك حينما أمرني بالجلوس وأشار لسكرتيره، بتقديم الشاي لي. تقدم الخادم مني وهو يحمل كوب الشاي، فرفعت عيني ويدي لاستلامه، فجأة ونتيجة لهذه الحركة وقعت عيناي على محيا جمال القدم واذا بي أتوه في عالم الخيال، وانتابني احساس لم أشعر به أبدا، كان مزيج من السعادة والفرح الروحاني الذي لا يوصف. وفقدت احساسي بالوقت ولم أشعر بشيء الا عند سماعي صوته المبارك وهو يقول: " لقد دلقت الشاي على ملابسك، عليك بالمحافظة والاعتناء بها حتى وصولك ايران لأنك ستحتاجها كثيرا. انتبهت لنفسي، فاذا الكوب ينقلب في حجري والصحن ما يزال في يدي وملابسي قد ابتلت بالشاي ولم أشعر بحرارته. كما انني لم أدرك معنى كلامه ماشارته بخصوص ملابسي ومحافظتي عليها وأنا أمتلك الكثيرمنها.

في طريق عودتي الى ايران هاجمني قطاع الطرق وسلبوني كل شيء ولم يتركوا معي سوى الملابس لأعود بها الى ايران. حينها فهمت ما كان يعنيه.

المتسلل الصغير

قال أحد المؤمنين يروي ذكريات طفولته:

في الرابعة أو الخامسة من عمري كنت أذهب وعائلتي بصحبة العائلة المباركة الى قصر البهجة في كل يوم جمعة، للتشرف بالجمال المبارك. كان الحر شديدا في ذات يوم، ونام جميع من في البيت بعد الغداء. لم أستطع النوم فخرجت من الغرفة متسللا الى الدور العلوي ومررت أمام أحد أبواب الغرف العلوية، كانت غرفة المؤونة، فدخلتها متجها صوب مخزن القند والسكر، ملأت يدي ودسستها في فمي.. تلفت يسارا ويمينا للتأكد من وحدتي، ثم غرفت بكلتا يدي مرة ثانية، واستدرت للخروج بعدها، واذا بالجمال المبارك واقفا أمامي وسط الباب، ارتبكت ولم أعرف ماذا أفعل، كنت خائفا ولم أستطع الحركة. تقدم نحوي بهدوء ولطف، وقادني بحركة أبوية حنونة لوسط الغرفة. كانت هنالك علبة حلوى على احدى الطاولات، تناولها وقدم لي بعض

منها، أخذت قليلا وأنا مسرور. تفضل: " الواضح انك تحب الحلوى.. متع نفسك ". انني أتذكر هذه القصة كلما أحتاج الى السكر.

اشارة حازمة

ذكر طباخ حضرة بهاء الله حسين آشجي، حادثة شاهدها بنفسه داخل عكاء، في أول أيام ورود جمال القدم لها، قال: كان مطبخي يقع في مقابلة غرفة حضرة بهاء الله، لذلك كان باستطاعتي رؤية وسماع كل ما يدور هناك.

وافق حضرة بهاء الله على مقابلة مفتي مدينة عكاء، الشيخ علي ميري نتيجة لطلب حضرة عبد البهاء، فجاء يحمل يحمل عدة أسئلة يريد لها جوابا. اصطحب حضرة المولى المفتي الى المحضر المبارك، وأشار له بالجلوس على أحد الكراسي، ثم وقف هو عند باب الغلرفة بمنتهى الخضوع والخشوع. بعد أن سأل المفتي بعض الأسئلة. شرع لسان العظمة بالكلام. وبينما هو كذلك، تحرك المفتي قليلا يريد المقاطعة ليقول شيئا. لكن أشارحضرة المولى له بالتزام الصمت، وعدم مقاطعة البيان المبارك كانت حازمة. شعر المفتي بالانزعاج وهو يغادر المكان بصحبة حضرة المولى نحو بوابة السجن، وان كرامته قد جرحت. فلقد كان رجل يحترمه جميع سكان المدينة، وغالبا ما يقبلوا يديه وهو يسير في شوارعها، دليل على احترامهم الشديد له.

لم يمض وقت طويل حتى أدرك المفتي أنه لم يكن سوى قطرة أمام بحر علوم حضرة المولى. فاعتاد زيارته وطلب مشورته. وغالبا ما شوهد وهو يسير خلف حضرة المولى تاركا بينهما عدة خطوات دليل الاحترام.

وازداد كذلك تعلق المفتي بحضرة بهاء الله كثيرا. وقال ذات مرة أنه كلما وقف للصلاة، كان جلال هيكل جمال القدم يظهر أمامه.

محبة

كان هنالك شابان يحملان نفس الاسم "محمد". قال أحدهما للآخر: ان الجمال المبارك سجين داخل أسوار عكاء، ولا يستطيع الخروج لرؤية الريف، وهو بعيد عن الخضرة والطبيعة. فلماذا لا نقوم بنقل الخضرة اليه؟ استحسن الصديق الفكرة وشرعا بتنفيذها على الفور، فحمل كل واحد منهما شتلتين من ورد النرجس المفضل لدى الجمال المبارك. وتركا ايران قاصدين فلسطين. رغم طول الطريق وبعد المسافة، أصر الشابان على تجاوز كل العقبات والصعاب. وعندما كانا يردان عيون وجداول الماء يقومان بسقي شتلاتهما أولا قبل أن يشربا هما، خوفا عليها من الموت عطشا. ويوما بعد يوم، بدأت شتلات الورد تنمو وتكبر، لقد مضت شهور عديدة على سفرهما الطويل، حتى ظهرت عليها أخيرا براعم وأوراد ذات رائحة زكية. وبعد طول سفر لاحت لهما من بعيد منظر مدينة عكاء، وتسارعت واشتدت ضربات قلبيهما، ففكرة التشرف بدأت تتبلور أمام عينيهما، مما أبعد عنهما كل احساس بالتعب والارهاق، وظهرت عليهما آثار القلق والاستفسار، كيف هي صحة الجمال المبارك؟ هل سيعجبه الورد؟ هل سيرضى بهذه الهدية المتواضعة؟ ماذا سيقول لنا؟ وأخذا يسرعان الخطى شوقا لمعرفة الاجابة. كان منظرهما جميلا وهما يحملان شتلات الورد بين أيديهما ويطوفان شوارع عكا وأزقتها. ودنت لحظات اللقاء التي بقيا يحلمان بها طويلا، ولم يستيقضا منها الا وهما في المحضر المبارك كانا يبكيان بحرقة عندما قدما زهورهما لحضرته ويقولان: "جعلنا فداك". عانق الجمال المبارك هذين الشابين عنوان الصبر والمحبة والاخلاص ورضي واستحسن هديتهما بمحبة وامتنان بعدما شاهد تلك الأزهار البيضاء الجميلة بجانبه وهو في مدينة السجن.

درويش محمد

مر الجمال المبارك ذات يوم باحدى قرى جبل سركلو في منطقة كردستان قرب مدينة السليمانية شمال العراق، فشاهد ولدا صغيرا جالسا على صخرة يبكي بشدة، اقترب منه ملاطفا، وسأله مستفسرا عن سبب بكائه. أجابه الطفل سيدي ان أستاذي قد عاقبني بسبب رداءة خطي، وبما انني لا أملك نموذجا للخط استنسخ منه، لذلك فانني لا أعرف أحسن خطي حسب طلب معلمي، لهذا لا أجرء الذهاب الى المدرسة خوفا من تكرار العقاب. تفضل حضرته بطريقته الأبوية الجميلة قائلا:" لا تبك سأعلمك كيف تحسن خطك وتجعله جميلا. بعد أن خط حضرته عدة مخطوطات، فرح الولد بهذه المساعدة، واستنسخ منها باعتناء. وحينما قدمها للمعلم، استغرب بشدة لجمال الخط ومعنى الكلمات. انتبه المعلم لفحوى معاني وكلمات المخطوطات الفريدة النادرة وشكلها واستفسر من التلميذ عن مصدرها، فأجابه بأن الدرويش محمد الايراني الساكن في أحد كهوف جبل سركلو، قد خطها له. ومن يومها بدأت تنتشر في تلك المناطق حكايات وأحاديث وقصص عن وجود رجل على هيئة درويش يسكن الجبال ربما يكون رسولا أو نبيا أو اماما. وأصبح سكان تلك المناطق يحترمون حضرته أشد الاحترام ويواظبون على زيارته، ووصلت شهرته الى مناطق بعيدة.

لـوح مبارك

قال حاج طاهر مالميري يروي حكاية حصلت له في عكاء سنة 1878م. سألت كاتب وحي حضرة بهاء الله،، أقا جان في أحد الأيام، أن ينقل طلبي المتواضع الى حضرة بهاء الله، عن رغبتي في الحصول على لوح بخط يده المباركة، وان لم يكن كاملا فبضع كلمات، لأني سمعت احدى نصائح حضرة الأعلى تقول: أي بابي يدرك زمان من يظهره الله، عليه المحاولة قدر الامكان في الحصول على لوح أو سطر أو حتى كلمة واحدة بخط يده المباركة، ففيها بركة غير محدودة.

رفض أقا جان نقل رغبتي، وقال: نادرا ما يمسك حضرة بهاء الله القلم بنفسه ويكتب منذ أيام أدرنة..

شعرت بخيبة أمل ومرارة كبيرة، ولم أكرر طلبي مرة أخرى.

حدث في اليوم التالي ان كنت متشرف بالمحضر المبارك، وأول بشارة كانت لي من فمه المبارك حينما تفضل انه قد كتب لي لوحا بخط يده، وسف أستلمه لاحقا. لم أستطع وصف سعادتي تلك اللحظات.

مضت عدة أيام، استلم خلالها أقا جان أسماء مجموعة من الأحباب يطلبون فيها ألواحا بأسمائهم. كانت الرسائل قادمة من مدينة يزد. وعندما كنت في المحضر المبارك بعد عدة أيام سمعته يتفضل: " ان ألواحا عديدة نزلت بأسماء جميع المذكورين في القائمة، ولكنها سوف ترسل لاحقا الى مدينة يزد وفي الوقت المناسب لتصل بسلام ". وبما انني كنت أعتزم السفر الى ايران قريبا، فاعتقدت بأنني مستلم اللوح لا محالة عند وصول الألواح الى هناك. فسأكون قد سبقتها في الوصول. لكنه عندما وصلت الألواح وتم توزيعها، سرعان ما اكتشفت خطأي اذ لم يكن لوحي موجودا بينها. مضت مدة طويلة بعد ذلك، ومرة أخرى، استلمت تأكيدا من حضرة الجمال المبارك متفضلا ان اللوح المذكور سوف استلمه في يزد، وبعث لي أيضا تحية وسلام.

مرت سنين أخرى. وبدأت الاضطرابات خلالها تسود مدينة يزد. فقررت على أثرها ترك المدينة، وأعددت كل شيء للرحيل خلال منتصف الليل، وبينما كنت أهم بركوب حماري، رأيت احدى المؤمنات مقبلة نحوي، كان اسمها " بيبي صاحب "، وعندما دنت مني رفعت يدها لتسلمني كتابا!

سألتها: ما هذا؟

قالت: انه لك.
تفحصته، فاذا به لوح باسمي، انه بخط جمال القدم شخصيا! ولكني استغربت من شيء عجيب. فهذا اللوح مكتوب منذ مدة طويلة، وهذا واضح من نوعية الورق والحبر. انه قديم، فقد كتب منذ زمن بعيد. سألتها: كيف ومتى وصل هذا اللوح اليك؟
قالت: عاد ذات يوم السيد رضا الروح من بغداد حيث كان يقيم حضرة بهاء الله، قبل أربع وعشرين سنة، وسلمني هذا اللوح حسب تعليمات جمال القدم نفسه. ثم قال لي ان صاحبه سيأتي لاستلامه في المستقبل وليس الآن، فخبئيه واحتفظي به جيدا. وها قد مضى على استشهاد رضا الروح اثنا عشر عاما. وأشعر الآن، انه من الأفضل أن تستسلم لوحك، وها هو ذا أسلمه بيدك. يتفضل حضرة عبد البهاء مؤكدا ومعلقا على هذه الحادثة: " ان هذا اللوح كتب في بغداد باسم حاجي طاهر ". ويقول مالميري ان هذا اللوح كتب قبل طلبي بأكثر من عشرين سنة، لأني مولود في سنة 1852م!

الشيخ محمود

الشيخ محمود، عالم مسلم عربي، من عائلة معروفة في مدينة عكاء، وكان مثالا لأولئك الذين ملكوا مشاعرا وأحاسيس روحانية، واستطاعوا بفطرتهم السليمة، معرفة مقام حضرة بهاء الله بدون الاتصال او التقرب من البهائيين، وقت وصول حضرة بهاء الله اليها منفيا.
كان الشيخ محمود في حوالي العاشرة من عمره، حينما أخبره شيخ كبير ورجل دين محترم وصديقا لأبيه، يدعى (ابو محمود) وبحضور والده، انه شاهد في منامه، ان القائم الموعود، سيأتي الى عكاء، وسيتكلم اللغة الفارسية، وسيسكن في غرفة عالية، فوق أعلى سلم طويل. وقال الشيخ مخاطبا الولد: ستكون في ذلك اليوم، رجلا ناضجا. وأرجوك ان تنتظر وتتذكر هذا الحديث آنذاك، ولا تنساه.
مضت السنين، وترعرع الفتى، وصار رجلا قويا متعلما تقيا محترما، من قبل أهالي المدينة، وعرف بين الجميع، باسم الشيخ محمود. لكنه، نادرا ما كان يتذكّر تلك الرؤيا او يفكر بها، بل انه نسيها تماما.
عندما جاء حضرة بهاء الله، الى عكاء، لم يخطر ببال الشيخ محمود، ان حضرته، هو نفس الرجل الذي اخبره عنه ذلك الشيخ الكبير، قبل سنين عديدة. بل على العكس، استاء جداً، من تصرف الحكومة العثمانية، لإرسالها مثل هذا السجين الى مدينته، خاصة وان السلطات، قد وصفت حضرة بهاء الله، بـ (الرجل الشرير) و (رب الايرانيين).
بقي الشيخ محمود، هائجاً لبعض الوقت، يريد تخليص مدينته، من هذا الدخيل الغريب. ومن الجدير بالذكر، انه بعد فترة قصيرة من سجن حضرة بهاء الله، في القلعة العسكرية، خفّفت السلطات قيودها الشديدة الظالمة عن حضرته. فمثلا، سمحوا لمجموعة صغيرة من اتباعه السجناء، بزيارة المدينة يوميا للتسوّق، وذهب حضرة عبد البهاء، بنفسه مراراً للسوق معهم. وبهذه الطريقة، تعرّف أهل المدينة، على شخصيته الجذابة، وأثرت فيهم، وأحبوه واحترموه، فراحوا يتساهلون في تعاملهم مع السجناء. كما خفّف الشيخ محمود، من عدائه تجاه حضرة عبد البهاء. ولكنه، وكرجل دين، لم يتغير تجاه وجود مجموعة المنفيين، ممن يعتبرهم كفرة ملحدين. لذلك قرر، وضع حد لكل هذا بنفسه.
فخبأ ذات يوم، سلاحا تحت عباءته، وذهب مباشرة الى القلعة، بنية اغتيال حضرة بهاء الله، باعتباره الشخصية الرئيسية بين المنفيين. وأخبر الحرس على بوابة السجن، انه يريد لقاء حضرة بهاء الله، لكنه، لم يفصح عن السبب الحقيقي للزيارة. ولأنه رجل

ذا مكانة محترمة بين أهالي عكاء، لم يعترض الحرس على نقل طلبه الى حضرة بهاء الله. فتفضل حضرته، مخاطبا الرسول: (قل له.. ان يتخلص من سلاحه، ويأتي).

تعجب الشيخ محمود كثيرا، لسماعه مثل هذا الجواب. فلقد كان متأكداً جداً، من ان أحداً، لم ير سلاحه مخبئاً تحت عباءته. فعاد أدراجه الى بيته، وهو بحالة شديدة من الاستغراب والتعجب.

الا ان فكره المضطرب، لم يهنأ. وبقي في حالة من القلق والاضطراب، فترة من الزمن. حتى قرر العودة الى القلعة مرة ثانية، ولكن بدون سلاح هذه المرة، لثقته بقوة جسمه، واستطاعته قتل حضرة بهاء الله، بيديه العاريتين. لذلك جهّز نفسه، وذهب الى السجن مرة ثانية، وتقدم للحرس بنفس الطلب السابق. الا ان حضرة بهاء الله، تفضل، قائلا: (ليصفّي قلبه أولا، ثم يدخل). فإرتبك الشيخ محمود من جديد، واحتار من شدة وقع الجواب، وعاد الى بيته، مضطربا أكثر من المرة السابقة.

ذات ليلة، شاهد الشيخ محمود في منامه، والده ومعه الشيخ المسن، وهما يذكّرانه بالرؤيا الخاصة بالموعود. وهنا تذكر الشيخ محمود الوصية. فذهب الى القلعة، ودخل محضر حضرة عبد البهاء، ودار بينهما حديث روحاني لطيف، طهّر قلب الشيخ، من الظنونات والوساوس التي شغلت تفكيره. وأكد لحضرة عبد البهاء، على ضرورة تشرّفه بالمحضر المبارك. وحال دخوله، محضر حضرة بهاء الله، وجد ان عظمة وجلال محيّا حضرة بهاء الله، سيطرت على كل كيانه وعقله وروحه، وشاهد بأم عيناه، تحقق رؤيا وصول الموعود الى عكاء. فألقى بنفسه على قدميه، وأصبح مؤمنا راسخا.

بعد معرفة الشيخ محمود، لمقام حضرة بهاء الله، نهض لخدمته وخدمة أمره المبارك، ولعب دورا مهما في مساعدة الاحباء على دخول المدينة وايوائهم واخفائهم، ليتمكنوا من زيارة الى المحضر المبارك، حيث كانت القيود ما تزال شديدة على السجناء، ولا يسمح لأحد بزيارتهم او لقائهم. فكان في بعض الحالات يأمر برمي الحبال، من فوق أسوار المدينة العالية، حتى يتمكن مع مجموعة من رفاقه وخَدَمِهِ، من رفع الزوار البهائيين الى داخلها. وفي أخرى، يغادر الشيخ محمود، المدينة في وقت النهار، ويعود اليها ليلا بصحبة مؤمن زائر، يحمل بيده فانوسا، ويمشي أمامه كخادمه او تابعه. وبعد اتمام الزيارة وتشرف الزائر، يساعده مرة ثانية في ترك المدينة بنفس الطريقة.

أحب حضرة عبد البهاء، الشيخ محمود الذي خدم الأمر المبارك، باخلاص حتى نهاية حياته.

أما الشيخ محمود، فقد ترك للأجيال، كتاباً قيماً، جمع فيه غالبية الاحاديث الشريفة، للرسول الكريم(ص)، الخاصة بمستقبل مدينة عكاء الرائع.

جناب ورقاء

في زيارته للأرض الأقدس، أول مرة سنة 1878-1879، نجذب جناب ورقاء تماما، لقوى وحي حضرة بهاء الله الشديدة. من ساعتها، خُلق هذا الرجل، خَلقا جديدا، وأصبح من عمالقة هذا العصر الروحانيين.

عندما وقعت عينا ورقاء، لأول مرة، على وجه محبوبه، حضرة بهاء الله، استغرب واندهش كثيرا، واعتقد انه قد شاهده سابقا، في مكان او زمان ما. لكنه لم يستطع تذكر المناسبة او المكان. وبقي متحيرا يحاول التذكر، الا انه كان يفشل في كل مرة، رغم زياراته المتكررة لمحضر مولاه.

وذات مرة، تفضل حضرة بهاء الله، وفاجأ جناب ورقاء، قائلا: (ورقاء.. احرق أصنام أفكارك البالية!)

بسماع جناب ورقاء هذه الكلمات، استرجع على الفور، حلما كان قد رآه في وقت الطفولة، قبل سنين عديدة. فقد شاهد في منامه، ذات ليلة، وهو طفل، انه كان

يلهو بألعابه داخل حديقة، فإذا بالله سبحانه وتعالى يأتي اليه بنفسه، ويأخذ ألعابه منه، ويحرقها في النار.

في اليوم التالي، قصَّ الطفل ورقاء، حلمه لوالديه. فتعجبا كثيرا، وقالا له: لايمكن لأحد، رؤية الله سبحانه وتعالى.

مع مرور الايام والسنين، نسي ورقاء حلمه تماما. حتى جاء ذلك اليوم، الذي تفضل فيه حضرة بهاء الله، تلك الجملة التي ذكّرته مرة ثانية بالحلم القديم. عندها، عادت الرؤيا الى ذاكرته، وأدرك انه سبق وان شاهد حضرة بهاء الله، في منامه عندما كان طفلا.

بقي جناب ورقاء، يتذكر ويفكر في نفسه، عن تفسير ما شاهده في منامه، ويزداد حيرة واندهاشا يوما بعد يوم.

وفي احدى المناسبات، واثناء التشرف بالمحضر المبارك لحضرة بهاء الله، خطرت على بال ورقاء فكرة طارئة، عندما كان ينظر الى محيّا حضرة بهاء الله، بعشق ووله، وقال في نفسه: أنا أعلم انه مظهراً إلهياً. الا انني أتمنى ان يعطيني علامة، تزيدني يقيناً بهذا الخصوص. وفي نفس اللحظة، ايضا، خطرت في فكره الآية القرآنية، (وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج (22\5). وتمنى ورقاء، في قلبه، في تلك اللحظة بالضبط، لو ان حضرة بهاء الله، يعيد ذكر هذه الآية، ليحقق له أمنيته، ويزيده ثباتاً وايقاناً.

بعد مضي بعض الوقت، وخلال حديث حضرة بهاء الله، اذا به يذكر نفس الآية القرآنية. فتسائل ورقاء، في نفسه متعجباً، وقال: هل هذه مجرد صدفة؟

وحالما خطر هذا التساؤل في رأسه. التفت اليه حضرة بهاء الله، فجأة. وتفضل: ألا يكفي هذا برهاناً لك؟ فصعق ورقاء وإهتز، وتأكد في قلبه، من حقيقة كلمات حضرته التي تقول: يا أيها الغافلين! لاتعتقدوا ان اسرار القلوب مخفيّة علينا، فاعلموا انها مكشوفة وظاهرة لنا. (الكلمات المكنونة.(59).

ليس من الحق بشيء، ان يمتحن العبد ربه، بل ان الحق هو، ان الله هو الذي يمتحن عباده.

ان حضرة بهاء الله، نادرا ما يستجيب لمن يطالبونه بمعجزات. لكنه غالبا ما ينزل رحمته وقوته الواسعة، لمن يعترفون به، لتقوية ايمانهم. ومن خلال هذه التجربة، وأخريات كثيرة غيرها، وصل ورقاء الى الايقان والثبات. وأُخِذَ الى العوالم الروحانية البعيدة، بحيث لم يكن لهذه الدنيا عنده، أية قيمة فيما بعد. وذات مرة، توسل لحضرة بهاء الله، قبول فداء حياته في سبيل الله. وهذا ما حصل.

لوح أنت الشافي

ميرزا جعفر يزدي، عالم ورجل دين كبير، آمن وتشرف بلقاء حضرة جمال القدم في بغداد، فترك مركزه الرفيع وخلع عنه ملابس رجال الدين، وبدل عمامته بغطاء رأس متواضع، وامتهن النجارة لكسب قوته. كان ناكرا لذاته رغم علمه ومعرفته وخدم العائلة المباركة في بغداد لبعض الوقت. وخدم الموكب المبارك وهو في طريقه الى استنبول بكل وسيلة ممكنة. وكان كلما وقف الموكب للراحة يخرج بصحبة حضرة عبد البهاء يطوفان الانحاء المجاورة بحثا عن علف للخيل والبغال. لقد كانا يغيبان لساعات طويلة وأحيانا لا يرجعان الا في ساعات الصباح الأولى ثم خدم حضرة جمال القدم في أدرنة أيضا، ونفي معه للسجن الأعظم، ولم يكن السجن بالنسبة له حديقة مليئة بالأزهار وزنزانته الضيقة كانت واسعة بالنسبة له.

يتفضل حضرة عبد البهاء: " سقط ميرزا جعفر في فلسطين طريح الفراش نتيجة مجموعة الأمراض، ثم ساءت حالته جدا، وأصيب بمضاعفات كبيرة، ويأس

الطبيب منه نتيجة لذلك، ولم يعد يزوره، فالأدوية لم تجدي معه، من الواضح جدا أن الرجل كان يعيش لحظاته الأخيرة.. وفي النهاية لفظ الرجل أنفاسه الأخيرة ومات.

هرع ميرزا آقا جان مسرعا الى حضرة بهاء الله نبأ وفاة ميرزا جعفر.

فتفضل جمال القدم: " اذهب الى قربه، ورتل لوح أنت الشافي وستعود له الحياة سريعا، وسيرجع كما كان من قبل ". عندما عاد آقا جان الى ميرزا جعفر، كانت عائلته تنوح وتبكي قرب سريره، فلقد توقف جسده عن التنفس وخمد تماما، وأصبح باردا وعلامات الموت واضحة عليه. وتنفيذا لأوامر حضرة بهاء الله جلس آقا جان قرب رأس المتوفي وبدأ بترتيل اللوح. فاذا بذلك الجسد الخامد يتحرك قليلا فقليلا. تحركت أطرافه أولا ثم بدأت تعود له الحرارة ثم اللون.. ولم تمض ساعة حتى استطاع المتوفي رفع رأسه ليجلس معتدلا. وبدأ بالقاء الطرائف والنكات والضحك. وعاش بعدها طويلا مشغولا بخدمة الأصحاب.

ابريق الماء

ذكر السيد طاهر مالميري أنه كانت من عادة ميرزا جعفر أحد خدم البيت المبارك، عندما كان حضرة جمال القدم يسكن قصر المزرعة، أن يترك ابريق ماء له في الطابق العلوي خارج غرفته كل ليلة، لاحتمال حاجته لذلك أثناء الليل وكان للقصر شرفة كبيرة غير مسورة يستعملها حضرة الجمال المبارك للحركة في كثير من الأحيان.

في ذات ليلة مظلمة وبعد أربع ساعات من الغروب تقريبا، حمل ميرزا جعفر كعادته ابريق الماء للطابق العلوي متجها للغرفة المباركة، ونتيجة للظلام الدامس وخطأ في التقدير سقط مع ابريقه من أعلى السقف الى الحديقة السفلية في قسمها المهجور، لم يكن قد استعمل هذا القسم من الحديقة بعد، وحيث أنه سقط ولم يتحرك أو يصدر صوتا، لذلك لم ينتبه له أحد، وبقي ممدا على الأرض واريقه مقلوب بجانبه حتى اليوم التالي. وفي الصباح انتبه لغيلبه الأصحاب فبحثوا عنه كثيرا ولما لم يعثروا له على أثر، قام بعضهم باداء أعماله وواجباته نيابة عنه.

بعد ثلاث ساعات من شروق شمس ذلك الصباح، ظهر حضرو جمال القدم في شرفته كعادته وتوجه فورا نحو مكان سقوط الرجل، ثم نادى باسمه "ميرزا جعفر" وعلى الفور نعض ميرزا جعفر من مكانه، والتقط اربيقه الخالي. وخرج من الحديقة وهو بصحة جيدة. وكلما سأل ميرزا جعفر عن الحادث يقول: لا أدري، فقدت شعوري واحساسي منذ سقوطي ولم أشعر بشيء، الى أن نادى حضرو جمال القدم اسمي فانتبهت ثانية.

ليلـة بكل العصور

سكن الحاج طاهر مالميري، في عكاء، اثناء فترة مكوثه هناك للحج، في غرفة، تقع بجانب غرفة نبيل أعظم، بجوار السوق الابيض. واعتاد هذين الصديقين العملاقين، تقاسم غرفتيهما المطلتين على الشارع، الذي يمر منه حضرة بهاء الله، وهو في طريقه الى قصر (البهجة).

ذكر الحاج طاهر مالميري في مذكراته، حادثة مثيرة حصلت في تلك الأثناء، ارتبطت بزمن وصول حضرة بهاء الله الى القصر، وتعتبر هذه الحادثة، من أهم الأحداث التي وقعت للحاج مالميري، خلال شهور حجه التسعة، ولأوقات تشرفه بمحضر مولاه. فكتب يقول:

غادر حضرة بهاء الله، في مساء احد الايام، مدينة عكاء قاصداً قصر البهجة، الذي يقع خارجها بعدة أميال، وكان هذا العبد، يعيش مع جناب نبيل أعظم، في غرفتنا التي تقع في الطابق العلوي لخان السوق الابيض. كان للغرفة خمسة شبابيك زجاجية،

تطل على الشارع مباشرة. وغالبا ما كنا نجلس بجانب الشباك، ننظر الى الشارع، ننتظر رؤية جلال بهاء حضرة بهاء الله، وهو يمر من أمامنا.

بعد حوالي ساعتين من المغيب، اذا بنا نرى حضرة بهاء الله، يمر من أمامنا، ممتطيا حماره الابيض الخاص، يتبعه خادم الله، ميرزا أقا جان. بعد مروره بثوان، اقترح عليّ، جناب نبيل، اللحاق به، وتتبعه مشيا على الاقدام، للتشرف بالطواف حول القصرالمبارك، ثم العودة بعدها الى البيت. وعلى الفور، وافقته بحماس على الاقتراح، وبدون تردد، نهضنا لنركض الى الاسفل، ورحنا نمشي بسرعة خلف حضرته، محتفظين بمسافة حوالي خمسين خطوة بيننا وبينه.

باقترابنا من القصر، وجدناه مضاءاً بمصباح نفطي كبير جداً، يمكن رؤية نوره من خارج القصر بوضوح. كان لهذا المصباح ثلاث فتائل، وهو من النوع النادر غير المتوفر في تلك المناطق، وكنت أحب هذا الفانوس كثيراً، لأني جلبته مع جناب محمد خان بلوش الى الأرض الأقدس، وكان قد اشتراه الحاج سيد ميرزا افنان، وأرسله هدية من بومبي، الى حضرة بهاء الله، معنا.

بعد ان دخل حضرته القصر، تقدمنا نحو البناية، للتبرك والطواف حولها، إلا اننا فوجئنا، بسماع أصوات كثيرة مبهمة، تصل أسماعنا من حول البناية، لأشخاص لا نراهم، رغم اننا نعلم جيدا، انه لم يخرج أحد من عكاء، في ذلك المساء، للطواف حول القصر غيرنا، واننا أنفسنا، جئنا بدون اذن مسبق. وعلى كل حال، وبما انه كان لامجال هناك للسير على الممر المحيط بالبيت، فقد تراجعنا، ورحنا نطوف حول القصر، بشكل دائري من مسافة ثلاثين خطوة، مما اضطرنا للمشي في الحقول المبللة، والخوض في الاراضي الموحلة.

وخلال دوراننا حول القصر، كنا نشعر بشكل مؤكد تماما، بوجود حشد من الناس على مقربة منّا، وعلى جوانب البناية الاربعة، الا اننا لم نكن نرى أحدا غيرنا، اخيرا وبعد اتمام الطواف والتبرك، سجدنا قبالة باب القصر، وعدنا أدراجنا الى عكاء، كان المطر غزيرا، وابتلت ملابسنا تماما. وحال وصولنا بوابة عكاء، وجدنا الحرس، وهم على وشك اغلاقها. فالأوامر تقضي، باغلاقها كل ليلة، بعد المغيب بأربع ساعات. وهذا يعني ويؤكد لنا، عدم وجود غيرنا نحن الأثنين خارج المدينة.

بوصولنا الى بيتنا، اقترح نبيل، السهر تلك الليلة، وقال: أنا سأكتب قصيدة، أما أنت، فجهّز لنا الشاي. وهكذا، أعددت الشاي عدة مرات تلك الليلة، بينما جلس هو يؤلف قصيدته. لقد كان شاعراً موهوباً. وعند حلول الصباح، أكمل قصيدته على ورقة كبيرة، وأرسل الى حضرة بهاء الله، نسخة منها، مع علبتي سكر كهدية. كانت غالبية القصيدة، تتحدث عن تاريخ سجن حضرة بهاء الله، ونفيه الى بغداد ثم استنبول فأدرنة واخيرا عكاء، وماعاناه حضرته في قلعتها العسكرية، وعن تأجير حضرة عبد البهاء، قصر عودى خمار، واستعماله سكناً لوالده المبجل. ثم شرح احداث تلك الليلة، عندما ذهب فيها حضرته الى القصر، وكيف تتبعناه، وتفاصيل موضوع الطواف حول القصر. كما شرح بالتفصيل، سهرتنا وكتابته القصيدة واعدادي الشاي.

عند استلام الجمال المبارك قصيدة نبيل، انزل لوحا على شرفه وشرفي، وفيه وافق بلطف على حجّنا لبيته، وأنعم على نبيل لقب (بلبل)، وعليّ بلقب (بهاج).

وفي رواية ثانية، انهما لم يدركا ماذا يجري حول القصر المبارك ولم يفهما حقيقة الموقف حتى بعد عودتهما الى بيتهما. وبعد حوالي خمسة عشر سنة، أنزل حضرة بهاء الله لوحا لأحدهما يخبره فيه عن حقيقة ما جرى في تلك الليلة.

ذكريات تاريخية رائعة

يحكي الحاج ميرزا حبيب الله، بن أقا ميرزا أقا، بن أخت خديجة بكم، زوجة حضرة الأعلى، انه عندما كان في الخامسة عشر من عمره، أورد في مذكراته قصصا لطيفة وجميلة، عن أيام زيارته مع عائلته، للأرض الأقدس. وفيما يلي، نورد بعضا منها:

عندما وصلت سفينتنا الى ميناء حيفاء، كانت فكرة الركوع والسجود، التي تمناها كل الانبياء والمختارين، عند عتبة حضرة بهاء الله، والدخول في محضره المبارك، قد خلقت، رغبة واثارة قويتين في قلوبنا، نقلتنا بدموع تسيح بغزارة على خدودنا، الى عالم آخر. انها البقعة المباركة، التي تدور حولها جميع ارواح المظاهر الإلهية المقدسة، ليلا ونهارا. واستعدادا للموقف الرائع القادم، علّمنا أخي الكبير، آقا سيد آقا، الذي سبق وان تشرف بمحضرحضرة بهاء الله المبارك، كيفية التصرف عند اللقاء، بكامل العبودية والخضوع ونكران الذات. وأتذكر جيدا، ان الشمس، لم تكن قد أشرقت تماما بعد، والهواء كان عليلا منعشاً، عندما اصطحبونا الى خيمته المباركة، المنصوبة على سفح جبل الكرمل... ولقد تحققت رغبتنا الغالية، عندما أزاح دليلنا الستارة جانبا، ووقع بصرنا على قداسة هيكل الجمال المبارك في وسط الغرفة. وكان أقا جان، يجلس على جانبنا الايمن، مقابل (السماور). فأمر حضرته لنا بالشاي، ثم خاطبنا بهذه الكلمات: (مرحبا بكم، يا أوراد حديقة جناب الأفنان. ان رحلتكم من شيراز كانت صعبة جدا. ان ارادة الله، ومساعي جناب الأفنان، مكنتكم من الدخول في هذا المحضر المقدس).

بعدها.. استؤجرت لنا، الدار المجاورة لمنزل حضرته، ومكثنا في جوار هيكله الأنور.

ان التشرف بمحضره المبارك ومقابلة الاصحاب الأوائل، أَنسَتنا كل شيء. ومن المستحيل وصف حلاوة متعتنا الروحانية في تلك الايام.

كان الجو يتحسن في حيفاء وعكاء، فالخريف على الأبواب، والجمال المبارك، قد عاد الى قصر البهجة. وكان بامكاننا مشاهدة غرفة حضرته من هناك، خاصة عند الفجر، عندما ننهض لقراءة الدعاء والمناجاة، فنرى غرفته مضاءة دائما، وحضرته يتمشى ذهابا وإيابا، منزلاً الآيات، وآقا جان، قائم على تدوينها.

في تلك الايام، كان ميرزا يوسف خان وجداني، وسيد أسد الله قمي، يعملان على تدريس الأغصان. فأمر حضرته ثلاثتنا، بدخول الدروس معهم (الحاج ميرزا بزرك، والحاج ميرزا ضياء، وأنا)، كما علّمنا جناب مشكين قلم، أصول الكتابة والخط، وخصصت لنا، اضافة الى ذلك، غرفة ارضية في القصر للدراسة.

ذات يوم، وقبل الشروق، ابلغنا أحد خدام حضرة بهاء الله، ان حضرته قادم لتشريف بيتنا. بسماعنا هذا النبأ، انهمرت دموع الفرح من عيوننا، واسرعنا بسرور لامتناهي نحوه، رأيناه قادما لبيتنا، بكل العظمة والبهاء. فسجدنا له، وقبلنا قدميه. فأنزل على كل واحد منا بركاته. ثم دخل بيتنا، ووهبنا شرفاً لاحدود له. فقدّمتُ له، كوبا من الشاي، شرب نصفه واعطاني الباقي. كما أعطاني وردة كانت بيده. فقبّلت يده.

في الحقيقة، اني أحب تلك الزهرة، كما أحب حياتي، وقد قدّمتها لأرشيف بيت حضرة الباب في شيراز.

رأيته مرارا، في ساعات البكور، او في أول الصباح، منشغلا بانزال آيات الله، حضرته يتكلم، وآقا جان، ماثل يكتب في محضره، وبحوزته، المحبرة والعديد من الاقلام الجاهزة. ان مقدار انهمار آيات الله، كان متسارعا مثل موج البحر. وآقا جان، يكتب بكل سرعته، بحيث يقفز قلمه من يده، في بعض الاحيان. ولم يكن قادرا على مجارات سرعة التنزيل في احيان اخرى...

احتفل حضرة بهاء الله، في اليوم الاول من محرم 1309هـ، الموافق للسبع من أغسطس 1891م، فدعى كل الاحباء للحضور، ولأن والدي كان مصابا بمرض الروماتيزم، ولا يمكنه الجلوس على الارض، تفضل حضرته: (أجلبوا مقعداً للأفنان). فأحضر له احد الخدم واحدا. ثم تفضل: (اجلبوا مقاعداً لأولاده ايضاً). وهكذا جلسنا جميعا. كان كل الاحباء الساكنين في عكاء والحجاج موجودين في محضره. فتكلم لسان العظمة، في ذلك اليوم، حول موضوع الانقسامات الحاصلة في الديانات السابقة. وبعد ذلك، وزّع بنفسه الحلوى على كل الحاضرين. في النهاية تفضل: (في هذا اليوم، ولد مبشري المبجل، ونوّر العالم كله بشعاع نوره. هذا هو وقت الفرح). بعدها، صرف الجميع من محضره.

بعد هذا، كان يمكن رؤية الاحباء واقفين في مجاميع صغيرة، بجانب القصر، قرب اشجار الصنوبر، يكررون كلمات الجمال المبارك، لبعضهم البعض، لعدم نسيانها.

اما اليوم التالي، فكان الثاني من محرم، مناسبة ميلاد موجد العالم، ومولى البشر حضرة بهاء الله. فدعى كل الحجاج والبهائيين المقيمين في عكاء الى محضره المبارك. وتكلم عن عظمة رسالته، وقوة القلم الاعلى، وظروف نفيه، ووصوله الى السجن الاعظم. ثم تكلم بتفصيل كبير، عن معارضة واضطهاد الاعداء والعلماء الظالمين له. وتفضل: (يجب على الاحباء، بالرغم من كل المعانات التي وقعت عليهم من الحكومة والشاه، ان لا ينقطعوا عن اظهار ولائهم للأمر، ولا يقيموا اعتبارا للحكمة والحذر، وسوف لا يلامون على ذلك) فيما يخص الاحتفال بهذين اليومين، (لأن هذين اليومين امتزجا معا). وبشّر حضرته: (في المستقبل، سيكون الامر مشرقا جدا، في كل انحاء العالم). في نهاية حديثة، وزّع الحلوى علينا، وصرفنا بلطف من حضره المبارك.

في المساء، وصلنا خبر رغبة حضرته، بزيارة حديقة الجنينة في الصباح التالي، وأوصى ان على كل الحجاج والاحباء، مرافقته الى هناك. فلم ننم من شدة الفرح، في تلك الليلة، اذ سننعم بوجودنا في محضره المبارك لعدة ساعات غدا. وفي وقت الفجر وقبل شروق الشمس، وقفنا جميعا أمام بيته، مقابل غرفته المباركة، وشرعنا بالمناجاة والدعاء. مضت حوالي الساعة، حتى نزل حضرته، ليمتطي حمارا أبيضا، ويتبعه كل الاحباء، مشيا على الاقدام، متجهين نحو الحديقة. ومشى بجانبه طوال الطريق، احد الاحباء المحليين، واسمه الحاج جعفر - وهو رجل طويل القامة - حاملاً مظلة فوق راسه المبارك، لحمايته من حرارة الشمس. كان الهواء منعشاً، عند وصولنا الى الحديقة.. وكان حضرته سعيد جدا، وحصل كل واحد منا، على حصته من بركة محضره. وتناولنا مجتمعين، طعام الغداء في الحديقة.

في ذلك الوقت، وصل حضرة عبد البهاء من عكاء. فتفضل الجمال المبارك: (ان المولى قادم... اسرعوا للقاءه). اعتاد حضرة بهاء الله في تلك الايام، نشر بذور الطاعة والخضوع، في قلوب الأحباء، لمن اختاره الله (حضرة عبد البهاء)، لتوضيح مقام حضرة المولى العالية، بطريقة غير مباشرة للجميع.

وصل حضرة عبد البهاء، للمحضر المبارك، بكامل التواضع، مستقبلا من الجميع. فتكلم لسان العظمة بهذا الخصوص، وقال: (منذ الصباح وحتى الان، كانت هذه الحديقة غير مفرحة، لكنها الان، وبحضور المولى، اصبحت بحق، مفرحة جداً). ثم التفت الى حضرة المولى، واضاف: (كان عليك الحضور منذ الصباح). فأجاب حضرة عبد البهاء، بكل الأدب والتواضع: (طلب حاكم عكاء وبعض المواطنين، مقابلتي، فوجب علي لقاءهم ومقابلتهم). فتفضل حضرة بهاء الله، مبتسما: (ان حضرة المولى هو درعنا. ان الجميع يعيشون هنا بكامل الراحة والهناء. ان التعامل مع أناس مثل هؤلاء، هو أمر صعب جدا جدا. انه المولى، الذي يواجه كل شيء، ويهيئ وسائل الراحة لكل الاحباء. ليحميه ربي من شرور الحاسدين والاعداء).

تمتع آقا ميرزا آقا وعائلته، بمحضر حضرة بهاء الله، لمدة تسعة أشهر. وعندما حان وقت رحليهم، لفّهم جميعاً، حزن عميق. الا ان حضرته، أنعم عليهم بركته قبل مغادرتهم محضره المبارك. وفي يوم مغادرتهم، دخلت، مريم سلطان بكم، زوجة آقا ميرزا آقا، محضر حضرة بهاء الله، لوداعه. ويقال، انها عندما كانت تقبل يده المباركة مودعة، تمنت ان يمنحها حضرته خاتمه الموجود في أصبعه، لمباركة عائلتها. لكنها لم تفصح عن رغبتها. بعدها، ذهبت لوداع الورقة المباركة العليا، ابنة حضرته. وعندما كانت هناك، جلبت لها، احدى خادمات البيت المبارك، الخاتم المبارك، وقالت لها: ان حضرته اعطاك هذا الخاتم.

فرصة لا تعوض

عندما كان حضرة بهاء الله، ساكنا في بغداد. أرسل له شخص من طائفة الشيخية، يدعى ميرزا محيط كرماني، رسالة مع الأمير كيوان ميرزا، يطلب فيها التشرف بحضرته، بطريقة سرّية، في ساعة متأخرة من الليل، حتى لايعرف بالزيارة، أحد غير الأمير، خوفا على مركزه من التقوض والاهتزاز بين المسلمين من أهل المدينة. كان موقف هذا الرجل، من الأمر المبارك، رغم تشرفه السابق بمحضر حضرة الباب، ما يزال في حالة من التردد والكتمان.

فتفضل حضرة بهاء الله، جوابا على طلبه، ببيتين من الشعر من قصيدة، نظمها اثناء اقامته في كردستان، تقول:

ان كان مقصدك هو المحافظة على نفسك، لاتقترب من ساحتنا؛
ولكن.. ان كانت التضحية هي مرغوب قلبك، فتعال وإحضر معك أخرين؛
لأن هذا هو طريق الايمان، إن كان قلبك يرغب لقاء البهاء؛
وإن كنت ترفض طرق هذا السبيل، فلماذا تتعب نفسك؟ ابتعد..

ثم تفضل حضرته، مخاطبا الأمير: (ان كان راغبا، فسيسرع للقاءنا علنا وبدون تحفظ. وإلا فأنا أرفض لقاءه).

عندما علم ميرزا محيط بهذا الجواب، لم يجد في نفسه الشجاعة الكافية للزيارة واللقاء.

وبعد عدة أيام، توفي هذا الرجل...!

الكنوز الخمسة

ان دراسة الآثار المباركة بعناية بالغة، توضح، ان الهدف من ظهور حضرة بهاء الله، هو خلق نوع جديد من البشر، تكون أفكارهم وأعمالهم مشعة في هذا العالم، بالصفات الالهية والخواص الطيبة. وفي هذا المجال، من المناسب، سرد حكاية جميلة، ذكرها نبيل أعظم، تفضل بها حضرة بهاء الله، مخاطبا بعض الأمراء الايرانيين في بغداد، حول موضوع رفعة البشرية مستقبلا. ويطلق على هذه الحكايات اسم (الكنوز الخمسة). وهذه ترجمة لجزء منها:-

دخل ذات يوم، مجموعة من الامراء الايرانيين، محضر حضرة بهاء الله، فدار حديثه اللطيف معهم، حول اخبار البلاد والتجارة والسوق وما شابه ذلك. الا ان احدهم، طرح السؤال التالي على المحضر المبارك، وقال: كيف يحصل، ان حضرتك، تتكلم مع اصحابك وهم في محضرك، في المسائل الدينية والروحانية. بينما تتكلم معنا، عن أخبار المدن والاسواق؟ لقد كان مغزى السؤال هو: كيف تفضل مثل هؤلاء عديمي الثقافة والتعليم، علينا؟

فتفضل حضرته مجيبا:-

(سوف أخبرك أي نوع من الناس، هم الذين يستحقون الاستماع لكلامي، عند حضورهم مجلسي.

لنفترض ان رجلا، أخذ الى أرض واسعة ممدودة، ووجد على يمينه، كل نعم الأرض، من متع وراحة وقوة، تحفظه وتنقذه من الحزن والبلاء الى الابد. وعلى الجانب الايسر، وجد بلايا أبدية وصعوبات والآم ومعاناة هائلة. ولنفترض، ان الروح المقدسة، ظهرت أمامه، وقالت: (ان اخترت كل هذه النعم الخالدة التي على يمينك، وفضلتها على المصائب التي على شمالك. سوف لن يقل مقامك، عند الله قيد شعرة. وان اخترت جانب المعاناة على شمالك، فسوف لن يضاف الى مقامك، في نظر الله أي شيء).

فاذا اختار ذلك الشخص، في تلك اللحظة، بكل الرغبة والحماس، ما على الجانب الأيسر، من بلايا ومحن، بدلا عما في الجانب الايمن. عندها، يكون مستحقاً، لدخول محضري، ومستحقاً لسماع كلماتي المقدسة).

وبهذا الخصوص، ينطق لسان العظمة، مخاطبا الراغبين:- (ان كانت رغبتك هي الحفاظ على نفسك؟ لا تقترب من محضرنا. ولكن، ان كانت التضحية هي مقصود قلبك؟ فتعال، وأحضر معك الاخرين، فهذا هو طريق الايمان. أما اذا كنت - في قلبك - لا تحب الاقتراب من البهاء، ولا تريد طَرْقَ هذا السبيل؟ فلماذا تزعجنا)؟

وأضاف حضرته: (ان الهدف من وجودي في هذا العالم الفاني المظلم، هو تأسيس قوى العدالة والثقة والأمن والايمان، من خلال قوة الله واقتداره، رغم ان المعتدين مغلقين ابواب السلام والسكينة في وجه كل الناس. وعلى سبيل المثال - في المستقبل - اذا سافرت إمرأة سافرة، من شرق العالم الى غربه، وحيدة بجمال لايوصف، وفتنة فائقة، ومزينة بجواهر لاتقدر بثمن، وسائحة بكل الاراضي والاقطار. فسيكون هناك بين الناس، مفهوما للعدالة والثقة والايمان من ناحية، وخاليا من الخيانة والانحطاط من ناحية ثانية، بحيث لن تجد من يرغب في سرقة ما في حوزتها، او النظر الى جمالها بنظرة سيئة)! وأكد حضرته: (بقوة الله، سأبدل سكان العالم، الى هذه الدرجة الرائعة، وسأفتح هذه الباب العظيمة، على وجه كل البشر).

ويستمر نبيل، في سرد الحكاية، حول حديث حضرة بهاء الله مع الامراء، فيقول: أما بخصوص الاعمال وطهارتها، فقد تكلم لسان العظمة معهم بهذه الكلمات:

(لنفرض، ان هناك رجلا غنيا جدا وثراءه فوق الوصف. ولنفرض ان هذا الشخص، أنعَمَ ومَنَحَ كثيرا من ثروته الى شخص فقير. وبالتدريج، ومع مرور الوقت، انقلبت الحالة تماما، وأصبح هذا الغني، فقيرا معدما، والفقير رجلا غنيا جدا. ولنفرض ان الغني السابق، وصل في فقره وعوزه الى درجة، وجب عليه تسديد بعض الديون، وبسبب عدم تمكنه من السداد، أقتيد الى ساحة عامة في المدينة، ليعذب ويعاقب، وأدرك انه لا مجال لاطلاق سراحه، الا بدفع ما عليه من ديون. ولنفترض، انه شاهد، في تلك اللحظة، صديقه القديم. فإن خطرت في فكره، ولو للحظة واحدة، رغبة بتقدم هذا الصديق، لإنقاذه من محنته، بسبب سابق كرمه. فعلى الفور، تذهب كل اعماله الحسنة السابقة هباءً، وكأنها لم تكن، وسيحرم من رضاء الله، ومن النعم والفضائل الروحانية الانسانية.

ونفس الشيء، بالنسبة للفقير، الذي أصبح غنيا، من خلال كرم المقبوض عليه. فإن فكّر ولو في قلبه، انه من الواجب عليه، دفع ديون صديقه، وتحريره من مصيبته، وتمكينه من العيش لبقية حياته في راحة، لأنه حباه بمحبته اللامحدودة وعطفه السابق. فان قاده مثل هذا الشعور، الى مقابلة كرم صديقه بالمثل، بدلا من تقديمها في سبيل الانسانية. فسيحرم من كأس الاخلاص، ويذهب الى عالم المجهولية.

ان الطريقة الوحيدة، المقبولة عند الله، للرجل الأول، هي اسناد أعماله الى مفهوم الكرم ومباديء الانسانية لوجه الله فقط. ونفس الشيء بالنسبة للرجل الثاني، الذي أصبح غنيا، عليه بالتصرف في سبيل الله، كواجب عليه تجاه البشرية، غير مبال

بالأحداث الماضية والقادمة. لهذا أنزل الله في القرآن الكريم: (إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا).

لَيتَهُ كان ذهباً

خلال الايام التي تم فيها حجز حضرة الطاهرة في منزلها، كان الشخص الوحيد الذي تدبر أمر الاتصال بها، هي إمرأة تدعى خاتون جان. فكانت تذهب الى بيت حضرة الطاهرة، متنكرة كل يوم بشكل مختلف، مرة بزي شحاذة، واخرى بشكل غسّالة ملابس، تؤدي عملها على ترعة ماء عامة قريبة، وثالثة بزي آخر، وهكذا... ومن خلال هذه الاتصالات، أدت هذه المرأة، عملا مهما وخطيرا، هو استلام وتوصيل الاخبار من والى حضرتها. كما تدبرت هذه المرأة الجريئة، تهريب الطعام لحضرتها، خلال الوقت الذي كان اعداؤها يتآمرون على قتلها، وسلكوا كل السبل، محاولين دس السم في طعامها. وفي النهاية، لعبت هذه المرأة، دورا مهما مع زوجها محمد هادي، في اطلاق سراح حضرة الطاهرة من سجنها.

ذات يوم، استدعى حضرة بهاء الله، زوجها محمد هادي فرهادي الى طهران (خدم هذا الرجل، حضرة الطاهرة بطرق كثيرة. وهو من ضمن الذين رافقوها الى مؤتمر بدشت الشهير. وعمل حارسا على بوابة الحديقة، التي سكنها حضرة بهاء الله). وسبق له ان هرب من قزوين، الا ان حضرة بهاء الله، أمر بعودته مرة ثانية الى هناك، لتنفيذ عملية الانقاذ، التي خطط لها حضرته.

بعد اطلاق سراح حضرة الطاهرة، ذهبت بصحبة آقا هادي، الى قرية يقطنها عدد من الاحباء، تقع خارج مدينة طهران (ومن المحتمل ان تكون هذه القرية، هي (كج هزار)، العائدة ملكيتها، لحضرة بهاء الله).

غادر حضرة بهاء الله منزله، وعاد مع حمّال، يحمل كيسا مليئا بالعملات المعدنية، وأفرغها على الارض (كانت النقود على شكل قطع معدنية آنذاك، ولم توجد التعاملات البنكية بعد، واعتاد الناس حمل أموالهم في اكياس. وكان أغنياء الأمر المبارك، يحملون أكياس نقودهم، على ظهور الخيل، في سبيل استعمالها لنشر وتدعيم الأمر في ايران. أما حضرة بهاء الله، فكان يرافقه في كل رحلاته الاصحاب والخدم، وكان يستضيفهم جميعا).

أمر حضرته بجلب النقود، وطلب من آقا قلي، تعبئتها في حقائب، وأمره بوضع القطع الذهبية، في خرج، والفضية في خرج آخر. الا ان الرجل، وضع النقود الذهبية في الاسفل والفضية فوقها. عندما شاهد حضرته، ما فعله الرجل، تفضل: (لماذا فعلت ذلك؟ لقد أخبرناك، بوضع الذهب في جهة، والفضة في جهة اخرى). فأجاب الرجل: فعلت ذلك لسبب بسيط. فلو سقطت بعض القطع، اثناء الرحلة، او خلال رفع ووضع الخرج، فستسقط القطع الفضية وليس الذهبية. لم يعقب حضرة بهاء الله على الأمر أكثر من ذلك، وأعطى الخرج ومفتاحه، لرجل وضعها على ظهر الحصان، ثم إمتطاه، يتبعه آقا قلي، وذهب الى القرية، التي تسكنها حضرة الطاهرة، وأمضى ليلته مع ضيوفه هناك.

أيقظت حضرة الطاهرة، آقا قلي، في الصباح للصلاة، واخبرته انه ليس محظوظا ما فيه الكفاية حتى يبقى معهم، وان الوقت قد حان لعودته الى قزوين، والا فستكون هناك مشاكل عظيمة. ثم جلست تحت ظل شجرة، تكتب بعض الرسائل. وبعد انتهاء آقا قلي من صلاته، تقدم، ليقف بجانب آقا هادي، امام حضرة الطاهرة. في تلك الاثناء، وصل حضرة بهاء الله، وأمر بإحضار حقائب النقود وفتحها، ونادى آقا قلي للتقدم، وتفضل: (امسك أطراف ردائك، لأضع لك بعض المال فيه). وكرد فعل مؤدب ومحترم، تردد الرجل في التنفيذ. عندها، نصحه آقا هادي، بوجوب الطاعة. لذا، أمسك الرجل طرف رداءه، فدفع حضرة بهاء الله، يده في الخرج، تسع مرات، ليملأها

ويخليها في عباءته. فتمنى الرجل، في قلبه، ان تكون النقود ذهبية. وعلى الفور، أجابه حضرته: (أعطيناك ما فيه الكفاية، لتوصلك الى قزوين. أما تكاليف فرح زواجك، فستصلك لاحقا. وعلى كل حال انها غلطتك. انت الذي وضعت الذهب في القاع).

الخرج: عبارة عن كيس (وغالبا ما يكون كيسين) يصنع من الجلد او القماش او من خوص النخيل ويوضع على جانبي ظهر الدابة، ويستعمل لنقل الحاجيات وغيرها، وهو بديل للحقائب التي نستعملها في وقتنا الحاضر.

قصة البلبل والغراب

في ايام ابعاد ميرزا يحيى أزل، عن جامعة الاسم الأعظم، أنزل حضرة بهاء الله، بلغة مجازية لطيفة، لوحاً جميلاً باللغة الفارسية، وصف فيه العلاقة الحقيقية، بين حضرته وميرزا يحيى. وفيه مثّل نفسه المباركة، بزهرة روحانية نابتة في حديقة الجنة، تكون محط عشق البلبل، وتدعو المحبين اليها، ليتحدوا بجمالها المحبوب الخالد. تقول القصة:

جاءت مجموعة من الطيور، المشابهة في شكلها للبلابل، قرب تلك الزهرة، ولم تفتن تلك الطيور، لا بجمالها ولا برائحتها. ودار بينهم حوار جميل ومؤثر. اذ أكدت الطيور إلمامها بالازهار، وادعت ان هذه الزهرة، ليست زهرة حقيقية، لأنها تنمو في حديقة جديدة ومختلفة. فأوضحت لهم الزهرة، وذكّرتهم بإسلوب لطيف، ان هناك زهرة واحدة لا غير، مرة تظهر في مصر، واخرى في أورشليم، ومرة في الجليل، وفي وقت لاحق، ظهرت في بادية العرب، ومن ثم في شيراز، والآن اسفرت عن جمالها في ادرنه. وزجرتهم، لتوجيه محبتهم نحو جهات اخرى، بدلا من الصديق الحقيقي، ووصفتهم، بأنهم هياكل شيطانية، يتخفّون بأشكال بلابل. ثم قصت عليهم الحكاية التالية:

يحكى ان طيورا، تشبه البوم، تجادلت ذات يوم فيما بينها، فقال بعضها: ان غناء الغراب، أجمل بكثير من تغريد البلبل. فطالبهم البلبل، بالادلة لأثبات هذا الادعاء، ودعى احدهم لتحري الحقيقة، بالاستماع الى الحان وغناء كل منهما، حتى يميز جمال موسيقى الطير الفردوسي، عن نعيق الغراب. الا ان البوم رفض، وقال: ذات يوم، سمعت صوت تغريد طير، قادم من وسط حديقة مزهرة، وعندما تساءلت عن مصدره، قيل لي، انه صوت الغراب. وفي نفس الوقت، حلق غراب من وسط الحديقة، فإتضح لي، ان الذي كان يغني، هو الغراب.

قال البلبل، للبوم معترضا: ان هذا الصوت كان صوتي!! ولإثبات ذلك، يمكنني التغريد أجمل منه مرة ثانية. فأجابه البوم: لا أرغب بسماع الأغاني الآن، لأني رأيت الغراب بنفسي، وتأكدت من الاخرين، ان التغريد الصادر من وسط الحديقة، كان من الغراب. واذا كانت انغام هذه الموسيقى السماوية لك، فكيف حدث، انك كنت مخفيا عن عيون الناس، ولم يسمعوا بك؟ أجاب البلبل: كان ذلك بسبب جمالي. فأنا مستهجن من قبل أعدائي. وهم عازمون على انهاء حياتي. ولهذا السبب، نسبوا صوتي الى الغراب. الا ان الذين يملكون قلوبا طاهرة وآذانا مقدسة، يستطيعون تمييز صوت البلبل الحقيقي، عن صوت الغراب.

الى هنا، تنتهي قصة البوم. وتستمر الزهرة في حديثها للطيور المتنكرة بأشكال البلابل، وقالت لهم: انكم تملكون نفس طبيعة البوم، لأنكم تفضلون اتباع أوهامكم، على الرغم من العديد من الدلائل والبراهين التي أظهرتها. ودعتهم لتمييز الزهرة، من جمالها وعطرها، وليس من خلال ادراكاتهم.

بوصول هذه النصائح الى ذروتها، دخل الحديقة، بلبل جميل يغني بصوت عذب صداح، وراح يتغنى، بجمال الزهرة ويدور حولها. فخاطبت الزهرة تلك الطيور، وقالت لهم: مع انكم تشبهون البلابل في صوركم، الا انكم تعلمتم طريقة البوم، واتصفتم

بصفاته. واشارت لنفسها، وقالت: ان هذه الزهرة الالهية، هي مرغوب قلوب بلابل الجنة، وهذه الحديقة هي موطنها، وليست موطنا للطيور الميتة أمثالكم. فخذوا أنفسكم وإرحلوا.

من خلال طريقة كلام حضرة بهاء الله التصويرية هذه، يدعو حضرته فيها، اتباعه للنهوض بعزم ويقين راسخ، لحدمة أمر مولاهم وحماية أمره من أطماع الخونة، وينصحهم بالتوجه الى الاعمال الطاهرة والاخلاق الحميدة، ويؤكد لهم، انه بالحياة المستقيمة فقط، يمكنهم نصرة أمر الله، وحمايته من حقد الاعداء.

مأدبـة غـداء

حضر الحاج طاهر مالميري، مأدبة غداء، شرّفها حضرة بهاء الله بنفسه. في هذه الحكاية، يصف حلاوة اللقاء، وروعة المشاعر، عندما يكون المرء، في المحضر المبارك، حيث قال:

اعتاد حضرة بهاء الله، تقسيم اوقات اقامته، اثناء فصل الربيع، بين قصري المزرعة والبهجة، أما بقية شهور السنة، فكان حضرته، يقضيها في بيته، داخل مدينة عكاء. ان قصر المزرعة، يبعد عن مدينة عكاء، حوالى فرسخين (12 كيلومتر). وللتشرف بمحضره المبارك، اعتدت الذهاب الى هناك في النهار، والمبيت في بيت الحجاج، اثناء الليل.

في أول أيام الهاء، دعى احد الاحباء، حضرة بهاء الله، وجميع الاحباء، المقيمين في عكاء، لحضور مأدبة غداء، أعدها على نفقته. فذهبت الى هناك، حيث نصب فسطاط كبير، في أول الصباح، في مكان واسع جميل، مقابل مدخل حديقة قصر البهجة. كان عدد الاحباء، يربو على المائتين، شمل الحجاج، وجميع المقيمين في الارض الأقدس، ما عدا حضرة عبد البهاء، فلم يستطع الحضور، لكثرة مشاغله في المدينة. في وقت الظهيرة، نزل الجمال المبارك، من القصر، ودخل الخيمة، بكل جلاله وبهائه وعظمته. فوقف كل المؤمنين امام الخيمة، برؤوس منحنية احتراما له، ووقف ميرزا آقا جان، بالمحضر المبارك، يرتل مناجاة الصيام، التي نزلت ذلك اليوم. وعند اتمامها، أمر حضرته، الموجودين بالجلوس. فجلس كل في مكان وقوفه. عندها، شرع لسان العظمة، بتجاذب أطراف الحديث مع الحاضرين، لبعض الوقت. بعدها، التفت يسأل الموجودين: (ماذا حدث للوليمة؟ هل ستمد اليوم حقا)؟ وحالا، أسرع عدد من الاحباء، بكل الغبطة والسرور، لجلب الطعام، ونصبوا في وسط الخيمة، أمام حضرته، طاولة واطئة. فجلس خلفها، وجلس كل الاغصان بجانبه وحولها، وبما انه، ما زال هناك متسع في المكان، نادى حضرته بعضنا بالاسم، وكنت من ضمنهم، وتفضل: (تعال يا آقا طاهر، وأجلس). لذلك، دخلت واتخذت لي مكانا بين الجالسين. وبعد تناوله طعامه، نهض للمغادرة، وتفضل: (لقد اكتفينا من الأكل. لينصرف من تناول كفايته). فنهضت لترك المكان. اما بقية الحاضرين، فقد تقاسموا بينهم، ما تركه حضرته، من بقايا طعام في صحنه على الفور. ثم بدأ الاحباء، يدخلون جماعة بعد اخرى، لتناول الطعام.

لقد كانت مناسبة رائعة، حصل جميعنا فيها على مائدتين، واحدة روحانية والاخرى مادية. ولم أنس استعارة مناجاة الصيام من آقا جان، لاستنساخها واعادتها له.

وفي المساء، عاد الجميع الى عكاء.

أبو القاسم وأخوه ابراهيم

تروي السيدة مي ماكسويل، عن ابي القاسم منشادي، القائم لسنين طويلة، على رعاية حديقة الرضوان في الأرض الأقدس، حادثة غريبة ولطيفة، حدثت له، فتقول نقلا عنه:

ذات يوم، شاهدت في كبد السماء، غيمة سوداء كبيرة، تتقدم بسرعة، متجهة نحو الحديقة المباركة. وباقترابها، اكتشفت انها أسراب من الجراد، هجمت بلحظات، لتغطي كل نباتات الحديقة وأشجارها الباسقة، التي اعتاد حضرة بهاء الله، الجلوس تحت ظلالها الوارفة.

أسرعت الى البيت المشيد في نهاية الحديقة، حيث يسكن حضرة بهاء الله، فتشرفت بمحضره، ووقفت أمامه، أتوسل اليه، وقلت: مولاي.. جاء الجراد، وهم مشغولون بأكل ما يضلل رأسكم المبارك. أتوسل اليك ابعادهم عن هنا. فابتسم حضرته، وتفضل: (يجب ان يطعم الجراد. دعهم وشأنهم). فلم يكن أمامي الا الانصياع لأمره، والعودة الى الحديقة، مهموما، اراقب بصمت، اعمال الحشرات التخريبية. الا انني لم استطع تحمّل اكثر مما شاهدته. وغامرت وتجرأت بالعودة الى المحضر المبارك، ودخلت في غاية الخضوع، وتضرعت لحضرته ان يبعد الجراد. عندها، نهض وتوجه الى الحديقة، ووقف اسفل الاشجار المغطاة بالحشرات، وتفضل: (حماكم الله.. ان أبا القاسم، لا يريدكم هنا). ثم تناول بيده المباركة، طرف عباءته، ليرفعها ويهزها. وفورا.. اذا بكل اسراب الجراد، تنصرف من الحديقة.

علّق أبو القاسم، في نهاية القصة، بانفعال شديد، وهو يلمس عينيه بيديه، ويقول: بوركت هاتين العينين، لمشاهدتها هذه الاشياء. بوركت هاتين الاذنين، لسماعها هذه الاشياء.

كان لأبي القاسم، أخ يدعى آقا محمد ابراهيم، يعمل بستانيا في حديقة قصر البهجة، لسنين طويلة.

حدثت لآقا ابراهيم هذا، حكاية اخرى، قصها على استاد علي أكبر البنا، احد مشاهير شهداء الأمر، عند زيارته الأرض الأقدس، فقال:

ذات يوم، كان الجمال المبارك، يسكن بيتاً محاطا بالاعشاب والحشائش الجافة. فجأة، ولسبب ما، اندلعت النار في الاعشاب، وأخذ لهيبها ينتشر في المكان بسرعة، ويلتهم كل ما موجود هناك. فالتفت حضرة بهاء الله لي، وتفضل: (يا ابراهيم.. اذهب وأطفيء النار). فذهبت على الفور وبدون تردد، نحو النار لإطفاءها، وأنا لا أعرف كيف أنفذ الأمر. وعندما دنوت من النار، هبت ريح أبعدتها عني. فلاحظت باستغراب شديد، أنني كلما تقدمت نحوها، كلما بعدت عني، كما لو انها كانت تهرب مني.

في النهاية، أطفأتها، برمي قليل من التراب عليها. وهنا، خطر على فكري، الآية القرانية الكريمة: (قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم...)

لـوح أحمـد

من أشهر ألواح حضرة بهاء الله (لوح أحمد)، الذي أنزل في سنة 1865م تقريبا على شرف أحمد اليزدي.

ان قصة حياة احمد ممتعة جدا. ويقال انه عاش مائة عام، وصعد في سنة 1902م. بينما يذكر جناب الحاج طاهر مالميري في كتابه (تاريخ الأمر في يزد)، انه عاش مائة وثلاثة عشر عاما. ومن المحتمل ان هذا الاختلاف ناتج عن عدم معرفة الناس في ذلك الزمان لسني ولادتهم بالتحديد.

ولد احمد لعائلة غنية معروفة في يزد. ومنذ ايامه الاولى في سن المراهقة، شعر بانجذاب شديد الى التصوف والتعبد، واعتاد الانزواء وحيدا في غرفته ابتغاء مخاطبة الله. كان أمل حياته لقاء القائم الموعود، وبقي يصغي لكل من يرشده الى هذا الطريق، ويجلس عند أقدام الزهاد والدراويش من الذين يدعون الهداية الالهية.

قلقت عائلة احمد على طريقة تنسكه وتصوفه، وضغطت عليه كثيرا ليقلع عن فكرته. الا ان روحه بقيت لايقهرها شيء. وبعد تأكده من عدم ملائمة جو البيت لتقدمه الروحاني، قرر اتخاذ خطوة جريئة، وهي ترك موطنه.

في تلك الايام، كانت مثل هذه الاقدامات قليلة جدا بالنسبة لشاب يافع مثله، خاصة بدون موافقة الاهل. الا ان احمد كان يقاد بقوة خفية لاتقاوم، لمعرفة جوهر الحقيقة والتشرف بمحضر الموعود.

حمل احمد ذات صباح صرة ملابسه متظاهرا بذهابه الى الحمام العمومي، واختفى. فسافر نحو الجنوب حتى وصل الهند حيث كان يأمل في العثور على حل يقوده الى محبوب قلبه. حدث ذلك في حدود سنة 1826م، أي قبل اقل من عشرين عاما من اعلان حضرة الباب دعوته.

وحسب قول الحاج مالميري: (عشت معه من سني حياته الاخيرة حوالي اربع سنوات في "مانج باونات" في مقاطعة فارس. كان في العشرين من عمره خلال حكم فتح علي شاه، ووقت حكم الامير ميرزا لمدينة يزد. خلالها عاش حياة التقشف وأمضى حياته في العبادة والصلاة. كان ميالا للدروشة، وغادر يزد كدرويش الى الهند. وعلى كل حال، ترك بوشهر الى بومبي مستمرا على حياة التقشف غارقا في تعبده وصلاته).

قال احمد انه خلال تلك الرحلات تعرف على الكثير من الصوفيين وشيوخ الطرق والباطنية. الا انه مل وأصيب بالخيبة وفقد الأمل. رغم انه فرض على نفسه تدريبا شاقا، ونفذ العديد من الصلوات. منها ترديد آية قرآنية معينة لإثني عشر ألف مرة. ومع ذلك، لم يجد مبتغاه في الهند. في النهاية، انسحب عائدا الى ايران مكسور القلب حزينه، واستقر في كاشان، ثم تزوج وعمل حائكا. والحكاية التالية سردها هو بنفسه لبعض الاحباء:

مضى الوقت، ووصلت اخبار ظهور حضرة الباب الى العديد من المناطق ومن ضمنها كاشان. فهاجت بداخلي قوة عظيمة للتحقق من هذه الرسالة. وبحثت عنها بكل الوسائل، حتى قابلت ذات مرة مسافرا (من المحتمل انه بابيا) في احد الخانات، وباستفساري منه، قال: (ان كنت باحثا حقيقيا، فإذهب الى مشهد، وقابل شخصا يدعى ملا عبد الخالق يزدي، فهو الذي يستطيع مساعدتك في بحثك. بسماعي هذا النبأ، جهزت نفسي للسفر فجر اليوم التالي، ومشيت على اقدامي كل الطريق الى طهران، ومنها توجهت الى مشهد. الا أني مرضت حال وصولي هناك، ومكثت في الفراش لمدة شهرين. بعد شفائي ذهبت الى بيت الملا عبد الخالق، واخبرت الخادم برغبتي في مقابلة سيده. وعند لقاءه ومعرفته سبب حضوري. غضب غضبا شديدا، وأمر بإلقائي خارج منزله. الا اني ذهبت اليه في اليوم التالي، وبكيت بحرقة شديدة وتوسلت اليه ارشادي والأخذ بيدي. عندما شاهد رغبتي وصدقي طلب مني مقابلته في مسجد (جوهر شاد) في نفس تلك الليلة، وقال انه سيعرفني على شخص يستطيع اخباري بكل الحقيقة. (في تلك الايام كان المؤمنون حذرين جدا من البوح بإيمانهم علنا، ولايفعلوا ذلك الا للراغبين الحقيقيين).

ذهبت الى المسجد في ذلك المساء، لكني فقدت صاحبي بعد حضوري الصلاة وسماعي خطبته وسط الزحام. فذهبت الى بيته في صباح اليوم التالي، وشرحت له ماحدث. فطلب مني الذهاب الى مسجد (بير زن) في نفس تلك الليلة، ووعد بإرسال شخص الى هناك لمقابلتي واصطحابي الى المكان المخصص. بعد المشي بصحبة الدليل لمسافة قصيرة، قابلني صاحبي في المسجد وأخذني معه لنجتاز ممرا الى باحة بيت، ثم صعدنا الى غرفة علوية. فشاهدت هناك شخصا جليلا وقورا يجلس بكل احترام. فهمس صاحبي الذي وقف على عتبة الباب، ان هذا الشخص الجليل هو من

أسعى للقاءه. لم يكن هذا الرجل المحترم الا الملا صادق خراساني (احد اتباع حضرة الباب وحضرة بهاء الله المشهورين).

بعد حضوري بعض الجلسات معه، استطعت تمييز الحقيقة ومعرفة رسالة حضرة الباب. بعدها نصحني الملا صادق بالعودة الى زوجتي وعائلتي في كاشان وممارسة مهنتي، وبعدم تبليغ الأمر الا اذا وجدت أذنا صاغية.

عدت الى كاشان، واكتشفت بسرعة ان الحاج ميرزا جاني كاشاني مؤمن أيضا. فكنا المؤمنين الوحيدين في تلك المدينة.

عندما كان حضرة الباب مرحلا من اصفهان الى كاشان، دفع الحاج ميرزا كاشاني مبلغا قدره مائتا تومان (وهو مبلغ كبير في ذلك الوقت)، دفعه للضباط الذين رافقوا حضرة الباب ليسمحوا للحاج ميرزا كاشاني باستضافة حضرة الباب في بيته، حيث مكث حضرته يومين (أمضى حضرة الباب ثلاث ليال في كاشان. وذكر بعض المؤرخين ان أحد الاسباب التي دفعت الحاج ميرزا جاني لإعطاء الضباط ذلك المبلغ، هو ادعائه (ضرورة تصفية حسابات تجارية مشتركة سابقة بينه وبين السجين). وخلال مدة الاستضافة، كان صاحب البيت يدعوني للتشرف بمحضر سيده المبارك.

بعد هذه الزيارة، راح احمد يصف ويتكلم عن جلال وعظمة وجمال حضرة الباب، وعن براهين واثباتات دعوته لرجال الدين في كاشان. وبذلك ازداد عدد المؤمنين في المدينة. ومن ثم بدأت الاضطهادات. فهاجم الغوغاء بيوت ومنازل الاحباء وسلبوا كل ممتلكاتهم وكسروا كل ابواب وشبابيك بيوتهم، فلم أجد مكانا للإختباء من ذلك الخطر الرهيب سوى فتحة تهوية المنزل، وبقيت فيها لمدة اربعين يوما. كان الاحباء خلالها يجلبون لي الأكل والشرب في الخفاء.

وبعد مرور فترة من الزمن، يستطرد احمد، ولأن الحياة اصبحت لا تطاق في كاشان، قررت الرحيل الى بغداد، بعد حوالي خمس سنوات من استقرار حضرة بهاء الله هناك. وفي طريقي اليها، تعرفت على مسافر غريب لا أعرفه، فإدعى كلانا ان وجهته هي مدينة كربلاء (مدينة شيعية في العراق فيها مرقد الامام الحسين) خوفا من الافصاح عن وجهتنا الحقيقية. لأن بغداد كانت معروفة في تلك الايام نقطة تجمع للبابيين يشك الناس فيمن يتوجه اليها، وغالبا ما يتهمونه بالبابية. وخلال الرحلة، كنا نؤدي صلاتنا كمسلمين. وحال وصولنا الى بغداد، توجهت الى بيت حضرة بهاء الله. فاذا بي أجد صاحبي متوجها في نفس الاتجاه، وإكتشفت انه بابي أيضا.

عند دخولي منزل حضرة بهاء الله وتشرفي بمحضره المبارك، التفت الي، وتفضل: (يا للرجل.. صار بابيا، وإختبأ في فتحة الهواء!).

سكنت في بغداد، لمدة ست سنوات، عملت خلالها حائكا. وتنعمت روحي بجلال وعظمة محضره خلال كل تلك الفترة، وكان لي عظيم الشرف السكن داخل بيته الخارجي.

ذات يوم، وصلت أخبار وفاة سيد اسماعيل زواري.

فتفضل حضرته: (لم يقتله احد، لقد أريناه بصيصا من عظمتنا من خلف مئات الألوف من حجبات الأنوار. فلم يستطع تحملها، وفدى بنفسه). فذهبنا الى شاطيء النهر، ووجدنا الرجل قاطعا حلقومه ومسجى على الارض والمدية مازالت بيده. فواريناه التراب.

كنت أتنعم بنور شمس محضرحضرة بهاء الله المبارك، حتى صدور فرمان السلطان العثماني من استنبول بوجوب مغادرته اليها. كان ذلك في اليوم الواحد والثلاثين بعد عيد النوروز. عندما ذهب حضرته الى حديقة نجيب باشا. كان نهر دجلة فائضا وهائجا جدا في ذلك اليوم، وفتح المسؤولين أبواب السد لتهدئته. الا انه لم يهدأ الا في اليوم التاسع، فإلتحقت عائلة حضرته به في الحديقة. وفور عبورهم النهر، عادت المياه لتفيض من جديد. فوجب اعادة فتح ابواب السد مرة أخرى. في اليوم

الثاني عشر، كان على حضرته التحرك الى استنبول، فصاحبه بعض المؤمنين، وبقي بعضهم الاخر، ومن ضمنهم العبد المتكلم. في وقت المغادرة، كنا جميعا موجودين في الحديقة، فوقف كل من كان عليه البقاء في بغداد في صف واحد، ثم تقدم حضرته الينا وتكلم معنا باسلوب المواساة، وتفضل: (من الأفضل بقائكم. وانني وافقت على اصطحاب بعض المشاكسين فقط، لمنعهم من الغدر وخلق المشاكل).

فانشد احد المؤمنين الحاضرين البيتين التاليين للشاعر سعدي بصوت ملؤه الحزن العميق والتأثر:-

تذرف الدموع مثل غيوم الربيع

فحتى الصخور تبكي لفراق الأحبة

فعلق حضرته، بقوله: (حقا ان هذه الأبيات قيلت لهذا اليوم).

هذه القصص القليلة التي تركها أحمد عن حضرة بهاء الله للأجيال القادمة، مع هذا السرد البسيط عن حياته الشخصية، تشكل غالبية ما قاله عن تلك الايام. ولم يشرح بالتفصيل غالبية تاريخ حياته. ولم يتطرق لذكر التأثير العظيم عليه ساعة تشرفه بمحضري حضرة الباب وحضرة بهاء الله. كما لم يذكر شيئا عن السنوات الباهيات الست التي أمضاها ساكنا بجوار بيت حضرة بهاء الله في بغداد. الا اننا نعلم، ان عددا قليلا فقط من الاصحاب الأوائل ممن حضوا بمثل ما حضي به احمد من ايمان وروحانية. كان مفعما بالنشاط والحيوية من عظمة ظهور مولاه، وكان ذا قدرة وإمكانية عالية لإكتساب مثل تلك الروح العظيمة المنجذبة المشعة التي سيطرت عليه طوال حياته. وكتب عنه الحاج مالميري، قائلا: عاش احمد في بغداد عدد من السنين، وتشرف بمحضر حضرة بهاء الله هناك. وصار محط فضله ونعمته. واخبرني ذات يوم سرا عظيما، وهو مشاهدته الجمال الحقيقي للجمال المبارك. وكان يقول الصدق، لأنه حصل على لوح مخطوط من يد حضرة بهاء الله نفسه، يشهد ان احمد شاهد جماله الخفي.

بعد سفر حضرة بهاء الله الى استنبول، بقي احمد في بغداد وخدم الأمر فيها بحماسة عظيمة. وكان يتشوق في داخله لزيارة محضر مولاه كرة أخرى. وبعد مرور بعض الوقت، لم يعد يحتمل مرارة الفراق، فرحل الى أدرنة. وعندما وصل الى استنبول، ارسل له حضرة بهاء الله لوحا من أشهر ألواح حضرته يعرف اليوم عالميا بإسم (لوح أحمد). وبقراءة جزءه الاخير، أدرك الرجل ماهو المطلوب منه، فسلم كل رغباته الى أمر مولاه، وبدلا من اكمال رحلته الى ادرنة، عاد الى ايران بروح تملؤها الرغبة الصادقة في التبليغ واعلان أمر مولاه الى الجامعة البابية.

وعلى خطى جنابي منيب ونبيل أعظم، اللذين ارسلهما حضرته لتبليغ الأمر في ايران، سافر احمد الى كل انحاء ايران وبشر بظهور (من يظهره الله) الى العديد من البابيين. ومن خلال سعيه الحثيث، انتبه عدد كبير منهم لمقام حضرته واصبحوا اتباعا حقيقين. في ذلك الوقت، كانت الجالية البابية على درجة كبيرة من الحرمان والضلال بحيث أظهر بعضهم العداء السافر للمبلغين البهائيين. وذكر احمد في مذكراته، حادثة بهذا الخصوص حدثت له في مدينة بدشت في مقاطعة خراسان، قال: تركت طهران الى خراسان وتكلمت مع العديد من الناس بخصوص ظهور من يظهره الله. وذهبت الى مقاطعة فروغ، على هيئة درويش، وتكلمت مع ملا ميرزا محمد (احد الناجين من ملحمة الشيخ طبرسي)، فآمن ومعه اخوته. الا انه خلال النقاش بدت على الأخوة علامات العداوة والقسوة، واعتدوا علي بالضرب وكسروا احد اسناني. وبعد انتهاء العراك وهدوء الأنفس، أكملت الموضوع وقلت، ان حضرة الباب أشار مرارا الى من يظهره الله بصورة جلية بإسم (البها). فوعدوا بقبول هذا الإدعاء والايمان بحضرة بهاء الله ان كان ذلك صحيحا. عندها، طلبت منهم احضار كتابات حضرة الباب. فقاموا بفتح ثغرة في جدار الغرفة وأحضروا جميع ما لديهم من كتابات مباركة، حيث كانوا يخفونها

درءا للأعداء. وحالما فتحنا أول كتاب. عثرنا على فقرة تشير الى ان من يظهره الله سيحمل اسم (البهاء). وبسرور وفرح آمنوا بحضرة بهاء الله، واعتنقوا أمره المبارك. بعدها تركتهم، وسافرت الى بقية المدن.

أما بخصوص أيام احمد الأخيرة، فكتب الحاج طاهر يقول:

عاش وعمل احمد في كاشان، ونزل لوح أحمد العربي على شرفه، وبقي يحمل معه النسخة الأصلية دائما. توفيت زوجته في كاشان، وتزوجت ابنته من رجل يعمل ساقيا للماء في بلاط ناصر الدين شاه في طهران. وعلى أثر هذا سافر احمد الى شيراز ومنها الى نيريز حيث تزوج مرة ثانية. وعاش في تلك المنطقة حوالي العشرين عاما. كما انه أمضى بعض الوقت في مقاطعة سربستان في فارس. كان رجلا بسيطا طاهرا نقيا. والذي دعاه للحضور الى (منج) رغبته في الذهاب الى طهران، ورسائل ابنته المتكررة الى آقا بشير الهي، التي تطالبه فيها بتدبير سفر والدها الى طهران لرؤيته. على كل حال لم يكن أحمد ميالا للذهاب، اذ كان عمره آنذاك ستة وتسعون عاما عند وصوله الى (منج)، وكان بتمام الصحة والعافية، وأمضى غالبية وقته في قراءة الكتابات المباركة، خصوصا لوحه الخاص الذي كان يرتله بكثرة. بقي أربع سنوات في (منج) حتى تدبر ميرزا محمد باقر أفنان أمر سفره الى طهران بصحبة أحد خدمه الموثوقين. وبقي هناك بعض الوقت حتى رحل لزيارة قزوين.

أبـو بديـع

ان لكلمات حضرة بهاء الله تأثيرا خلاقا يوجد الشجاعة في كل من يشاء. مثال على ذلك، نذكر الواقعة التالية التي قادت الى إعدام أشهر أتباع حضرته، وهو الحاج عبد المجيد نيسابوري، الذي كان نموذجا للإيمان والاخلاص. والد آقا بزرك الملقب بـ (بديع)، والذي دخل محضر حضرة بهاء الله وهو في ربيعه السابع عشر في سجن عكاء واستلم لوحه الموجه الى ناصر الدين شاه وأعدم فور وصوله من قبل رجال الملك.

إعتنق الحاج عبد المجيد الذي لقبه حضرة بهاء الله بـ (أبا بديع) الأمر المبارك في أيام دعوة حضرة الباب الأولى، وكان من ضمن أولئك المؤمنين في مقاطعة خراسان الذين بلغهم الملا حسين بشروئي، وشارك في ملحمة طبرسي، وكتبت له النجاة منها.

كان رجلا غنيا، ومن أوائل المطيعين لأمر الملا حسين وهم في طريقهم الى قلعة طبرسي، عندما تخلى عن صرة مليئة بالفيروز والاحجار الكريمة ورماها على قارعة الطريق، تنفيذا لأمر سيده الذي أمر بنبذ كل شيء، عدا السيوف والخيول. وعندما وصلته اخبار دعوة حضرة بهاء الله، أدرك عظمة مقام حضرته، وأمضى ايامه راغبا بقوة في خدمة أمره المبارك حتى سنة 1876م. ثم سافر الى عكاء في سن متقدمة تدفعه الرغبة الشديدة للتشرف بمحضره المبارك، وهناك تمتع بضياء شمس عظمة مولاه. وترك للأجيال القصة التالية عن ذلك اللقاء الجميل.

تشرفت بمحضر حضرة بهاء الله، عندما كان يتكلم عن ولدي بديع ساعة استلامه للوح المبارك الموجه الى ناصر الدين شاه وفوزه بتاج الشهادة. ففاضت دموعي لسماعي الحكاية وبلت لحيتي من ماءها. فإلتفت إلي حضرته، وتفضل: يا أبا بديع، ان الشخص الذي قضى ثلاثة أرباع حياته، عليه بتقديم ما تبقى منها في سبيل الله. فإستفسرت من حضرته، وقلت: هل من الممكن ان تتخضب لحيتي المبللة بدموعي، بدمي؟ أجاب حضرته: ان شاء الله.

عاد أبو بديع الى بلاده في خراسان وقلبه يضطرم بنار محبة حضرة بهاء الله وروحه تشع بعظمتها. واعتاد دخول مجالس الأحباء في مدينة مشهد لتشجيعهم وحثهم على الثبات في أمر مولاه. كما كان يقرأ لهم مقتطفات من كتاب الأقدس المبارك من

أول نسخة مخطوطة جلبها بنفسه الى خراسان. وكان غالبا ما يناقش موضوعا خاصا، وهو قرب تحقق موعد نبوءة حضرة بهاء الله بخصوص سقوط ناصر الدين شاه، المذكورة في لوح الرئيس ولوح فؤاد. وأمضى جل وقته في استنساخ ألواح حضرته. ان الحماس الذي كان أبو بديع يبلغ به الأمر أيقظ حقد الأعداء على الفور. وأولهم شقيقه وشقيقته اللذان وشيا به عند مجتهد يدعى شيخ محمد تقي بجنردي. فأخبراه ان شقيقهما بابي منذ عدة سنوات وأحد تلاميذ الملا حسين، وقاتل في قلعة طبرسي وأعدم ولده بأمر الشاه، وكشفا عن كل نشاطاته ومن ضمنها زيارته القريبة لحضرة بهاء الله في عكاء وتبليغه الديانة البهائية علنا.

ففزع المجتهد من هذه التقارير، وأرسل اثنين من رجاله للتحقيق مع أبي بديع الذي لم يخف شيئا، بل راح يقص عليهما طريقة ايمانه ويبلغهما رسالة حضرة بهاء الله. فلم يكن يعني هذا الحديث الصريح عن الأمر، سوى سهولة اصدار فتوى باعدامه. كان هذا في سنة 1877م، بعد مرور سنة واحدة على دخوله محضر مولاه، وهو في سن الخامسة والثمانين.

ومما زاد الوضع حراجة، انه حالما بدأ الناس جني ثمار مكائد ومؤامرات رجال الدين الخبيثة، وصل مدينة مشهد قادما من اصفهان، عدو لدود للأمر المبارك يدعى الشيخ محمد باقر الذي نعته حضرة بهاء الله بإسم (الذئب)، فلعب دورا ماكرا جدا في تنفيذ هذه الجريمة الشنعاء. وأول عمل قام به الشيخ محمد باقر، هو استدعاء أبا بديع للمثول أمامه. وبتجاهل أبو بديع لطلب الشيخ، إنضم الأخير الى الشيخ محمد تقي وشيخ آخر يدعى عبد الرحمن، وهما من علماء الدين في خراسان، وأرسلوا عريضة الى الأمير محمد تقي ميرزا (ركن الدولة) شقيق الشاه وحاكم خراسان يطالبونه بإعدام أبي بديع. كان هذا الأمير رجلا طيبا لايرغب في أذى البابيين أبدا. الا انه لم يستطع مقاومة الضغط الهائل الذي أوجده رجال الدين. فإكتفى بإصدار أمر اعتقال أبا بديع، ولم يدفع بالقضية أكثر من ذلك، لعدم رغبته بأذى السجين. وعندما نفذ صبر رجال الدين، أرسلوا شكواهم الى ناصر الدين شاه نفسه، فأصدر أمره بوجوب ان ينكر ابو بديع ولاءه للدين الجديد شرط اطلاق سراحه.

بقي الشيخ محمد باقر يضغط على الأمير لتنفيذ حكم الاعدام. فذهب الى بيت الحاكم وناقش معه أفكاره الشريرة في طريقة القتل. ومن اقتراحاته الشيطانية، ربط أبو بديع الى بالون هوائي اخترع حديثا وجيء به قريبا الى مشهد، ورمي الرجل من الفضاء الى الارض. وبينما كان النقاش على أشده وقعت مصيبة في بيت الأمير، اذ سقطت ابنته الصغيرة العزيزة على قلبه في حوض ماء داخل المنزل وفارقت الحياة. وعلى أثرها، ترك الأمير الاجتماع حزينا مهموما. وبذلك، فشلت خطط الشيخ محمد باقر بأجمعها. أما زوجة الأمير فكانت مقتنعة تماما، ان وفاة ابنتها المأساوية، ما هي الا عقاب من الله، نتيجة لسجن أبا بديع، ووبخت زوجها بشدة على تصرفاته، وطالبته بالتخلي عن الحاق الأذى بالرجل وتركه لحال سبيله. ونتيجة لكل هذا، لم يستطع الحاكم أكثر من ان ينقل أبا بديع الى مكان آخر، حيث كان الضابط المسؤول متعاطفا مع البهائيين.

أما الشيخ باقر، فلم يستطع تحمل تصرفات الأمير المترددة اكثر من هذا، وأرسل شكوى اخرى الى الشاه. وللمرة الثانية، ارسل البلاط تعليماته للحاكم بإطلاق سراح السجين ان هو أنكر ايمانه بالدين الجديد. والا فعليه معاملته حسب الشرع. فأرسل الأمير وهو يرغب في انقاذ السجين، رجلين معروفين الى السجن لإقناعه في نكران ايمانه، هما ميرزا سعيد خان وزير الخارجية السابق والأمير عبد الحسين ميرزا (شيخ الرئيس)، وهو مؤمن وشاعر وأديب معروف، تشرف بمحضر حضرة بهاء الله وحضرة عبد البهاء. حاول هذان الرجلان كثيرا مع السجين بالنيابة عن الحاكم ليحمياه

من مصيره المحتوم، وأفهماه ان يدي الحاكم مغلولتان، ولايمكنه الدفاع عنه وعن قضيته الا بهذه الطريقة.

وقف أبو بديع بتصميم وعزم شديدين، ولم يقايض دينه بهذا العالم الفاني، فمحبة حضرة بهاء الله استحوذت على كل كيانه، ولم يجد الخوف الى قلبه سبيلا، وأخبرهما ان ينقلا الى ركن الدولة نيابة عنه، عدم استطاعته نكران دينه او حتى ذمه، وانه مستعد لفداء نفسه اذا وجب الأمر.

لم يفقد الحاكم أمله، واستمر في خطته لإقناع أبي بديع في الانكار، وقيل انه ارسل حوالي اثنا عشر رجلا في أوقات مختلفة، وهم من كبار شخصيات مقاطعة خراسان، ليطالبوه بتغيير موقفه. الا انهم فشلوا جميعا، وقال احدهم: ان أبا بديع بدلا من الاصغاء الى نصائح ركن الدولة، انشغل بتبليغه أمر الله.

أخيرا حلت النهاية، ولم يكن أمام الأمير خيار سوى تنفيذ رغبات رجال الدين، وأصدر أمره باعدام السجين.

ذات يوم، طلب أبو بديع من مؤمنة اعتادت زيارته في سجنه وكانت تلعب دور الواسطة بينه وبين باقي الاحباء خارج السجن اسمها خديجة خانم، عدم زيارته ثانية، فيوم غد سيكون آخر أيامه في هذه الدنيا، وانه شاهد في منامه انهم أحضروا له حصانا فركبه وذهب بعيدا، وعندما وصل ميدان (أرك) وهي ساحة عامة في مشهد، سقط من فوق الحصان. وتنبأ ان تلك الساحة ستكون هي ميدان شهادته.

في اليوم التالي، أخبر السجان الاحباء بسرية، ان ساعة النهاية اقتربت، وان عملية الاعدام ستتم في هذا اليوم. فاجتمع الاحباء يلفهم الحزن العميق في بيت (البابية) (وهو من البيوت التاريخية للأمر المبارك، وكان مركزا لنشاطات عظيمة للبابيين في مشهد)، فجلسوا يصلون ويقرأون الدعاء والمناجاة وينتظرون الاخبار. في تلك الاثناء، اجتمع خارج السجن، عدد من الناس وموظفي الحكومة والجلادين منتظرين نهاية القصة. وبعد عدة ساعات، ظهر هيكل السجين العجوز بوجه منور ولحية بيضاء ناصعة تضفي عليه وقارا جليلا وسلاسل ثقيلة ملتفة حول رقبته النحيلة تزين صورته وتزيدها وداعة وهدوءا. فاقتيد وسط صراخ وشتائم جموع الاعداء الى بيت الحاكم. وفي الطريق واجه المحتشدين بشجاعة، ورتل بشيء من المرح بيتين من قصيدة فارسية، تقول:-

نحن نسرع الى الله بالفرح
فالأسد لا تخجله السلاسل
حول عنقي ربطت حبالي المحبوبة
انها تقودني الى حيث أشاء

وفي بيت الحاكم، وقف السجين أمام ثلاثة اشخاص، الحاكم وميرزا سعيد خان وشيخ محمد باقر، فخاطبه الأمير، قائلا: ليس لدينا شك من أنك بهائي. اما اذا كنت غير ذلك. فعليك الآن شجب مؤسس هذا الدين علنا. فرفض السجين الاستجابة للطلب. فسأله الشيخ: ما هو الخطأ في الدين الاسلامي حتى تصبح بهائيا؟ هنا، تكلم أبو بديع عن ايمان اتباع حضرة بهاء الله، واكد بصراحة ان حقيقة جوهر الاسلام، تكمن في هذا الدين الجديد. بعد ان أنهى السجين كلامه، طالبه الحاكم بالانصياع لأوامر المشايخ. الا انه كرر رفضه. فأصر الشيخ على السجين بشتم حضرة بهاء الله، والا فسيقتل. اضطرب ميرزا سعيد خان من سوء سلوك الشيخ محمد باقر، وقال: انه لا يجد في تصريحات السجين ما يدل على كفره وارتداده بحيث يستحق القتل. فغضب الشيخ لهذا التصريح، وأشار نحو ميرزا سعيد خان، وأجابه: ان عليه ان لا يأمل بإطلاق سراح السجين نتيجة هذه الكلمات فقط، فهذه تعتبر ضربة للدين الاسلامي. وكرر فتواه بإعدام السجين. وهنا أمر الحاكم رجاله بتنفيذ الحكم.

اقتيد أبو بديع من قبل الجلادين الى ميدان ارك حيث اجتمعت الجماهير لمشاهدة عملية الاعدام. واذا بأحد الاحباء يخترق صفوف الناس بصعوبة ويقترب من الضحية ويتوسل اليه نكران دينه في اخر لحظة. وقال ان هذا ينقذ حياته وليس فيه ضرر للأمر. وجوابا عليه رتل أبو بديع هذا البيت من الشعر الفارسي:

أنصب فخك لطير آخر فهذه عنقاء أوكارها عالية

وصل رسول خاص من الحاكم المتردد جدا في سفك دم هذا الرجل الطاهر، ليحاول ولمرة أخيرة معه لانقاذ حياته، آملا ان منظر مشهد الاعدام سيخيف أبا بديع ويدفعه للانكار. الا ان الرجل بقي صامدا صلبا مستقيما على أمر الله، ولم تزعزعه عن موقفه لا صراخ وشتائم وأذى الناس ولا منظر الجلاد المرعب بخنجره المسلول في يده.

ومن المحتمل جدا ان روحه الطاهرة كانت تخاطب حضرة بهاء الله في سموه وعليائه وتشتاق للطيران الى عالم الارواح. وان أفكاره متوجهة الى تلك الساعات الجميلة التي أمضاها بمحضره المبارك في عكاء، والى شهادة ولده المحبوب بديع (فخر الشهداء). وقف هذا الرجل الالهي المسن، وهو محاط بآلاف الناس المتحدين على الغضب والكراهية واللعن والطعن، متوقدا بنار الايمان والثبات هادئا غير مكترث بهم.

في النهاية، اصدر الضابط المسؤول اشارة الاعدام. فألبس السجين رداء الموت الاحمر، وتقدم الى الامام، لتخلع عنه عمامته وعباءته وشاله. وأداروا وجهه نحو القبلة، وقدموا له كوب ماء. وبضربة عنيفة من نصل خنجر حاد، فتحوا صدره حتى بلعومه. فوقع على الارض، ذلك الجبل الشامخ مضرجا بدمائه الطاهرة دون حراك. عندها، وضعوا جسده على لوح مرمري، برأس مكشوف، وطافوا به اسواق المدينة، ثم تركوه معروضا للعيان بهذا الشكل. ووقف عدد من الغوغاء قربه مانعين عائلته من الاقتراب منه. أما أبنته الحزينة (شقيقة بديع)، فوقفت لعدة ساعات مع زوجها على بعد تذرف الدموع وهي ممسكة بطفلها بين يديها لتتمكن من زيارة بقايا جسد والدها العظيم. الا ان الجماهير كانت ترجمهم بالحجارة لتبعدهم عن المكان، فغادرته منكسرة القلب وهي بحالة كبيرة من الحزن لايمكن وصفها.

أما الاحباء الذين راقبوا الاحداث باهتمام كبير، فقد اجتهدوا لإنقاذ جثمانه. وبما انه بقي متروكا في معرض الجثث مقابل جامع لأهل السنة. لذلك لبس أحدهم ملابس الاكراد، يصحبه اثنان منهم، وتدبروا نقل الجثمان في بهيم الليل الى خارج باب المدينة، وقاموا بدفنه في مقبرة مهجورة.

وهكذا إنتهت حياة شخص وقف مثل طود شامخ، ثابت لايتزعزع عن أمر مولاه، وشهد على حقيقة الأمر بدمه وأظهر بصورة واضحة قوة حضرة بهاء الله الذي خلق بكلمة واحدة جيلا جديدا من الرجال وغرس فيهم هذا الايمان العظيم، حتى كانوا مصداقا للآية المباركة: **(وكن مستقيما في حبي بحيث لن يحول قلبك ولو تضرب بسيوف الاعداء ويمنعك كل من في السموات والارضين).**

الفطنة والذكاء ... لا تكفيان!

تظهر القصة التالية، عن حياة جناب ابي الفضل، العالم البهائي الشهير، بشكل واضح، ان قراءة كلمات الله بمجرد عين الفطنة والذكاء فقط، يمكن ان تقود الانسان الى الابتعاد او الانحراف عن الصراط المستقيم.

ذكر ابو الفضل - وكان لايزال من كبار العلماء المسلمين - ان الاحباء أعطوه كتاب الايقان ليقرأه في بداية تعرفه اليهم. فأخذه وقرأه بحالة من التعالي والكبرياء، ولم يكترث به، بل علق على الكتاب، بقوله: لو كان الايقان برهانا على صحة دعوة بهاء الله، فبإمكاني تأليف كتاب أفضل منه.

كان ابو الفضل في ذلك الوقت مديرا لمدرسة فقهية في اصفهان. وحدث في اليوم التالي مباشرة، ان جاءت امرأة الى المدرسة تسأل بعض الطلاب كتابة رسالة مهمة لها. (من عادة الأميين في تلك الايام دفع بعض المال للمتعلمين لكتابة الرسائل لهم). فأرشدها الطلاب الى ميرزا ابي الفضل، باعتباره كاتبا نحريرا مشهورا، واستاذا في الفصاحة واللغة، لا يدانيه احد في الكتابة والتأليف.

اخذ ابو الفضل، قلمه وسحب ورقة وشرع يريد الكتابة، الا انه وجد نفسه عاجزا عن كتابة جملة واحدة. فحاول عدة مرات وبشدة ولكنه لم يفلح، بل انه لم يستطع تركيز أفكاره المشتتة، وبقي لعدة دقائق يخطط ويرسم في زاوية الصفحة وعلى اظفر اصبعه، ومع ذلك، لم يفلح في كتابة شيء. عندها ادركت المرأة عجز الرجل العالم عن الكتابة. وبعد نفاذ صبرها، نهضت للمغادرة، وقالت بسخرية: (ان كنت نسيت كيف تكتب رسالة بسيطة. فلماذا لم تقل لي ذلك. بدلا من انتظاري هنا، وأنت تعبث بالورقة؟).

علق ابو الفضل على تلك الحادثة، بقوله: انه غرق ساعتها في الخجل. وفجأة، تذكر تعليقه السابق ليلة أمس عن قدرته على تأليف كتاب أفضل من كتاب الايقان. وأدرك ان هذه الحادثة ما هي الا جواب واضح لموقفه المتعجرف تجاه كتاب مقدس.

في النهاية، آمن هذا الرجل، وكان صاحب قلب طاهر نقي، وقرأ نفس الكتاب لمرات عديدة بعين الايمان الجديدة، ووجده بحرا واسعا من المعرفة. وكان كلما كرر قراءته، وجد فيه دررا ثمينة من الحكمة واكتشف اسرارا جديدة لم يشاهدها من قبل.

صدارة مجلس

ملا محمد قائني الملقب بـ " نبيل أكبر " يقص ما حدث في بغداد زمن اقامة حضرة الجمال المبارك. فيقول: في احدى الأمسيات جلست بصحبة العالم الكبير ملا محمد صادق خراساني الملقب بـ (مقدس)، داخل احدى غرف البيت المبارك المخصصة للضيوف، نتجاذب أطراف الحديث. بينما كان حضرة بهاء الله ساعتها خارج البيت. وعندما عاد كان بصحبته الأمير (ملك آرا). وفور دخوله مجلسنا، نهض ملا صادق على قدميه ورمى بنفسه تحت أقدامه المباركة بكل خشوع وتواضع. لكن حضرة بهاء الله لم يستحسن تصرف ملا خراساني، فأمره بالنهوض حالا، ثم ترك الغرفة بصحبة الأمير.

تعجبت كثيرا لتصرف الملا، حيث انني لم أتوقع أبدا قيامه بمثل هذا العمل، وبما انني رأيت جواب الجمال المبارك لتصرفه، لذلك تشجعت بعد مضي بعض الوقت وقلت له معلقا على الحادث: يا جناب الملا، أنت عالم كبير وذو مقام محترم ومقارب حروف الحي، بالاضافة الى انك قد تشرفت بلقاء حضرة الأعلى. نعم ان الجميع يعترف ان حضرة بهاء الله رجل مشهور ومحترم ورفيع النسب وشغل أجداده وأسلافه مراكز حكومية رفيعة، والحق يقال انه قد عانى كثيرا من الاضطهاد والتعذيب والسجن لاعتناقه أمر الله، وصودرت أملاكه جميعها، ونفي الى هنا من وطنه. ولكن تصرفك تجاهه كان عجيبا هذا المساء، لقد كنت كخادم حقير أمام ربه العظيم. كان ملا صادق ما يزال غارق في حالة من الروحانية التامة، ووجهه يفيض فرحا، عندما أجابني ببضع كلمات فقط: " اني أتضرع لله أن يزيح الستار عن بصرك وينزل عليك رحمته الواسعة ".

تعجبت كثيرا من جوابه وقلت في نفسي: ما هذا! ماذا يقول الملا! ماذا يعني؟ أهنالك شيء لا أفهمه؟

قررت بعد هذه الحادثة وهذا الحديث أن أراقب بدقة تصرفات شخص حضرة بهاء الله بنفسي، وأحاول اكتشاف ما قصده ملا صادق بكلامه، فأنا عالم كبير ومشهور. كلما زدت في مراقبتي لحضرة بهاء الله قات اكتشافاتي لأي اشارة أو

علامة تشير الى مكانة مميزة له، بل على العكس تماما، لم أجد فيه شيئا مختلفا يجلب انتباهي لا في أقواله ولا في أعماله، سوى التواضع ونكران ذاته والعبودية والمحوية، ووقعت في خطأ جسيم نتيجة اكتشافي هذا، وبدأت أعتقد انني أعظم من حضرة بهاء الله ومن ثم بدأت أفضل نفسي عليه، ونتيجة لتصوراتي التافهة بدأت أشغل مكان الصدارة والشرف بين الأصحاب في الاجتماعات والجلسات، وأبادر في الكلام قبل الجميع ولا أعطي فرصة الحديث لا لحضرة بهاء الله ولا لغيره، لاعتقادي بأن الجميع أقل مني علما وشأنا.

عقد في يوم من الأيام كالعادة اجتماع للأصحاب، في بيت حضرة بهاء الله وفي نفس الغرفة السابقة، فتصدرت المجلس مرة أخرى مستعدا لاستلام زمام الحديث في أي لحظة. أما حضرة بهاء الله فقد اتخذ له مجلسا بين الأصحاب دون التمييز عنهم، بل شرع في خدمتهم وتقديم الشاي لهم بيديه. وبينما نحن كذلك، طرح سؤال معين، ولما لم أجد بين الموجودين من تقدم للاجابة، شرعت بالكلام، أصغى لي الجميع بانتباه صامتين تماما، ما عدا حضرة بهاء الله، فقد كان يبدي بين الحين والآخر تأييده لي ببعض الكلمات والاشارات، ثم يزيد أحيانا ببعض التعليقات على الموضوع. ورويدا رويدا، قليلا فقليلا.. انقلب الحال وأصبح هو المتكلم وأنا المستمع. ولذت بالصمت ولم أتكلم بعدها قط. ان عمق تفسيراته وشدة أمواج بحر بيانه وسحر صوته العذب أحاطني بشعور من الخوف والرعب وغمرتني حالة من الذهول وصعقت وأنا أستمع لكلماته الفريدة لعدة دقائق..ثم! لم أعد أسمع شيئا، ماذا حصل هل انتهى كلامه فجأة؟ هل توقف عن الحديث؟ نظرت اليه فوجدته ما زال يتكلم وشفتاه تتحركان والجميع ملتفت يصغي اليه، اذا ماذا حصل!؟ ماذا أصابني؟ هل أصبت بالصمم؟ نعم، لقد أصبحت أطرشا. ثم تملكني في ذلك الحين شعور بالخزي والندم لاحتلالي مكان الصدارة في المجلس، وانتظرت بفارغ الصبر انتهاء الاجتماع، كانت الدقائق تمر ببطأ شديد وكنت أنظر الى شفتيه وأنتظر سكونها فهما دليلاي الوحيدان على ذلك، أخيرا توقف. اذا لقد أنهى كلامه، ومثل طير ضعيف تحرر من مخالب نسر عظيم تسللت الى الخارج ووقفت قرب جدار البيت والألم والندم والأسف يغمرني ووبخت نفسي بشدة لحماقتي وجهلي وقلة عقلي وانعدام روحانيتي وظربت رأسي بالجدار ثلاث مرات ندما لغفلتي وعدم انتباهي لمقانه قبل ذلك الحين.

الله أكبر

أعدت وليمة فاخرة داخل البيت المبارك في بغداد، كان المضيف شابا ذا ثمانية عشر ربيعا، يفيض حيوية ونشاط، أدخل الفرح والسرور لهذه المناسبة بشخصيته الجذابة، وقيامه بخدمة الضيوف بنفسه. انه حضرة عبد البهاء. يقول جناب نبيل زرندي، كان بين الموجودين عدد من مؤمني مدينتي بغداد وكربلاء، من ضمنهم العالم الكبير سيد جواد كربلائي وشيخ سلطان وسيا وغيرهم. بعد الانتهاء من الطعام وشرب الشاي، جلسنا نقرأ ونرتل الألواح والآيات، وبسرعة أصبح الجو مفعما بالروحانية الخالصة، لقد امتلأت القلوب بالمحبة الالهية وتنورت الأرواح بنور اشراق اليوم الجديد. وجاء دور ترتيل قصيدة " أز باغ الهي "، وتجلت واتضحت معاني رموزها للأصحاب وكشف النقاب عن مقام حضرة بهاء الله، فغمر الفرح والسرور كل ذي روح مخلصة في ذلك الجمع، ومليء الجو بالاثارة والطرب.

في أحد أبيات القصيدة يشير حضرة بهاء الله الى الخونة الموجودين بين الأصحاب، عند ترتيل هذا البيت، حصلت حادثة لطيفة، اذ التفت جميع الأصحاب لينظروا نحو السيد محمد أصفهاني، مما أظهر عليه الارتباك، ووسط دهشة واستغراب الجميع نهض ليقدم رقصة جميلة محاولا بها تشتيت الشكوك من حوله.

ثم.. وبـدون انـذار، فتح بـاب الغرفة وظهر الجمـال المبـارك بكمـال هيبته وألقى التحية على الجميع " الله أكـبر " وأمـرهم أن يبقـوا جالسـين ولا يقطعـوا اجتمـاعهم. وتفضل: " شاهدت روحانية المجلس، لذلك سأعطركم بماء الـورد. وعطر الجميع بكل لطافة ثم غادر الغرفة. أدخلت تلك اللحظات الليلة ذروتها، ولم يسـتطع أحد منا النـوم حتى الصباح وثمل الجميع من خمر محضره المبارك.

وكتب نبيل أعظم يقول معلقا على تلك الليلة في مذكراته: " لم تشهد عين الخليقة ليلة كتلك الليلة أبدا".

ابريق الماء

ذكر السيد طاهر مالميري أنه كانت من عادة ميرزا جعفر أحد خدم البيت المبارك، وعندما كان حضرة جمال القدم يسكن قصر المزرعة، أن يترك ابريق ماء له في الطابق العلوي خارج غرفته كل ليلة، لاحتمال حاجته لذلك أثناء الليل. وكان للقصر شرفة كبيرة غير مسورة يستعملها حضرة الجمال المبارك للحركة في كثير من الأحيان.

في ذات ليلة مظلمة وبعد أربع ساعات من الغروب تقريبا، حمل ميرزا جعفر كعادته ابريق الماء للطابق العلوي متجها للغرفة المباركة، ونتيجة للظلام الدامس وخطأ في التقدير سقط مع ابريقه من أعلى السقف الى الحديقة السفلية في قسمها المهجور. لم يكن قد استعمل هذا القسم من الحديقة بعد، وحيث أنه سقط ولم يتحرك أو يصدر صوتا، لذلك لم ينتبه له أحد، وبقي ممددا على الأرض وابريقه مقلوب بجانبه حتى اليوم التالي. وفي الصباح انتبه0لغيابه الأصحاب فبحثوا عنه كثيرا ولما لم يعثروا له على أثر، قام بعضهم باداء أعماله وواجباته نيابة عنه. بعد ثلاث ساعات من شروق شمس ذلك الصباح، ظهر حضرة جمال القدم في شرفته كعادته وتوجه فورا نحو مكان سقوط الرجل، ثم نادى باسمه (ميرزا جعفر) وعلى الفور نهض ميرزا جعفر من مكانه، والتقط ابريقه الخالي. وخرج من الحديقة وهو بصحة جيدة. وكلما سأل أحدهم ميرزا جعفر عن الحادث يقول: لا أدري، فقدت شعوري واحساسي منذ سقوطي ولم أشعر بشيء، الى أن نادى حضرة جمال القدم اسمي فانتبهت ثانية.

حادثة الاسكندرية

ارسل حضرة بهاء الله في نهاية مدة اقامته في ادرنة، نبيل أعظم في مهمة الى مصر. وكان خلالها ميرزا حسن خان خوئي القنصل الايراني في القاهرة عدوا لدودا للأمر المبارك. وحالما علم القنصل بزيارة نبيل، تقدم للسلطات المصرية باتهامات كاذبة باطلة مطالبا باعتقاله. فالقي القبض على نبيل وارسل الى سجن في القاهرة، ثم رحل الى سجن آخر في الاسكندرية، غير عالم بمصير حضرة بهاء الله ونفيه الى عكاء. فأمضى ايامه في سجن الاسكندرية المحاذي لساحل البحر.

كان مع نبيل داخل السجن طبيب سوري يدعى فارس اعتقل لاسباب مالية، فربطته علاقة صداقة مع نبيل. حاول الطبيب تحويل نبيل الى الديانة المسيحية. الا انه حصل العكس، فقد بلغ نبيل الطبيب ببشارة عودة الأب السماوي وظهور يوم الله، وفتح أمام عينيه بابا ليريه شعاع بزوغ اليوم الجديد وشاركه اخبار وعلوم الظهور الجديد. وحالا، وكنتيجة لقدرة نبيل التبليغية المدعومة بزهده بهذا العالم المادي والمسندة بعلمه ومعرفته العميقة برسالة حضرة بهاء الله، آمن فارس بحقيقة الامر المبارك وراحت نار الايمان تتقد في صدره وتملكت محبة حضرة بهاء الله كل كيانه.

وإمتلأ بالفرح والسرور وتبخرت عن قلبه قساوة ظلمة حياة السجن ووجد نفسه في وسط الجنة لأول مرة.

حدث ان رأى نبيل زرندي في منامه ذات ليلة، عندما كان معتقلا في سجن القاهرة، حضرة الجمال المبارك يؤكد له ان حياة السجن الشاقة ستنتهي بعد واحد وثمانين يوما. وذات يوم، صعد نبيل فوق سطح السجن في وقت المغيب وراح يراقب المارة. لم يمض عليه وقت طويل وهو جالس في احدى زاويا السطح، حتى شاهد باستغراب أقا محمد ابراهيم من بين المارة. كان هذا الرجل قائما على تأمين احتياجات حضرة بهاء الله واصحابه في ادرنة. وهو الآن في طريقه لشراء احتياجاتهم وهم على متن السفينة الراسية قرب ساحل الاسكندرية. فنادى نبيل بصوت عال على آقا محمد ابراهيم الذي استغرب جدا من وجود نبيل في هذا المكان، فتوجه الى بوابة السجن ونجح في اقناع الحرس في الدخول لزيارة صديقه. وهناك اخبره بمصير حضرة بهاء الله واتباعه، واشار الى السفينة التي تحمل المنفيين.

لم يستطع السجينان النوم تلك الليلة ومحبوب قلبيهما قريب منهما. فقررا كتابة رسالة باللغة العربية لحضرة بهاء الله. وتدبر فارس اقناع شاب مسيحي كان يعمل ساعاتيا في داخل المدينة يدعى قسطنطين ليوصلها الى السفينة. ووقف الاثنان على سطح السجن يراقبان السفينة في وسط البحر، يخاطبان بقلبيهما روح حضرته بالحب والوداد.

وبقلوب منكسرة، شاهدا السفينة ترفع مراسيها لتتحرك مبحرة قبل وصول قسطنطين اليها، فإنتابتهما حالة من الحزن واليأس العميق واغرورقت عيونهما بالدموع. ولكن... اذا بالسفينة تتوقف بعد ابحارها بعدة دقائق، ليصلها الشاب الذي استقل قاربا صغيرا ويصعد الى ظهرها ليسلم المظروف الى احد اتباع حضرة بهاء الله. فأخذها وقدمها لمولاه. فخلقت اخبار نبيل ومكان اعتقاله وخصوصا رسالة فارس الرقيقة، التي قرأها حضرة بهاء الله بنفسه للحاضرين بصوت عال، اثارة كبيرة على ظهر السفينة وأفرحت قلب حضرته كثيرا، بحيث قرر مشاركة اصحابه فحواها. بعد ذلك، أنزل حضرته لوحا لنبيل وفارس، أنزل فيه رحمته وبركاته عليهما، وأكد للأخير قرب موعد اطلاق سراحه. ثم دعى قسطنطين الى محضره وسلمه اللوح بنفسه مع محبته الكبيرة. كما ارسل حضرة عبد البهاء والغصن الأطهر هدايا الى نبيل.

أثرت هذه الزيارة القصيرة على قسطنطين كثيرا. فوقوفه لفترة بسيطة وجها لوجه امام مظهر الهي ومشاهدة محياه الرائع جعله مفتونا ومنصعقا عند تركه السفينة. وعند عودته لتسليم الطرد الى فارس افندي، كان يصيح بصوت عال وبحالة من الفرح والجذل: (بالله العظيم.. شاهدت وجه الأب السماوي). فنهض فارس ووجهه يطفح بالبشر والفرح وعانق قسطنطين وقبل عينيه التي شاهدت وجه مولاه.

منح لوح حضرة بهاء الله المخطوط بيد كاتب وحيه ميرزا أقا جان روحا جديدا من الحب لفارس وأشعله بلهيب نار الايمان والمحبة التي أوقدها نبيل في قلبه سابقا داخل ظلام السجن. وكما وعده حضرته، فقد اطلق سراحه بعد ثلاثة ايام، ونهض يعلن عن الامر المبارك بين جماعته. ثم جاء دور نبيل وأطلق سراحه سريعا مع أمر بمغادرة اراضي مصر. فغادرها وتوجه الى السجن الأعظم في أرض الأقدس للحاق بمولاه.

السلطان عبد العزيز

ظلم ناصر الدين شاه لجمال القدم كان بسبب حادثة الاعتداء على حياته، أما ظلم السلطان عبد العزيز فلم يكن له سبب أو مبرر. كان السلطان عبد العزيز أكثر الملوك قسوة على حضرة بهاء الله بعد ناصر الدين شاه. فهو الذي نفى حضرته من بغداد الى استنبول ومنها نفاه مرة أخرى الى أدرنة، ومنها أيضا نفاه الى السجن الأعظم (عكاء). وهو القائل: " على بهاء الله قضاء تمام حياته في السجن حتى تركه

هذه الأرض. لقد كان الله شاهدا لجميع مظالمه. حدثت ذات يوم حركة عصيان داخل الدولة العثمانية، عندما كان جمال القدم في سجن عكاء. وألقى القبض على عبد العزيز وأودع السجن. ونصب على العرش ظالم بدل آخر، انه السلطان عبد الحميد الظالم القاسي المشهور. وتوسل السلطان اللئيم عبد العزيز من زنزانته الانفرادية الضيقة أي طريقة للحصول على كمية أكبر من الطعام أو نقله الى زنزانة أوسع فلقد كانت كمية الطعام لا تكاد تسد جوعه وزنزانته ضيقة لا يستطيع الحركة فيها أبدا. لكن طلبه قوبل بالرفض الشديد ومن ثم كان عليه البقاء في ذلك المكان القذر طوال بقية حياته، الى أن يهلك جوعا وعطشا وذلة. كان يزود بالطعام والماء كل بضعة أيام، وكلما تذكره الحارس أو كان لديه وقت كاف للقيام بذلك. صادف ان مضت عليه عدة أيام وهو في زنزانته وحيد وذهب اليه الحارس كعادته للتأكد من وجوده، فاذا به يجده قد مات منذ عدة أيام دون أن ينتبه له أحد وتعفن جسده في تلك الحجرة الضيقة المغلقة، وملأت رائحته المكان وهلك ذلك الملك العظيم الذي تمتع بتلك العظمة والأبهة والسلطة التامة بهذه الطريقة المهينة، وكان نصيبه في النهاية الظلم والحقد والكراهية التي جابه بها الجمال المبارك " مظلوم العالم ". وأمضى عبد العزيز حياته كلها في السجن حتى الممات بعد أن كان قد أمر بايداع حضرة بهاء الله في السجن المؤبد طوال حياته، لكن الله قلب الأمور.

ناصر الدين شاه

انه من أشد الملوك الذين عارضوا حضرة بهاء الله، وقتلوا وهتكوا حرمة أتباعه وسفكوا دمائهم، بحيث أطلق عليه جمال القدم لقب " أمير الظالمين " لكثرة أعماله القبيحة. وهو الذي أودع حضرة بهاء الله في غياهب سجن سيا جال وتركه مظلوما فيه أكثر من أربع شهور، وهو الذي أمر بنفيه بعد ذلك الى بغداد مع عائلته المباركة في ذلك البرد القارس ولم تكن جراحه قد شفيت تماما بعد، وفي زمانه وتحت سمعه وبصره أستشهد حضرة أعلى بكامل المظلومية، وفي عهده زادت غارات الغوغاء والعوام والقتلة الوحشية ضد البابيين والبهائيين الأبرياء، وحدثت المجازر الرهيبة ولم يتحرك لايقافها، فراح ضحيتها ألاف الأبرياء. كما انه في عهده استشهد حضرة القدوس وحضرة الطاهرة وجناب ملا حسين بشروئي وجناب بديع وشهداء طهران السبعة، وحدثت مجازر قلعة طبرسي زنيريز وزنجان.

لقد أمهل الجمال المبارك، ناصر الدين شاه خمسين سنة ليميز الحق عن الباطل، والصواب من الخطأ، والبريء من المذنب لكنه بقي غافلا.

أمر هذا الظالم ذات يوم باعداد الاحتفالات والولائم تخليدا لذكرى مرور خمسين عاما على اعتلائه عرش ايران. ان المرء ليندهش حقا من صبر الله بحقه! ألم يكن هو نفس الحاكم الذي اضطهد وعذب البابيين والبهائيين! ألم يلقبه بهاء الله بأمير الظالمين! كيف اذن لم يقتص منه بسرعة وأمهله كل هذه السنين الطويلة ليعيش ويقترف كل تلك المظالم. لقد أمهله الفرصة لمعرفة الحقيقة بنفسه. ولكنه بقي كما هو منذ بادرة الشبان البابيين الثلاثة الحمقاء الذين تعرضوا له محاولين الاعتداء على حياته. بقي معتقدا ان البابيين يعملون ضد حكومته ودولته، وكان رجال الدين وحاشيته يؤججون نار جمر هذه الفكرة كلما خبت وضعفت0

في ليلة من ليالي عمره الأخيرة، رأى كابوسا رهيبا في منامه، شاهد قصره ينهار عليه بينما هو جالس فوق عرشه. قفز مذعورا من فراشه، وأرسل فورا في طلب مفسري الأحلام الملكيين الذين وصلوا على عجل واضطراب. وبعد سماعهم تفاصيل حلمه، أدركوا أن ملبكهم يعيش آخر أيام حكمه وسيموت قريبا جدا. لكن أحدا

منهم لم يجرؤ البوح بحقيقة الحلم. وبدلا من ذلك قالوا له: " يا صاحب الجلالة ليس هنالك شيء مهم، ومن الممكن مواجهتك لبعض المشاكل قريبا، فلا تزعج نفسك في مثل هذه الأحلام ". لكن ذلك لم يساعد في تخفيف حدة اضطرابه وفهم أن هنالك شيئا خطيرا وغامضا سيحدث له. ونتيجة لذلك أمر بعدم السماح لأي شخص بدخول مسجد مرقد شاه عبد العظيم صباح غد، حيث سيؤدي فيه صلاة الفجر. وقال انه سيدعو الله في صلاته غدا ليزيل عنه المتاعب ويمنحه الراحة والاطمئنان.

وعندما لاحت أول خيوط ضياء فجر صباح اليوم الجديد، ظهر ناصر الدين شاه بهيئته المهيبة، راكبا عربته الملكية، متجها الى مسجد ضريح شاه عبد العظيم يحيط به عدد من أعوانه ووزرائه. وصل المسجد وترجل من عربته ثم دخل وشرع في الصلاة.

فجأة وخلال لحظات الصلاة، تقدم منه أحد الشباب متظاهرا بتسليمه رسالة، ولكنه أخرج بسرعة مسدس من تحت ملابسه بدلا منها، وصوبه نحو الشاه وأطلق منه رصاصة الى قلبه مباشرة. وسقط ناصر الدين شاه صريعا في الحال. لقد كان هدفا كبيرا تسهل اصابته.

عندما أسرعت حاشيته لنجدته، صعق الوزراء وكبار رجال الدولة لموته السريع، لقد تمزق قلبه الأسود. فأجلسوا الجثة في العربة، واتجهوا بها الى القصر. وفي الطريق كان الوزراء يرفعون بيده الميتة ملوحين بها للجماهير المحتشدة على الطريق، لكي يبدو انه ما زال على قيد الحياة.

قصص عن حضرة عبد البهاء

اشارة أم صراحة

تفضل حضرة عبد البهاء قائلا:" دخل ذات يوم ميرزا تقي خان رئيس وزراء ناصر الدين شاه والمسؤول المباشر عن اصدار أمر شهادة حضرة الباب والعديد من المؤمنين الى أحد المجالس في طهران حيث كان حضرة بهاء الله حاضر هناك. ودار الحديث بين الحاضرين في مختلف المواضيع ليتطرق في النهاية الى معاني بعض آيات القرآن. فأشار ميرزا تقي خان بطريقة غير لائقة وتساءل بسخرية عن معنى الآية الكريمة: (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب يابس الا في كتاب مبين) الانعام 59.

عندما شاهد حضرة بهاء الله سوء تصرف الرجل واستهزائه، أجابه مؤكدا على صحة الآية السابقة وحتميتها. وعندما سأله الحاضرون توضيح معنى ذلك، أضاف: ان الآية تعني ان القرآن هو مستودع لكلمات الله ويحتوي على مواضيع مختلفة وكثيرة مثل التاريخ والتفسير والنبوآت.. الخ. وتنطوي بين صفحاته معاني لحقائق مقدسة. ولو أمعن الانسان النظر جيدا لاكتشف وجود كل شيء داخله.

بسماع ميرزا تقي هذا البيان، تساءل بطريقة ساخرة وقال: وهل أنا مذكور فيه شخصيا؟

فأجابه حضرة بهاء الله بشكل حازم: "نعم مذكور".

سأل ميرزا تقي: هل اشارة أم صراحة بالاسم؟

أجاب حضرة بهاء الله: بل واضح بالاسم.
زاد هذا الجواب من سخرية ميرزا تقي وقال: عجيب، لماذا اذا لم أجد أي اشارة لذكري في القرآن؟
أجاب حضرة بهاء الله: "ان اسمك مذكور في سورة مريم آية 18:" قالت أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ".
غضب ميرزا تقي خان لهذه الاشارة التي حطت من قدرة امام الحاضرين، لكنه حاول عدم اظهار ذلك. وعلى العكس حاول التمادي في سخريته من القرآن الكريم وحضرة بهاء الله، بدلا من السكوت والصمت بطرحه سؤال آخر، فقال: ماذا عن والدي "قربان" هل جاء ذكره في القرآن أيضا؟
أجاب حضرة بهاء الله: "نعم".
تساءل ميرزا تقي: اشارة أم صراحة بالاسم؟
أجاب حضرة بهاء الله: "لقد ذكر صراحة بالاسم في سورة آل عمران آية 183: "ان الذين قالوا ان الله عهد الينا الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار".

زواج حضرة عبد البهاء

حدثت في ايام ادرنة وقائع مهدت السبيل لزواج حضرة عبد البهاء في مدينة عكاء بعد سنين عدة. فقد كانت العادة في تلك الايام، وخاصة بين طبقة الموسرين، تدبير أمر زواج اولادهم وبناتهم ايام طفولتهم داخل محيط العائلة، ولم يكن للزوجين خيار فيما يحدث. وعندما كان حضرة عبد البهاء صغيرا يعيش في طهران، اختاروا له بنت عمه شهربانو خطيبة له. وهي ابنة ميرزا محمد حسن الأخ الكبير لحضرة بهاء الله. وبنفي حضرة بهاء الله وعائلته الى العراق، بقيت شهربانو في مقاطعة نور في مازندران حتى عام 1868م. وفي ايام ادرنة، أمر حضرة بهاء الله عمه ملا زين العابدين ترحيل الفتاة الى طهران ومنها الى ادرنة.
وبسرعة وصلت الاخبار الى شاه سلطان خانم (الأخت غير الشقيقة لحضرة بهاء الله وهي من اتباع أزل) فنهضت بكل عداء لمنع هذا الزواج، وأخذت البنت الى بيتها في طهران، وأجبرتها على الزواج من ميرزا علي خان نوري ابن رئيس الوزراء. فصعب هذا الزواج البغيض على البنت، وأسدلت عليها حالة من الحزن والكآبة الدائمة. وكتب أخوها الصغير ميرزا نظام الملك في مذكراته عنها - وهو من اتباع حضرة بهاء الله - قوله: بعد زواجها، تضرعت الى الله، وصلت بحرارة، حتى ينقذها من مصيبتها الكبرى. ويبدو ان الله استجاب لدعواتها. فبعد فترة بسيطة اصيبت بمرض السل وتوفيت.
اما بالنسبة لزوجة حضرة عبد البهاء منيرة خانم، فقد أمضت طفولتها وشبابها في اصفهان تحت حفظ ورعاية والديها وابناء عمها اللامعين. وبعد وفاة والدها، قررت عائلتها ومن ضمنهم سلطان الشهداء ومحبوب الشهداء أزوف وقت زواجها. لذلك، أعدت العدة لعقد قرانها على ميرزا كاظم أصغر أخوة سلطان الشهداء ومحبوب الشهداء.
عند حلول يوم الزفاف، مدت مائدة عظيمة وأقيمت حفلة كبيرة على شرف العروسين. وبنهاية الاحتفال، حدثت واقعة حزينة بدلت فرح الجميع الى حزن عميق. إذ أصابت العريس المعافى، وعكة شديدة وهو يتقدم الى مدخل بيته. وبدا وكأنه أصيب بضربة عجيبة أجبرت من حوله على مساعدته للوقوف على قدميه. الا ان مرضه أشتد وتوفي على أثره.
حولت هذه الحادثة المفجعة أفكار منيرة خانم عن هذا العالم المادي، وراحت تمضي ايامها ولياليها في الصلاة والتعبد. لكن الايام كانت تخبيء لها حياة اخرى. وفي

الحقيقة، كانت ظروف زواجها من حضرة عبد البهاء مثيرة جدا. والسرد التالي، كتبته بخط يدها يوضح الفرح والسرور لمثل تلك الحياة الرائعة، حيث قالت:

إذعانا لأمر حضرة بهاء الله، وصل سيد مهدي دهجي الى ايران ومر في طريقه باصفهان لنشر امر الله. فأقيمت له مأدبة كبيرة، اجتمع فيها كل الاحباء حوله يتسائلون عن اخبار ارض الأقدس وتفاصيل معيشة العائلة المباركة وحالة المساجين في قلعة عكاء. وكان من بين المتسائلين زوجة عمي شمس الضحى، وهي من عائلة سلطان الشهداء. فسألت سيد مهدي، وقالت: عندما كنت في محضر حضرة بهاء الله، هل سمعت أية كلمة عن اختيار اسم فتاة معينة، كزوجة لحضرة عبد البهاء؟ أجاب سيد دهجي، قائلا: كلا. الا انه ذات يوم، كان حضرة بهاء الله يتمشى في قسم بيته الرجالي. فإلتفت إلي، وتفضل: آقا سيد مهدي! لقد شاهدت رؤيا ليلة أمس. وهو ان وجه الفتاة الجميل التي طلبنا يدها من ميرزا حسن للزواج من الغصن الأعظم، الساكنة في طهران، صار مظلما وقاتما. وظهر في نفس الوقت، وجه فتاة اخرى لطيف المحيا، وذات قلب منور. فإخترناها زوجة للغصن الأعظم. هذا كل ما سمعته من حضرته.

وتستطرد منيرة خانم، فتقول: عند عودة عمتي الى البيت، أقسمت بالله العظيم، انه في اللحظة التي كان سيد مهدي يقص علينا رؤيا حضرة بهاء الله، خطرت في ذهنها وبدون تردد، أنني تلك الفتاة المقصودة، وانه سوف لن يمض وقت طويل حتى يتبين لنا صدق قولها. فبكيت، وأجبتها: ان هذا بعيد المنال جدا. لأني لا استحق مثل هذه النعمة. وأرجو الا تخرج من شفتيك كلمة بهذا الخصوص، ولا تتكلمي عنه لأي شخص.

وتستمر منيرة خانم بسرد قصة سفرها الى ارض الأقدس حسب تعليمات حضرة بهاء الله المتتالية الى أهلها. وتقول: انهم إلتقوا خلال الطريق بالعديد من الاحباء الذين حاولوا منعهم من الذهاب الى مقصدهم، مؤكدين لهم، انه لايمكن لأحد الدخول الى عكاء في هذه الايام، لأن بعض الاحداث المؤلمة سببت حبس الاحباء هناك من جديد، والسلطات لاتسمح بدخول أي بهائي الى عكاء. سببت هذه الانباء لنا ازعاجا شديدا، وتساءلنا عما سنفعله؟ الا ان تأكيدات شيخ سلمان (رسول الرحمن) المستمرة الواثقة، أكدت لنا ان هذه الظروف لاتشملنا، مما جعلنا نشعر بالثقة والاطمئنان، وقال اننا سندخل ارض الأقدس بكل يسر وسهولة، حتى ولو وضع جميع الاحباء في السجن والاغلال. في النهاية وبعد الكثير من المتاعب والمشاق التي لاقيناها خلال الطريق، وصلنا عكاء.

جاء افراد العائلة المباركة لزيارتنا والترحيب بنا. وذهبت معهم للتشرف بمحضر حضرة بهاء الله لأول مرة. ان حالة البهجة والسرور التي احتوتني عند تشرفي بمحضره المبارك تجل عن الوصف. وكانت أولى كلماته لي، هي: (جئنا بك الى السجن في مثل هذا الوقت الذي أقفلت فيه باب اللقاء في وجوه جميع الاحباء. ليس لسبب سوى لإثبات قوة الله القدير).

عشت بعدها في بيت آقا كليم، شقيق حضرة بهاء الله لمدة خمسة شهور، تشرفت بالمحضر المبارك عدة مرات. واستمر جناب كليم يحمل لي بركات حضرة بهاء الله اللامتناهية، كلما عاد من زيارة حضرته. ذات يوم، جاءني آقا كليم وهو سعيد جدا والفرح يطفح من عينيه، وقال: جئتك بأجمل هدية... لقب منحك إياه حضرة بهاء الله. وهو اسم جديد (منيرة).

وتضيف: قربت ليلة الزفاف، ولبست رداءا أبيضا، خاطته لي أنامل حضرة الورقة العليا المباركة. وكان أجمل من حرير ومخمل الجنة نفسها. وفي حوالي الساعة التاسعة، سمح لي بالمثول في محضر حضرة بهاء الله بمعية حضرة الورقة العليا المباركة، واستمعت الى كلماته المباركة، فتفضل قائلا:... أهلا وسهلا.. أهلا وسهلا... يا

ورقتي وأمتي المباركة.. لقد أخترناك وقبلناك لتكوني صاحبة وخادمة للغصن الأعظم. ان هذا من نعمتي عليك، ولن يساويها شيء، ولا تقاس، لا بكنوز الارض ولا بالجنة... عليك ان تكوني شكورة لحصولك على هذا الفضل والنعمة العظيمين... ان شاء الله ستكونين دائما تحت حماية الله.

اما عن حياتها مع حضرة عبد البهاء، فكتبت هذه الكلمات: ان شئت كتابة تفاصيل الخمسين عاما التي عشتها مع محبوب العالم وعن محبته وشفقته ورحمته. فسأحتاج الى خمسين عاما أخرى للكتابة عنها. مع ذلك، فلو تبدلت بحار العالم الى مداد، واوراق الغابات الى قرطاس، فلن أوف هذا الموضوع حقه.

رعـــايـــة

تأكيدا من حضرة المولى على أهمية الدواء المادي كسبيل للشفاء من الأمراض، الى جانب القوى الروحانية. إستأجر حضرته طبيبا يدعى نيكولاكي بك، وخصص له مرتبا شهريا، ليقوم مقابل ذلك، على رعاية وخدمة الفقراء والمساكين من أهالي مدينة عكاء، التي كانت تفتقر الى المستشفيات، في ذلك الوقت.

كانت تسكن المدينة، امرأة فقيرة تدعى نعوم، اعتادت القدوم كل يوم جمعة الى بيت حضرة عبد البهاء لأخذ صدقتها.

ذات يوم، جاء شخص الى منزل حضرة عبد البهاء، ليخبره، ان نعوم مريضة جدا، تستلقي وحيدة في فراشها، نتيجة اصابتها بمرض الحصبة ولا يقترب منها أحد مخافة العدوى.

وفي الحال، أرسل حضرة عبد البهاء، إمرأة لتقوم على رعاية نعوم، ثم استأجر لها غرفة خاصة، وأمر بنقل سريره الشخصي اليها. وأرسل في طلب الطبيب، واشترى لها ما تحتاجه من طعام وغير ذلك، وقام على زيارتها بنفسه، ليطمئن عليها وعلى راحتها.

الا ان المرض كان شديدا على نعوم، فلم تستطع مقاومته، وتوفيت بعد عدة أيام. فأقام حضرة عبد البهاء لها مأتما صغيرا، دفع تكاليفه هو بنفسه من جيبه الخاص.

مـأثـرة

رفض حضرة المولى، دائما، امتلاك أكثر من سترة واحدة لنفسه. وكان يعلل ذلك بقوله: "لماذا أمتلك أكثر من واحدة، بينما لايملك غيري حتى واحدة".

اقترب ذات يوم، موعد زيارة حاكم مدينة عكاء لبيت حضرة عبد البهاء. فاعتقدت زوجة حضرته منيرة خانم، ان سترته قديمة ولا تتناسب مع أهمية الزيارة، وكانت تتمنى دائما لو إمتلك واحدة جديدة، لكن حضرته، كان لا ينتبه لما يرتديه، طالما انه نظيف. ففكرت ماذا تفعل، وموعد الزيارة يقترب. أخيرا، قررت ان تطلب من الخياط، خياطة سترة جديدة لزوجها.

وفي صباح يوم الزيارة، وضعت منيرة خانم السترة الجديدة الجميلة، مكان السترة القديمة، معتقدة ان حضرته لن ينتبه، وسيرتديها بدلا عن سترته القديمة.

وعندما تناول حضرة عبد البهاء السترة الجديدة من مكانها المعتاد، انتبه للفرق، وشعر بشيء غير عادي. واذا به يبدأ يلف أرجاء البيت وينادي: "أين سترتي.. أين سترتي.. لقد نسي أحدهم سترته هنا، وأخذ سترتي بدلها".

وهنا، تدخلت الزوجة الطيبة لتوضيح الأمر. فتفضل حضرة عبد البهاء: "هل تعتقدين انني أنفق مبلغا كبيرا كهذا على سترة واحدة؟ بثمنها استطيع شراء خمسة من النوع المتوسط. ولكن ان كنت تعتقدين انني بحاجة الى واحدة جديدة. حسنا، ارجعي الى الخياط، وأطلبي منه عمل خمسة بدلا عن هذه. عند ذلك، سيرتدي معي أربعة آخرون ملابس جديدة.

كان حضرة عبد البهاء يفكر دائما بغيره قبل نفسه.

مثل أعلى

روت احدى السيدات الأمريكيات المؤمنات، تجربتها الشخصية في لقاء حضرة عبد البهاء، عند زيارتها مدينة عكاء، فقالت: كنت برفقة حضرته ذات يوم، عندما تفضل يخاطبني ويقول، بأنه مشغول جدا، وضيق وقته لا يسمح له بعيادة احد اصدقائه المرضى. وطلب مني القيام بالزيارة نيابة عنه، وأخذ بعض الطعام للمريض والاعتناء به مثل ما يفعل هو بالضبط. كنت مسرورة جدا وفخورة بهذه الثقة.

جهزت نفسي، وذهبت الى المريض لزيارته. ولكنني لم أكمل المهمة، وعدت مسرعة الى حضرة عبد البهاء، لأقول له: مولاي.. انني متأكدة إنك لم تنتبه الى أي مكان مرعب قد أرسلتني له، لقد أغمي عليّ من رائحة المكان النتنة، ومن قذارة الغرفة، وسوء حال الرجل ووساخة بيته. لقد هربت من هناك قبل ان أصاب بمرض مخيف.

نظر إلي حضرة عبد البهاء بحزن، كوالد حنون، وتفضل: "اذا كنت تطلبين خدمة الله، فعليك بخدمة أتباعه". ثم أضاف: "ارجعي الى بيت الرجل. فإن كان البيت قذرا، نظفيه. وان كان الرجل وسخا، فحمميه. واذا كان جائعا، فإطعميه. لا تعودي حتى تفعلي ذلك. لقد فعل عبد البهاء ذلك عدة مرات. أفلا تستطيعين أنت فعل ذلك، ولو لمرة واحدة فقط؟

حكمـة

قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى بسنين عديدة، أخبر حضرة عبد البهاء، الأحباء، بوجوب الاستعداد لمواجهة أيام عصيبة قادمة. وعلمهم كيف يزرعون القمح، وكيف يحصدونه، وأوضح لهم طريقة تخزينه في حفر تحت الارض دون ان يفسد.

وخلال سنين الحرب، عزلت دولة فلسطين عن العالم الخارجي، ولم يستطع سكانها الحصول على الطعام والمواد الغذائية. وبدأ الناس يعانون كثيرا ويتضورون ويموتون جوعا. وبالفعل، مات خلق كثير منهم بسبب الجوع، غالبيتهم من الفقراء.

لكن أولئك الذين كانوا يقطنون مدينتي حيفا وعكاء، نجوا وكتبت لهم الحياة بفضل حكمة حضرة عبد البهاء، وبفضل مخزون الحبوب. فتوافد الناس على مدينتي حيفا وعكاء، من كل حدب وصوب، ومن كل قوم وملة، ووقفوا أمام باب بيته كالجنود، ليوزع عليهم حصصهم.

وبهذه الطريقة، أنقذ الآف من الناس في فلسطين خلال الحرب الكونية الأولى، من الموت جوعا.

مقام حضرة أعلى

اشتهر بعض حكام عكاء باللطف تجاه حضرة عبد البهاء والأحباء، اما بعضهم الآخر، فكان يصغي الى وساوس أعدائه الناقضين، وبذلك ارتكبوا أعمالا قبيحة ومؤلمة جدا في حقه.

على سبيل المثال، أشاع بعض أعداء حضرة عبد البهاء، انه ترك عكاء، ليستقر في مدينة حيفا. وبمساعدة العديد من أصدقائه، بدأ في بناء قلعة حصينة له على جبل كرمل، وقريبا سوف يبسط سيطرته ونفوذه على كل مناطق سوريا وفلسطين وسينشيء حكومة خاصة له، بعد أن يطرد الحكومة التركية.

كان صحيحا أن حضرة عبد البهاء، ترك مدينة عكاء الى حيفا. لقد تركها بصحبة عائلته، نحو الجو اللطيف والهواء الطلق، وحقيقي ان له أصدقاء كثيرين من جميع الجنسيات من الشرق والغرب، وصحيح أنه يقوم بتشييد بناء عظيم على جبل الكرمل.

لكن هذه القلعة المزعومة، لم تكن سوى مقام حضرة الأعلى. لكن الدولة العثمانية لم تتحقق من الأمر، وصدقت الشائعات، وأصدرت أمرا باعادة احتجاز حضرته في مدينة عكاء مرة أخرى. وعادت المشاكل والمضايقات تهاجمه، مما أعاق تشييد واكمال المقام الأطهر.

ذات يوم وقف حضرته أمام ذلك المقام، وتفضل بحسرة شديدة: " لم يتيسر لنا اتمام بناء المقام الأعلى. ان شاء الله سيتم. اما نحن فلقد وصلنا به الى هذا القدر ".

ما زالـت مقـفـلـة

قرر ذات يوم، أحد حكام مدينة عكاء، وكان من أعداء الأمر، اغلاق ومصادرة بضائع ومحلات ودكاكين البهائيين الموجودين داخل سوق المدينة، ليتركهم بدون مورد رزق. فأصدر أوامره لرجال الشرطة، وقال: "هنالك خمسة عشر محلا للبهائيين في السوق. اذهبوا غدا صباحا واغلقوها جميعا، وإتوني بمفاتيحها.."

وفي نفس الوقت وفي مكان آخر.. نادى حضرة عبد البهاء جماعة الأصحاب، وتفضل قائلا: "لا تفتحوا محلاتكم غدا، وانتظروا ماذا سيبعث الله لنا.."

جلس الحاكم صباح اليوم التالي في بيته، ينتظر وصول مجموعة المفاتيح اليه. لكن رجال الشرطة، عادوا ليخبروه بأن جميع المحلات المقصودة لم تفتح هذا الصباح. انتظر الحاكم فترة من الوقت، وقال للشرطة: اذهبوا الآن، فلابد انها قد فتحت. فذهبوا، ومرة أخرى عادوا ليخبروه بأنها ما زالت مقفلة. قال: انتظروا، فلسوف تفتح.

كان موعد فتح المحلات الساعة السابعة صباحا، لكن الشرطة انتظروا حتى الساعة العاشرة ولم تفتح. جلس الحاكم ينتظر في بيته وهو متأكد من فتحها قريبا، فلا يمكن أن تبقى مغلقة للنهاية، ولسوف تفتح عاجلا أم آجلا.

في هذه الأثناء، جاء شيخ المدينة لزيارة الحاكم في بيته، فبادره الحاكم بالاستفسار عن حاله وصحته، أجاب الشيخ، انني جيد، ولكني حزين لاستلامي هذه البرقية من دمشق. تناول الحاكم البرقية فوجدها من الحكومة المركزية، وتأمر بعزله وارساله مخفورا الى دمشق على الفور.

عندما علم حضرة المولى بقصة الحاكم وما حدث له، ذهب لزيارته، وتفضل: لا تحزن لذلك، كل شيء يتغير في هذه الدنيا، قل لي، هل أستطيع خدمتك بشيء؟ تعجب الحاكم من كلام حضرته، وقال بخضوع، لقد أبعدوني عن عائلتي، وتركوهم بدون راع، لاحول لهم ولا قوة، ولا ناصح ولا معين. أجاب حضرته، ضع ثـقتك فيّ، وليسترح فؤادك، سأكون مسرورا، أن أرسل أهلك الى دمشق، تحت رعاية خاصة جدا. وستجدهم هنالك قريبا بعد وصولك ان شاء الله.

كان الحاكم سعيد جدا لوصول عائلته الى دمشق بعد فترة قصيرة. وسأل مرافقها عن تكاليف الرحلة. أجابه المرافق، لا شيء. انني أنفذ أوامر مولاي فقط. فرغب الحاكم في اعطائه هدية، مكافأة له. لكنه رفضها بأدب، قائلا، لا أريد مكافأة، انني أنفذ أوامر مولاي ولا أستطيع قبول أي شيء. عندها قال الحاكم: أرجو أن تستريح قليلا، وتتناول شيئا من الطعام وتقضي ليلتك هنا، وغدا ارجع الى فلسطين. أجابه الحارس، شكرا جزيلا، لا يمكنني ذلك، يجب علي العودة فورا، فهذه أوامر مولاي. تعجب الحاكم كثيرا لهذا الولاء وهذه الأمانة. وطلب منه ايصال الكلمات التالية الى حضرة عبد البهاء: "يا عبد البهاء.. انني أصلي حتى تغفر لي، انني غافل، لم أعطيك حق قدرك، لقد ارتكبت بحقك كثير من الحماقات، لكنك كافأتني خيرا ".

هدايا الأموال مرفوضة

لا يقبل حضرة عبد البهاء، هدايا الأموال من أي شخص أبدا، وعلى العكس من ذلك، كانت الهدايا البسيطة، تجلب له الفرح والسعادة ويقبلها بكل سرور، وكثيرا ما

كان يعود ويهديها مرة ثانية الى زائريه، مثل منديل أو علبة حلوى أو سلة فواكه أو باقة ورد، وغير ذلك من الهدايا البسيطة والجميلة. وكان زواره يتزاحمون للحصول على مثل هذه الهدايا منه، فلقد احتفظ أحد الأمراء الايرانيين بزوج من النعال ذي الجلد الفاخر، حصل عليه كهدية من حضرته.

قالت احدى السيدات ذات يوم لحضرته وهي تحمل بيدها شيك بمبلغ من المال، لقد أرسل أحد الأحباء هذا المبلغ ثمنا لسيارة تستعملها في أسفارك داخل أوروبا وأمريكا. أجابها: قبلت المبلغ، مع شكري الجزيل لصديقك. واستلم الشيك بكلتا يديه المباركتين، ثم تفضل، وانا أعيده بدوري لينفق في شراء هدايا للفقراء.

فـارس

لم تترك الحكومة البريطانية، خدمات حضرة عبد البهاء لأهل فلسطين، تذهب دون الاعلان عنها والاحتفال بها. ففي 27 ابريل منحت الحكومة البريطانية حضرة عبد البهاء لقب فارس (سير)، في احتفال بسيط أقيم في مدينة حيفا، تقديرا لخدماته الجليلة تجاه سكان فلسطين. لقد كان السرور باديا عليه يوم الاحتفال، لما قدمه من خدمات انسانية للسكان، وليس لغير ذلك.

عندما اجتمع ممثلوا الحكومة في مدينتي القدس وحيفا، لتكريم حضرته، ارسلوا احدى سياراتهم الفخمة، لنقله من بيته الى مكان الاحتفال. لكنه لم يكن هناك، فبحثوا عنه في كل مكان دون فائدة. والحقيقة ان سبب اختفائه، هو ان اسفنديار سائق عربته الخاص منذ عدة سنوات، كان مسرور جدا بعمله ومهنته وبخدمة سيده، وعندما شاهد تلك السيارة الفخمة واقفة أمام بيت مولاه، تأثر وحزن كثيرا، وقال يخاطب نفسه: لم تعد هنالك بعد الآن حاجة لخدماتي.

وعندما شاهد حضرة عبد البهاء، امارات الحزن بادية على وجه خادمه، فهم السبب على الفور. وأشار اليه بالاسراع في تجهيز عربته والاستعداد للمسير. فأسرع السائق فورا لتنفيذ أمر مولاه بكل سرور. ولم تمض لحظات حتى ظهرت العربة جاهزة، يعتليها اسفنديار بثغر باسم. لقد كان مزهوا لشعوره بقيمة خدماته رغم وجود تلك السيارة الفخمة.

طلب حضرة عبد البهاء من سائق عربته أن يأخذه الى مكان الاحتفال عبر طريق فرعي صغير، ليتجنب جموع المستقبلين، فلم يكن يرغب أن يكون موضع حفاوة بالغة. وبدون أن ينتبه له أحد، ظهر يمشي بطريقته الملوكية.

لم يستعمل حضرة عبد البهاء لقب (فارس) في حياته قط. وكان معروفا ببساطة، فقط: بحضرة المولى أو عبد البهاء.

درس لطيف

ان رفقة حضرة عبد البهاء، تكسب القلوب الفرح والسعادة، وتساعد في تحسين الاخلاق.

ذكرت احدى السيدات ذات يوم اسم احد الأحباء بشيء من الخشونة أمام صديقاتها خلال زيارتها لأرض الأقدس، في الوقت الذي كان فيه حضرة عبد البهاء يتفقد بعض الفقراء والمرضى. وفور عودته، أرسل حضرته في طلب احدى من سمعن ما قيل، وقال لها: "عندما كنت بعيدا، سمعت شخصا يتكلم عن اخر ببعض الخشونة. وأنت ايضا، عليك بالدعاء وطلب المغفرة لنفسك".

عندما حان موعد العشاء، وإلتف الجميع حول المائدة، لم تبد على السيدة الأولى، أية علامة على ادراكها حقيقة ما ارتكبته، وكانت تتصرف بشكل عادي. لكنها،

وبمجرد التقاء عينيها، بعيني حضرة عبد البهاء المملوءة بالرحمة والنبل، أدركت ما يريد قوله من خلال نظرته، واذا بها تنفجر في بكاء مرير.

فلم يظهر حضرته أي اهتمام لها لفترة قصيرة، وتركها تبكي، بينما استمر الحاضرون في تناول عشائهم. بعد قليل إلتفت نحوها مبتسما، ونادى عليها عدة مرات لتقترب منه. وما هي الا لحظات، حتى شعرت السيدة بسعادة عذبة جدا لا توصف لمغفرته لها.

ومنذ ذلك الحين، أدركت انها ستكون أكثر محبة ورحمة تجاه الآخرين.

كـوب مـاء

من المزايا والقوى العديدة التي اكتسبها حضرة عبد البهاء من والده حضرة بهاء الله، معرفة ما في الصدور، دونما حاجة الى التصريح والكلام.

جلس حضرة عبد البهاء مع جمع من الاحباء حول المائدة في احدى وجبات العشاء، وبجانبه جلست احدى السيدات تستمع باهتمام كبير لنصائحه وحكمه. وبينما حضرته مستمرا في الحديث، نظرت السيدة الى كوب ماء أمامها، وقالت في سرها متمنية: "ليته يفرغ قلبي من تعلقه بهذه الدنيا، ويملأه بالحب الالهي والحكمة، كما يفرغ هذا الكوب من الماء ويملأ ثانية".

لقد كانت فكرة عابرة.. مجرد فكرة. الا ان حضرة عبد البهاء، استطاع قرائتها. وبينما هو مستمرا في حديثه، توقف قليلا، وأشار الى الخادم بالاقتراب منه، وببضع كلمات فارسية، ودون اثارة انتباه الحاضرين، أصدر أوامره.

تقدم الخادم من طاولة السيدة، وتناول الكأس من أمامها، وذهب ليفرغه، ثم عاد ليضعه خاليا في مكانه مرة أخرى، بينما حضرة عبد البهاء، كان ما يزال مستمرا في حديثه. وبدون اثارة انتباه احد من الحاضرين، وبطريقة عادية وطبيعية جدا، شرع حضرته في مليء الكأس مرة ثانية.

لم ينتبه الحاضرون لما يجري، ولم يدرك احدا منهم ما يدور. لكن كان هناك شخص وحيد فقط، فهم معنى ما حدث. ففي نفس اللحظات التي كان الكأس يمتليء فيها بالماء، كان قلب السيدة يمتليء معه بالسعادة والسرور والمحبة.

وأدركت السيدة ان جميع الرغبات والأفكار، مهما كانت سرية، مكشوفة أمام حضرة عبد البهاء، مثل كتاب مفتوح، وان حبه يكفي الجميع ويحيطهم.

وعادت لها الحيـاة

لحضرة عبد البهاء القدرة على عمل المعجزات، من خلال القدرات العديدة التي وهبها له حضرة بهاء الله. ومن تلك القدرات، استطاعته شفاء المرضى. وهذه المعجزات، لاتستعمل في اثبات حقيقة الدين البهائي، لكنها تستعمل للتداول بين الاحباء فقط. وهذه القصة مثال على ذلك.

في يوم من أيام سنة 1916م، قام حضرة عبد البهاء، برحلة من مدينة عكاء الى قرية الناصرة. وبسبب طول الطريق، وكبر سن حضرته، شعر بالتعب من كثرة الجلوس في العربة، توقف للاستراحة في احدى القرى الواقعة على الطريق، وحل ضيفا في بيت شيخ القرية. وحال تشريفه المكان، أسرع رجال القرية وأعيانها للاجتماع به والاستفادة من نصائحه وحكمته، وعرضوا عليه مشاكلهم، طالبين النصح والارشاد.

أما شيخ القرية، فبعد شكره حضرة عبد البهاء، على هذه الزيارة الجميلة وعلى ما قدمه من مساعدات في حل مشاكل أهل القرية، قال: "زيارتكم لنا، ستنزل علينا جميعا، البركة والرحمة السماوية بلا شك. ولكن، لي رجاء والتماس أخير من حضرتكم، أرغب في تقديمه".

تفضل حضرة عبد البهاء: "سأكون سعيدا لتلبيته، ان استطعت عليه. ما هو طلبك؟".

قال الشيخ: "ان الله سبحانه وتعالى، لم يرزقني الا ببنت واحدة فقط، وهي الآن في الرابعة عشرة من عمرها، وهي مصابة منذ سنتين بمرض السل (التدرن الرئوي). ولقد أجمع الكثير من الاطباء، على عدم جدوى علاجها. وأنا أعتقد تماما، ان صليتم لأجلها، فستكتب لها حياة جديدة. نحن متأكدون من قبول الله تعالى لصلاتكم، وكلنا يعلم ان فضل عبد البهاء، يظلل الجميع. فحضرتكم، لا تسألون ان كنا نستحق الفضل أم لا". بعد هذه الكلمات، لم يتمالك الشيخ نفسه، وانفجر في البكاء.

نهض حضرة عبد البهاء من مكانه، وواسى الشيخ ببضع كلمات لطيفة، وسأل: "أين ابنتكم؟".

أجابه المختار: "انها في الغرفة الاخرى".

توجه حضرة عبد البهاء الى حيث تستلقي البنت، فوجد صبية هزيلة جدا، مجرد عظام مكسوة بجلد، ممدة على فراش موضوع على الارض. وكانت والدتها ومجموعة من الاقرباء يجلسون حول رأسها، منهم من يقوم على تمريضها والعناية بها، ومنهم من انشغل في البكاء والنحيب.

اقترب حضرة عبد البهاء من البنت، وجلس بجانب رأسها، وأخذ يدها ليقيس نبض قلبها. كانت حرارة جسدها مرتفعة، وسعالها مستمر دون توقف، وبصاقها مملوء بالدم. مد حضرته يده المباركة الى جبينها، وبدأ بملاطفتها، ثم طلب فنجان من الشاي، تناول قسما منه، وبدأ بتلاوة الدعاء والمناجاة لمدة خمس دقائق تقريبا، وخلال فترة الدعاء، وضع يده على جبينها مرتين. بعدها، راح يسقي البنت بقية الشاي بواسطة ملعقة. بعدها، قرأ الدعاء لها مرة اخرى لمدة عشر دقائق. أخيرا، نهض من مكانه، وخاطب الوالدين بصوت مرتفع: "اتكلوا على الله، وكونوا واثقين انه سينعم على ابنتكم بالشفاء التام، لاتحزنوا ولا تبكوا، اعتنوا بها فقط، وستكون هذه الطفلة بخير خلال مدة بسيطة. بعدها عاد حضرته الى غرفة الضيوف، وجلس لمدة قصيرة، ثم ألقى تحية الوداع لجميع الحاضرين ومضى ليعتلي عربته وغادر المكان.

في تلك الليلة، بدأت الفتاة تتصبب عرقا غزيرا، ثم أخذت حرارتها بالانخفاض.

وحسب رواية والدها، أصبحت ابنته بصحة جيدة خلال شهرين، وتزوجت في سنة 1922م، ورزقت ثلاثة اطفال أصحاء. أما والدها شيخ القرية، فقد كان يردد قصةابنته أينما ذهب، وينهي كلامه في كل مرة: "لقد عادت لي ابنتي، بسبب قداسة حضرة عبد البهاء فقط".

خادم البهاء

وقف شخصان عربيان أمام بوابة فندق "فكتوريا" في مدينة بوسطن، صباح ذات يوم، ينتظران، وملامح السرور بادية عليهما.

وعندما خرج حضرة عبد البهاء من الفندق بعد قليل، وهو برفقة مجموعة من الأحباء، هرول نحوه الرجلان مسرعين، ورميا بنفسيهما تحت أقدامه المباركة، وهما يصيحان: " يا رسول الله.. يا رسول الله ". فانحنى حضرته عليهما يرفعهما بيده المباركة، وتفضل: " أنا لست رسولا من الله.. أنا خادم البهاء ".

وردتيـن

ذكرت احدى السيدات قصتها عندما زار حضرة عبد البهاء، ابنتها المريضة، فقالت: شرفنا حضرة عبد البهاء في بيتنا وهو يحمل بيده وردتين جميلتين، فوضع الأولى بيدي والأخرى بيد صغيرتي، وتفضل: "عليك بالصبر".

في تلك الليلة، توفيت ابنتي الصغيرة، وحزنت عليها حزنا شديدا. وعندما تشرفت بمقابلته مرة ثانية، سألته عن سبب وفاة طفلة بريئة لطيفة وصغيرة وجميلة، لم تتلوث روحها بعد بأمور الدنيا؟

أجاب حضرة عبد البهاء: هنالك حديقة الهية.. أشجارها البشر، وبستانيها هو الله. وعندما يرى البستاني الحكيم أن هنالك نبتة صغيرة في حديقته، لا تنمو بشكل جيد، أما بسبب ضيق المكان أو قلة الشمس أو قلة الماء، فقد يقرر عند ذلك نقلها من مكانها الى مكان أفضل، لتنمو وتثمر. أما بالنسبة للنباتات الأخرى والأشجار القريبة من النبتة الصغيرة، فسيصيبهم العجب، ويقولون: لقد كانت شجرة جميلة، لماذا أقتلعها البستاني؟ لقد ماتت هذه الشجرة الصغيرة المسكينة بقلعها من مكانها، لو كان قد تركها تنمو لأصبحت شجرة عظيمة وجميلة.

في الحقيقة، انهم لا يعلمون السبب، ولا يفهمون حكمة قلعها، ولا الى أين تم نقلها.

وأنت الآن تبكين لفراق ابنتك، لكنك لو تشاهدين جمال مكانها الحالي، فسوف يمتليء قلبك بالفرح، ولن يدخله الحزن أبدا. انها الآن حرة تغرد ألحانا الهية، مثل الطيور. لو تشاهدين تلك الحديقة بنفسك، فسيأخذك الانجذاب اليها، ولن تصبري أبدا لبقائك هنا على الأرض.

صديق الملك

أجبر أحد الأحباء على النوم في الفراش لمدة طويلة بسبب حادث وقع له، فزاره حضرة المولى، وقص عليه حكاية، توضح واحدا من الأسباب العديدة للمعاناة والألم. فتفضل:

كان هنالك ملك حكيم أراد ذات يوم تعيين أحد أصدقائه الأوفياء في منصب عال وحساس في مملكته. ولكن بدلا من تسليمه امور المنصب الجديد، أمر بايداعه السجن. تعجب الصديق كثيرا، فلم يكن يتوقع مثل هذه المعاملة من صديقه الملك. وبعد مدة طويلة، أمر الملك باخراج الصديق من السجن ومعاقبته بالجلد. فزاد هذا التصرف من تعجب الصديق كثيرا، فلم يكن يفهم ما يجري، كما انه لا يتذكر انه ارتكب جرم يستحق عليه مثل هذا العقاب. بل كان متأكد من محبة صديقه الملك له.

بقي الصديق في السجن واستمر معه الجلد والتعذيب بين فترة وأخرى. بعد فترة طويلة من الضيق والمعاناة والعذاب، فتحت باب السجن، وسحب الرجل الى منصة الشنق. ووسط استغراب ودهشة الصديق، وضع حبل المشنقة في رقبته، وصدر الأمر بالتنفيذ، فسحبت الأرض من تحته، وتدلى جسده معلقا في الهواء.. وبدأ الرجل يشعر بالموت يأخذه.

فجأة، صاح الملك، آمرا بوقف التنفيذ وانزال الرجل من مكانه، واعادته الى بيته ليعالج من جراحه.

بعد مضي فترة طويلة، وبينما كان الصديق جالس بقرب الملك، التفت اليه يسأله، وقال: رغم كل الذي فعلته بي، فأنا متأكد من صداقتك ومحبتك لي. قل لي لماذا فعلت كل ذلك معي؟ أجاب الملك: لقد قررت أن تكون رئيسا للوزراء. وأردت أن تعرف وتشعر بالظلم، وترى ما يعانيه الناس من الآلام عندما تصدر بحقهم مثل هذه العقوبات الظالمة. والآن، لقد أصبحت مناسبا جدا لمنصبك الجديد. أنت صديقي العزيز، وأنا أحبك كثيرا، لذلك أردت أن تكون كاملا.

الصلاة هي الثقة بالله

جاءت احدى السيدات الفقيرات الى حضرة عبد البهاء شاكية، وقالت: لقد سجن أخي منذ ثلاث سنوات، كان يجب أن لا يسجن، انها ليست غلطته، لقد كان ضعيف الشخصية والارادة، وتأثر بآراء الآخرين وتبعهم. ان حبسه سيستمر لأربع سنوات أخرى، ووالداي حزينان جدا. كما توفي شقيق زوجي، معيل عائلتنا الوحيد.

أدرك حضرة عبد البهاء، مقدار تعاسة هذه العائلة ودرجة حرمانها وفاقتها، لكنه مع ذلك، تفضل: " لا تحزني يجب أن تثـقي بالله ".

صاحت المرأة: ولكن كلما أثق بالله أكثر، تسوء أحوالنا أكثر.

أجابها: انك لم تثـقي بالله أبدا.

أجابت: ان والدتي تقرأ الانجيل طوال الوقت، وهي امرأة طيبة لا تستحق كل هذا، انها ضعيفة، كيف يتركها الله هكذا؟ وأنا كذلك، أقرأ الانجيل، وأصلي وأسبح كل ليلة.

نظر اليها حضرة عبد البهاء بعطف وتفضل: " ان الصلاة ليست قراءة الانجيل. الصلاة هي الثقة بالله وقبول مشيئته. يجب أن تكوني صبورة وتقبلي مشيئة الخالق. حينئذ سوف تتغير الامور بالنسبة لك، اتركي عائلتك بيد القدرة الالهية، ثقي بالله وبأفعاله، كوني قوية كالسفينة ولا تدعي الأمواج تغلبك، بل امتطي أمواج المصاعب والبلايا بقوة دائما.

مشاكل ومتاعب

جاءت احدى السيدات من الغرب ذات يوم وتشرفت بمحضر حضرة عبد البهاء، وجلست تقص عليه متاعبها. وجلس هو يستمع لها لمدة طويلة وهي مشغولة بالكلام، تحكي وتحكي. في الحقيقة، لم تكن مشاكلها مهمة وكبيرة، لكنها كانت تظنها كذلك. بعد فترة، اعتذر حضرته منها. ونهض قائلا، ان لديه عدة مواعيد مهمة أخرى، يجب عليه تأديتها. وأشار الى رجل من خلال النافذة، وتفضل: "سوف أدعو ذلك الرجل الى هنا، ليجلس معك، فلديه مصاعب ومشاكل كثيرة سيقصها عليك. ان اسمه الحاج ميرزا حيدر علي، ولقبه "ملاك جبل الكرمل" انه يعيش في الجنة ولكنه يمشي على الأرض".

خرج حضرته الى الحديقة، وعاد بصحبة جناب حيدر علي. قدمه للسيدة، ثم تركهم وذهب لانجاز أعماله. شرع ميرزا حيدر علي بالكلام مع السيدة بخضوع وخشوع واسلوب لطيف، تكلم عن أيام حياته الماضية وعن حاضرهم وعن العصر الالهي الموعود. وجلست السيدة تستمع وتستمع بصبر نافذ. الا انها قاطعته بعد فترة، وقالت: لكن حضرة عبد البهاء، أخبرني بأنك رجل صاحب مصاعب ومتاعب وبلايا كثيرة، ولقد أرسل في طلبك لتحدثني عن ذلك. نظر ميرزا حيدر علي الى السيدة باستغراب، وقال: متاعب؟ لماذا ياسيدتي؟ أنا رجل بسيط ليست لدي مشاكل، بل في الحقيقة، أنا لا أعرف بالضبط، ما هو معنى المشاكل.

لقاء جميل

أمضى حضرة عبد البهاء، أكثر من خمسين عاما، في السجن والنفي، ولم يدخل المدارس في طفولته، ولم يختلط بطلاب العلم والجامعات في شبابه، كما انه لم يقرأ

ما معروف من الكتب العالمية، ولم يدخل، مع رجال الفكر والثقافة، في مناقشات علمية، حتى أواخر أيام حياته.

حدث عندما زار حضرته أوروبا وأمريكا، أن قابل العديد من العلماء والفلاسفة والقياديين والرجال البارزين وغيرهم.

كان الناظر اليه، يعتقد لأول وهلة، بأنه غير مهيأ لمقابلة مثل هؤلاء. لكن العكس كان يحصل دائما، اذ ان حضرة عبد البهاء، يتكيف مع كل ظرف ومع كل موضوع، فيدخل في صلبه تماما، فهو أكثر علما من غيره، ولديه جوابا لكل سؤال أو مشكلة. اضافة لذلك، فهو لا يظهر للمقابل، انه أكثر دراية ومعرفة منه، انه متواضع جدا، محب ومهتم بشؤون الآخرين، لطيف مع كل من تقابل معه، يرى وجه الله في كل وجه.

جاء ذات يوم، أحد القساوسة لمقابلته وكتابة موضوع عن حضرته، لاحدى المجلات. كان واضح منذ البداية، أن القس غير مهتم، لا بحضرة عبد البهاء ولا بالدين البهائي، واستمر طوال وقت المقابلة بالكلام، يسأل بين الحين والآخر أسئلة بسيطة، وكان حضرته يجيب عليها باختصار، وأحيانا بنعم أو لا فقط، ولم تبدو عليه أى علامة انزعاج من طريقة مقابلة القس له. لقد كان مهتما بالسائل أكثر من الأسئلة.

جلس حضرته باسترخاء تام، واضعا يديه في حجره وراحتاه الى الأعلى كعادته دائما، ينظر الى القس نظرة المحب المتفهم، ووجهه يشع بنور داخلي فوق الوصف. بينما كان القس مستمر بالكلام دون توقف. أما الحاضرون، فقد تسائلوا، وقد فقدوا صبرهم، لماذا لا يوقف حضرته هذه المقابلة؟ انه يدرك تماما عدم فائدة الكلام مع مثل هذا الرجل، فانه لا يبدو عليه الاهتمام سوى بما سيدره عليه الموضوع من ربح. لكن حضرة عبد البهاء كان يشجعه ويحثه على الكلام.

أخيرا، انتهى القس من طرح اسئلته، وصمت عن الكلام، وعم الغرفة هدوء وسكون. عندها، بدأ حضرة عبد البهاء بالكلام، بصوته الرنان الشجي الجميل. وكانت الجمل تترجم الواحدة تلو الأخرى. تكلم عن قداسة المسيح وحبه العظيم للجميع، حتى وهو فوق الصليب، وتكلم عن أهمية الرسالة المسيحية، وحاجة البشر للاتصاف بصفات الله، وكذلك حاجة رجال الدين، حتى يستطيعوا التأثير في قلوب البشر. وتكلم عن مملكة الله في الأرض، التي نصح السيد المسيح بالصلاة من أجلها، والتي جاء حضرة بهاء الله لتأسيسها على هذه الأرض، حسبما وعد السيد المسيح.

وفي خلال دقائق، تبدل القس الى شخص آخر، وأصبح شخص خاشع خاضع، ثم ما هي الا لحظات، حتى ترك مكانه، وجلس عند أقدام حضرة عبد البهاء المباركة، يتتلمذ، كأنه نقل الى عالم آخر، كما هو الحال بالنسبة للجميع.

بعد فترة، نهض حضرته وعانق القس، ثم شيعه الى الباب، توقف حضرة عبد البهاء قليلا، ونظر الى باقة ورد تحتوي على أكثر من ثلاثين وردة بسيقان طويلة، كان قد أحضرها أحد الأحباء عند الصباح، ولما لم تكن هنالك مزهرية كافية لاحتوائها وضعت داخل مظلة مطر.

ضحك حضرته بصوت مرتفع، وانحنى ليجمع الزهور بيديه ثم سلمها بيد الزائر، فاحتضنها القس فوق صدره، وهو في حالة من التعجب والذهول، ووجهه المستدير وشعره الأبيض يطلان من فوق حزمة الورد، وعلامات الاستغراب والخشوع والتغيير لم تزل بادية عليه وقت انصرافه.

نعم، ان حضرة عبد البهاء، يعرف جيدا، كيف يعلم الناس، محبة الله.

مـدخـن

شعر أحدهم ان التدخين هو سبب مرضه المزمن، وحاجته للمرة الثانية، لاجراء عملية جراحية خلال سنة واحدة فقط. كان الرجل يفتخر أمام أصدقائه بقدرته على ترك التدخين وقتما يشاء وبكل سهولة. لقد أقلع قبل ذلك عدة مرات، ولشهور طويلة،

أما الآن، فلم يستطع ذلك، وهذا ما بدأ يقلقه. فلم يستطع الاقلاع أكثر من يومين فقط. لذلك، قرر طلب المساعدة من حضرة المولى، لعلمه ان حضرة عبد البهاء، سبق وان طلب من الأحباء ترك عادة التدخين، لذلك كان يأمل المساعدة بطريقة ما.

تشرف باللقاء، وشرع يحكي قصته، كان كصبي صغير يعترف أمام والده، ولم يمض الا وقت قليل، حتى تحشرجت الكلمات في فمه، ولم يستطع اتمام حديثه. فنظر اليه حضرة عبد البهاء، بطريقته المحببة، وأدرك مقصده تماما، ثم تفضل يسأله: " ما هي كمية تدخينك؟ ".

وبعدما سمع حضرته الجواب، تفضل: " لا أعتقد ان هذه الكمية تؤذي صحتك، في الشرق، هناك من يدخن طوال الوقت، وشعورهم ولحاهم وملابسهم كلها مملوءة برائحة الدخان الكريهة. وبما انك تدخن منذ زمن بعيد ولا تفعل مثل ذلك، فلا أعتقد أنها تزعجك كثيرا. تفضل بذلك، وعيناه تظهران ابتسامة روحانية لطيفة. استغرب الرجل، مما سمعه، فحضرته لم يلق عليه محاضرة عن مساؤيء التدخين، ولم يشرح له آثاره السلبية على الصحة. بل أعطاه الحرية الكاملة في التدخين. ولم يفهم الرجل ما يجري بالضبط، لكنه شعر بارتياح عظيم من نتائج اللقاء، وباحساس غريب ولذيذ، واختفى قلقه وانزعاجه.

استمر الرجل، طوال ذلك اليوم في التدخين دون الشعور بالذنب، لكن المفاجأة حدثت بعد يومين، فقد لاحظ الرجل اختفاء رغبته في التدخين تماما، وانقطع عنه ولم يعد له الا بعد مرور سبع سنوات.

نبوءة

سأل أحدهم حضرة عبد البهاء، وهو في لندن: " هل من الممكن أن يسعد هذا العالم التعيس؟".

تفضل حضرته: " قبل حوالي ألفي سنة، طلب السيد المسيح، من أتباعه ترديد هذا الدعاء، "ان مملكة الله قادمة، انها ستكون مثل جنته في السماء. قل لي: هل تعتقد أن السيد المسيح، يأمرك بدعاء غير ذي فائدة؟ انها نبوءة في نفس الوقت".

عاد الرجل ليسأل: ولكن متى تكون هذه المملكة؟ ومتى تكون تلك الجنة؟

تفضل: "انها تعتمد على درجة خدمة كل فرد لهذا الأمر المبارك، ليلا ونهارا، اذهبوا وشوقوا الآخرين واجمعوهم في وحدة واحدة، من يعمل منفردا، مثله كمثل نحلة فريدة، ولكن وسط الجمع، يصبحون كالنسور، انهم كقطرات الماء، عند الاتحاد، يشكلون نهرا عظيما، يحمل الماء النظيف الى صحاري العالم، وحينما يفيض هذا النهر العظيم، سوف يمحو عن وجه العالم، كل معالم الحزن والأسى.. اتحدوا.. اتحدوا.. من الخطر أن تكونوا قطرات منفردة، فأما أن تهرق، وأما أن تتبخر.

نور المصباح

خلال أيام زيارة حضرة عبد البهاء الى الغرب، حاول العديد من المصورين التقاط بعض الصور له. ووقف كثير منهم يحملون كاميراتهم خلف باب غرفته، ينتظرون أول فرصة لذلك.

في احدى المناسبات، قالت صاحبة المنزل ومضيفة حضرته، لأحد مصوري الصحف: " أترى انه من اللائق الاصرار على تصوير ضيف قادم من بلاد أخرى رغما عنه؟

أجابها المصور: بالطبع لا. لكنه اذا نجح الآخرون في ذلك ياسيدتي، وفشلت أنا، فسيعتقد رئيسي بأنني أحمق.

ضحك حضرة عبد البهاء كثيرا، عندما أخبرته ربة البيت، بحوارها مع المصور، وتفضل: " ان كان لا بد من الصورة، فمن الأفضل التقاط واحدة جيدة. ان صور

الصحف تبدو رديئة جدا ". ثم وافق على التقاط بعضها ارضاء لأصدقائه. وتفضل كذلك: " صورة الانسان ليست ذات أهمية كبيرة، انها تظهر وجوده المادي والشخصي فقط، ان الجسد هو المصباح، أما ما هو أكثر أهمية منه، فهو النور المشتعل داخله، وهذا ما لا يمكن رؤيته في الصورة ".

وردة سوداء

عندما كان حضرة عبد البهاء، يسير في أحد شوارع نيويورك وبصحبته عدد من الأحباء الايرانيين والأمريكيين، انتبه الأطفال في الطريق، الى منظرهم غير العادي، وملابسهم الطويلة، وأغطية رؤوسهم الغريبة، وكالعادة بدأوا بمتابعتهم وترديد كلمات غير لائقة. ثم راحوا يرمونهم بالحجارة والعصي.

لم تتحمل السيدة كيني مضيفة حضرة عبد البهاء مشهد معاملة مولاها بهذه الطريقة، فتخلفت عن الجمع قليلا، لتكلم الصغار وتحاول تغيير سلوكهم. وبكلمات قليلة، أوضحت لهم، بأن هذا رجل مقدس، أفنى حياته في سبيل سعادة البشرية، وهو الآن في طريقه لمخاطبة جمع من الناس.

سألها كبيرهم: ألا يمكننا الذهاب معكم أيضا؟

أجابت: لا يمكنكم الآن. ولكن، اذا أردتم ذلك، فهذا عنواني. وسأهيأ لكم فرصة لقائه يوم الأحد القادم.

كانت السيدة كيني، متأكدة من عدم حضور الأولاد. ولكنهم حضروا في اليوم المحدد، وكان عددهم بين عشرين وثلاثين طفلا من الطبقة الفقيرة. لكن منظرهم كان جميلا، كما لو أنهم ذاهبون الى احتفال كبير. تسلقوا سلم البيت الخارجي، وأصوات وقع أقدامهم تهز المكان، وهم يتبادلون الحديث بصوت مرتفع. وتدافعوا للدخول بدون تردد الى غرفة حضرة عبد البهاء، عندما فتح لهم باب غرفته. لقد كان بانتظارهم عند الباب، ورحب بهم جميعا، اما بالمصافحة أو بالتربيت، وبابتسامة وضحكة، كأنه من سنهم ومن جيلهم، لقد ملئت حركتهم وضوضاؤهم أجواء غرفته.

وكان من جملة الداخلين صبي أسود، دخل متأخرا بعد دخول الجميع. كان الملون الوحيد بينهم، وفي الثالثة عشر من عمره، دخل متعثرا ومترددا، وهو يعتقد أنه شخص غير مرغوب به. وعندما وقع بصر حضرة عبد البهاء عليه، أشرق وجهه بابتسامة سماوية، ورفع يديه مرحبا بطريقة ملوكية، وصاح بصوت مرتفع: "هاكم هذه الوردة السوداء". فجأة، خيم سكون تام على الغرفة، وأشرق ذلك الوجه الأسود بالنور والسعادة والمحبة. ونظر الأولاد للصبي، بنظرة جديدة، فلم يخطر ببالهم أنه لطيف مثل وردة سوداء. وعندما استقر الصغار في أماكنهم وقلت حركتهم وهدأوا، وأعطوا حضرته اهتماما أكثر، بدأ في مخاطبتهم والتكلم معهم. أما الولد الأسود، فكان يحظي بنظرات اعجاب من زملائه بين الحين والآخر. لقد تعلموا درسا جديدا دون أن ينتبهوا.

خلال ذلك الوقت، أرسل حضرة عبد البهاء، شخصا ليشتري حلوى للضيوف الصغار، وعند احضارها، بدأ يوزعها عليهم بنفسه. يغرس يده في العلبة، ويمدها مملوءة لكل واحد منهم، مع ابتسامة رقيقة وكلمات لطيفة. بعد الانتهاء من الجميع، عاد حضرته الى الطاولة ووضع عليها علبة الحلوى، ولم يتبق فيها الا القليل، مد حضرته يده ليلتقط واحدة سوداء طويلة، والتفت الى الأولاد، الذين مازالوا يراقبونه باهتمام متوقعين شيئا جديدا. اتجه حضرته بدون كلام صوب الولك الأسود، وبنظرة حادة بشوشة شملت جميع الحاضرين، وضع يده المباركة على كتف الصبي وقرب الحلوى من خده الأسود. ومن خلال شعاع ابتسامة وجهه المبارك التي ملأت الغرفة، لم يكن هنالك حاجة للكلام، لقد فهم الأولاد المعنى.. ان هذا الولد الأسود، ليس وردة سوداء فقط، بل حلوى لذيذة أيضا. ثم تفضل حضرته يخاطبهم: " ستجدون صديقكم هذا لذيذ، مثل مذاق الحلوى السوداء، اذا ذقتم حلاوته في يوم من الأيام ".

صديقي كريكوري

أقام أحد الموظفين في بيته في مدينة واشنطن، حفلة غداء على شرف حضرة عبد البهاء. فذهب حضرته اليها، واصطحب معه رجل أسود يدعى كريكوري.

تعجب كريكوري من هذه الدعوة، فهو من غير المدعوين، وليس من عادة الأمريكيين البيض تناول الطعام مع الملونين. لكنه رأى ان من واجبه تلبية الدعوة، لرغبة حضرة عبد البهاء في رؤيته.

استقبل حضرة عبد البهاء، الرجل، بلطفه المعهود، وجلسا يتحدثان لساعة من الزمن في مختلف المواضيع. ثم ظهر الخادم، ليعلن عن موعد الغداء، فنهض حضرته بسرعة متوجها لصالة الطعام، بينما وقف السيد كريكوري في مكانه لا يعرف ماذا يفعل، هل يغادر المكان، أم ينتظر؟ أم ماذا؟

وحينما وقف حضرة عبد البهاء بجانب الطاولة، صاح بالانكليزية بصوت مرتفع: أين صديقي السيد كريكوري؟ أين صديقي السيد كريكوري؟ يجب أن يأكل معي.

وبينما ذهب الخادم يبحث عن السيد كريكوري، بدأ حضرته يبعد جانبا، كل ما على الطاولة، من ملاعق وأقداح، ليهيأ مكانا لصديقه. وبهذه الطريقة اللطيفة، جلسا جنبا الى جنب، في مكان الصدارة. ونسي الحاضرون ولو لمدة بسيطة، كراهيتهم للآخرين بسبب اللون.

هـديـة

كان يسكن في مدينة عشق آباد، أحد العمال البهائيين الفقراء. رغب هذا الرجل في ارسال هدية لحضرة عبد البهاء، اثناء اقامته في مدينة لندن، عندما علم ان هنالك شخص سيسافر للقاء حضرته. ليعبر له فيها عن مقدار محبته واحترامه.

كانت رغبة الرجل شديدة في ارسال هدية ما. لكنه كان لا يملك شيئا. فكر ماذا يرسل؟ أخيرا، قرر حزم عشاؤه الخاص البسيط في منديل قطني وتسليمه للمسافر الذي وافق على نقلها بعد تردد طويل.

بعد عدة أيام، تصادف ان وصل الرجل الى لندن، وتشرف بالمحضر المبارك، وقت جلوس الجميع حول مائدة العشاء. قدم المسافر، هدية العامل الى حضرة عبد البهاء، وشرح اصرار صاحبها ورغبته في ارسالها. وضع حضرته المنديل المعقود أمامه، فوق طاولة الطعام، وفتحه، فشاهد أمامه قطعة خبز يابسة مع تفاحة جعدتها الأيام. تساءل الحاضرون، ماذا سيفعل حضرته، بهدية كهذه الآن، وفي وقت العشاء؟

ووسط استغراب الحاضرين ومراقبة عيونهم، وضع حضرة عبد البهاء أمامه ذلك العشاء البسيط، ثم كسر قطعة خبز صغيرة، وبدأ بتناولها، وهو يدعوهم لمشاركته عشاؤه البسيط.

ربـي مـعــك

تزامن سكن سيدة، لفندق صغير في مدينة دبلن، مع سكن حضرة عبد البهاء في نفس المكان. فكتبت تحكي ما شاهدته ذات يوم، قالت:

ذات صباح، عندما كنت أنظر خارج شباك غرفتي، رأيت حضرة عبد البهاء يذرع المكان ماشيا ذهابا وايابا، ويملي على سكرتيره ما يكتبه. وبينما هو على هذه الحالة، شاهد رجل كبير السن رث الثياب، يمر من أمامه. وفورا، أرسل سكرتيره في أثر الرجل ليعيده، ثم تقدم ليرحب به، وأخذ يديه مصافحا ومبتسما في وجهه، كما لو كان

صديقا قديما له. وفي محاولة منه لاسعاد الرجل، تكلم معه لعدة دقائق. فكان جواب الرجل، إبتسامة حزينة.

وخلال الحديث، لاحظ حضرة عبد البهاء، أن سروال الرجل، بال وممزق، ولا يكاد يستر كثيرا من جسده الهزيل. فتفضل حضرته: "يجب أن نفعل شيئا بهذا الخصوص". وبما ان الوقت كان مبكرا، والشارع يخلو من المارة، اتجه حضرة عبد البهاء، نحو ظل الجدار، وابتسامته لا تفارق وجهه، وبدى وكأنه يتحسس بأنامله شيئا داخل عباءته، وكما لو كان يحاول فتح حزامه، وبانحنائة وحركة خفيفة من حضرته، سقط سرواله على الأرض. أعاد بعدها ترتيب ملابسه الى حالها، ولف نفسه جيدا بعباءته، والتفت الى الرجل، ليسلمه سرواله، قائلا: " ربي معك ".

وعاد يلتفت الى سكرتيره، ليتم حديثه، وكأن شيئا لم يكن.

برافـو

يحب حضرة المولى الأطفال كثيرا.

ذات يوم دعي لزيارة احدى العائلات في مدينة لندن. وكان لديهم ثلاثة أولاد صغار. وبعدما اتخذ مجلسه، بدأ الأطفال الثلاثة بتسلق ساقيه وركبتيه، ثم تمسكوا برقبته، وهو يتكلم، كما لو انهم فئران صغيرة صامتة. مد حضرته يده، ومسح فوق شعر رأس أصغرهم، ثم تفضل: "الأطفال مباركين. لقد تفضل بشأنهم السيد المسيح: (تمتليء الجنة بمثل هؤلاء ". ان قلوبهم نقية، وهم لا يملكون الطموح والرغبات الدنيوية. يجب علينا أن نكون كالأطفال، وننظف قلوبنا، لنرى الله في ظهوره العظيم ونطيع أوامر رسله).

وفي مكان آخر، في مساء نفس اليوم، ذهب حضرته الى حديقة "رجموند" للنزهة، وهناك شاهد سباق للجري بين بنت ومجموعة من الأولاد. وعندما فازت البنت على رفاقها، سر سرورا كبيرا، وسمعه من حوله، وهو يصيح بصوت عال... برافو.. برافو.. برافو...

حوار في مطبخ

"هل أنت على ما يرام"؟ "هل أنت سعيد"؟

سؤال يردده حضرة المولى دائما.

سمع حضرته أثناء سكنه في مدينة لندن، صوت ضحكات عالية، قادمة من مطبخ منزله. فنهض من مجلسه، وأسرع لمشاركة الضاحكين فرحتهم. وتفضل عند دخوله المطبخ، يخاطب الخادم الايراني ومدبرة البيت الانكليزية: "أنا سعيد جدا لفرحكم. هل أستطيع معرفة سبب ذلك حتى أشارككم الفرحة؟"

أجاب الخادم، وهو يعيد ما دار من حديث بينه وبين مدبرة البيت، لقد أخبرتها: ان السيدات في مجتمعاتنا الشرقية، يؤدين جميع الأعمال المنزلية كاملة دون مساعدة الرجال. كما انهن يرتدين الأقنعة على وجوههن عند خروجهن من منازلهن.

فأجابتني هي: أما نحن في الغرب، فالسيدات لا يلبسن الأقنعة، ويجهدن حتى يشاركهن الرجال أعمالهن المنزلية. ومن الأفضل لك ان تبدأ في تنظيف هذه الفضيات الآن.

ضحك حضرته من كل قلبه، ثم أهدى كل واحد منهما قطعة ذهبية صغيرة، ليزيد من سعادتهما.

الجناح القوي

تشرفت العديد من السيدات بزيارة حضرة عبد البهاء، خلال اقامته في أوروبا وأمريكا، خاصة رئيسات المنظمات والجمعيات النسائية وغيرهن. وكان يبدي اهتماما

عظيما بعمل المرأة وتقدمها. ولقد تشرفت واحدة من هذه السيدات بلقائه، ممن يؤمن بحق المرأة بالانتخاب، وسمعته وهو يتكلم عن دور المرأة، وأهميته في مختلف أنحاء العالم. ثم التفت بعد ذلك اليها متسائلا: " اذكري لي سبب ايمانك بحق المرأة بالانتخاب؟ " أجابت لأن الجنس البشري من خلق الله، ويجب أن يسمو ويرتفع، لكنه لا يستطيع ذلك بجناح واحد (جناح الرجل فقط). استحسن حضرته هذه الاجابة، وابتسم ليسألها ثانية: "ولكن ماذا تفعلين لو كان أحد الجناحين أقوى من الآخر؟ "

أجابت: يجب تقوية الضعيف حتى لا يختل الطيران.

ابتسم حضرته مرة أخرى وتفضل: " ماذا تقولين لو أثبت لك أن النساء هن الجناح القوي! ".

برقت عيون السيدة تعجبا... وقالت:

سيكون لك امتناني اللامحدود..

يمكنني عمل كل شيء

رغم كبر سن حضرة عبد البهاء، الا ان قوته ونشاطه كانت سببا في تعجب الكثيرين. فلقد عاد ذات مساء الى بيته متعبا، بصحبة مجموعة من الأحباء، بينما غمر الأصحاب جو من الحزن والتأثر، لعلمهم ان حضرته سيضطر لارتقاء درجات سلم بيته المرتفع عن الشارع، وهو في هذه الحالة من التعب والارهاق وكبر السن.

فجأة، وحال وصولهم الى البيت، انطلق حضرته يتسلق درجات السلم بسرعة عظيمة وبدون توقف، مما أذهل جميع مرافقيه. ووقف ينظر اليهم من أعلى السلم، وقد زالت عنه كل معالم التعب والارهاق، وارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة. ولتبديد التعجب والاستفهام من وجوه الأحباب، تفضل: " انكم تبدون كبار السن، بينما أظهر أنا كشاب صغير. بقوة حضرة بهاء الله، يمكنني عمل كل شيء. ولقد استعملت قوته الآن ".

وعد سابق

جاءت احدى السيدات تطلب التشرف بلقاء حضرة المولى. فسألها الحاجب ان كان لديها موعد سابق. أجابته بالنفي، وعلامات الحزن تبدو واضحة على وجهها. فأخبرها الرجل، بعدم قدرته السماح لها بالدخول، اذ ان حضرة عبد البهاء، بصحبة عدد من الشخصيات الهامة الآن، ولا يمكن ازعاجه.

التفتت المرأة لتعود، وهي تشعر بمرارة وخيبة أمل، وشرعت بنزول درجات السلم. وبينما هي على وشك مغادرة المكان، سمعت صوتا من خلفها ينادي، "عليك بالعودة، ان حضرته يرغب في لقائك، لقد طلب مني اقناعك بالعودة ".

فلقد سمع كل من في البيت صوت حضرته قبل لحظات وهو يتفضل: " اسرعوا.. اسرعوا.. هنالك قلب قد كسر، ادعوه الى هنا ".

فـحـم

اغتصب أحد التجار كمية من الفحم تخص أحد الأحباء، أيام اقامتهم في عكاء، وهو موقن، أن صاحبها لا يستطيع المطالبة باستردادها، لكونه سجين، ولا يحق له مزاولة مهنة التجارة. لكن حضرة المولى، ذهب الى مكتبه ليحاول استرجاع البضاعة، فوجد التاجر منهمكا بأعماله. جلس حضرته ينتظر دوره للكلام، فلقد كان المكتب يغص بالمراجعين والمتعاملين وغيرهم. مضت ثلاث ساعات، وحضرة عبد البهاء على هذه الحالة، حتى التفت اليه التاجر يسأله: هل أنت أحد سجناء هذه المدينة؟

أجاب حضرته: " نعم ".

قال التاجر: ما هي جريمتكم؟

أجابه حضرة المولى: نفس جريمة السيد المسيح.
أدهش هذا الجواب التاجر، فلقد كان مسيحيا. الا انه عاد، ليطرح سؤال آخر: ماذا تعلم عن السيد المسيح؟
كان هذا السؤال سببا لشروع حضرته بالاجابة بلطافة وهدوء. وشيئا فشيئا، تبدد غرور التاجر، أمام صبر حضرته. وفي نهاية اللقاء، عندما هم حضرته بمغادرة المكان، نهض التاجر ليرافقه الى باب مكتبه، مظهرا بذلك احترامه الشديد لأحد سجناء المدينة غير المرغوب بهم. ومنذ ذلك الحين، أصبح التاجر صديقا عزيزا لحضرة عبد البهاء، ومؤيدا قويا للأمر المبارك.

لغة القلوب

استعمل حضرة عبد البهاء، خلال أسفاره، كلمات انكليزية عديدة في كلامه وأحاديثه، وكان لا يجد صعوبة في التفاهم مع الآخرين الأجانب، وعندما كانت تعجز الكلمات، كان يخاطب القلوب مباشرة.
حدث ذات يوم، ان سمع أحد عمال المناجم الأميين، عن وجود حضرة عبد البهاء، في سان فرانسيسكو. فسار هذا الرجل، على قدميه مسافة طويلة، بغية التشرف ولقاء حضرة عبد البهاء، وكان متحمس جدا لمشاهدته والتعرف عليه.
عند وصوله، وجد حضرته يلقي احدى خطبة، في مجمع من الناس. فلم يجد الرجل بد، الا الجلوس والاصغاء بعينين واسعتين، وكأنه يشرب من جدول ماء عذب.
بعد قليل، توقف حضرة عبد البهاء قليلا، ليتيح فرصة للواقف بجانبه، حتى يترجم ما قاله الى اللغة الانكليزية. فهمس العامل لمن يجلس بجانبه متذمرا، وقال: لماذا يقطع هذا الرجل حديث الخطيب؟
بعد قليل، عاد حضرة عبد البهاء للكلام، وعادت معالم الفرحة والسرور تبدو على وجه الرجل.
ثم.. ومرة أخرى، وقف المترجم، مقاطعا ومترجما. عندها، فقد الرجل سيطرته على أعصابه، وصاح قائلا: ابعدوا هذا الرجل، انه يقاطع الخطيب. فأسرع من بجانبه ليهمس باذنه قائلا: " انه المترجم الرسمي، وهو يقوم بالترجمة من الفارسية الى الانكليزية لتوضيح الخطبة ".
فأجاب صاحبنا متعجبا: " أحقا ما تقول! انه يتكلم الفارسية! يالها من لغة بسيطة، فكل فرد يستطيع فهمها! "

الشجاعة

تسلمت احدى المؤمنات، في باريس رسالة تحذير، تقول: "هنالك خطر على حياة حضرة عبد البهاء عند زيارته للمدينة القادمة ".
وبما ان كاتب الرسالة، كان صديقا مخلصا لهذه السيدة، ولا يمكن ان يتطرق الشك الى صدق كلامه، لذلك قررت اخبار حضرة عبد البهاء بمضمون الرسالة.
كان حضرته لا يخاف شيئا، وعندما علم بفحوى الرسالة، ابتسم قائلا: يا ابنتي.. ألم تلاحظي حتى الآن، انني كنت في كل أيام حياتي دون استثناء في خطر. وسأكون سعيدا لتركي هذا العالم والالتحاق بوالدي.
شحب وجه السيدة حزنا وخوفا.. وقالت: " يامولاي نحن لا نرغب أن تتركنا ".
أجابها: " لا تحزني، ليس لأعدائي أي قوة على حياتي، فقوتهم ومقدرتهم محدودة من السماء. لو شاء الله ذلك، فذلك يوم مبارك، عندما أضحي دمي في سبيله.

رسالة

قالت سيدة وهي تدخل مسرعة للتشرف بحضرة عبد البهاء قبل مغادرته باريس بيومين: (كم أنا سعيدة لوصولي في الوقت المناسب). قالت السيدة، هذه الجملة وهي تلهث من التعب، ثم التفتت تخاطب الحاضرين بقولها: "دعوني أخبركم بقصتي، وسبب سفري المفاجيء من أمريكا الى هنا ".

بقي الجمع صامتا، يستمع لها وهي تقول:

قبل مدة، سألتني ابنتي الصغيرة قائلة: ماما.. ماذا أنت فاعلة، اذا عاد السيد المسيح الى الأرض مرة ثانية؟

أجبتها وسط دهشتي الشديدة: عزيزتي.. سأستقل أول قطار حتى أذهب للقاءه.

قالت: حسنا يا أمي، انه موجود الآن.

أحسست بشعور غريب، وأنا استمع لها، وسألتها: كيف عرفت ذلك؟

أجابت: لقد أخبرني ذلك هو بنفسه، فاذن هو موجود.

تعجبت مما سمعته كثيرا وقلت في نفسي: أهذه رسالة مقدسة تنقل لي بواسطة صغيرتي! ورحت أصلي، لأجد تفسيرا لذلك.

ثم عادت ابنتي في اليوم التالي، وقالت لي: لم لم تفعلي شيئا تجاه رسالتي؟ لماذا لم تذهبي لرؤيته ولقاءه؟ لقد أخبرني مرتين انه موجود في هذا العالم.

عند ذلك أجبتها: عزيزتي.. ان والدتك لا تعرف أين هو، فكيف تجده؟

أجابت صغيرتي: سوف نرى، سوف نرى.

في مساء أحد الأيام، كنا نتمشى معا في نزهة، حينما وقفت ابنتي في مكانها وهي تصيح: هذا هو.. هذا هو..

كانت ترتعش بشدة، وهي تشير الى واجهة احدى المحلات. توجهت ببصري نحو المكان، فشاهدت صورة حضرة عبد البهاء واضحة على احدى صفحات الصحف. اشتريت الصحيفة، وعرفت العنوان، ثم أخذت أول باخرة الى هنا، وها أنا هنا.

أمسية لطيفـة

دبر بعض الأحباء، الترتيبات اللازمة، للقاء حضرة عبد البهاء، والتمتع بصحبته، بعيدا عن الزائرين، ولقضاء أمسية هادئة، في مناسبة فريدة من نوعها، قلما يحصل عليها الكثيرين.

كان المتسامرون سعداء جدا وفرحين، في بداية تلك الأمسية اللطيفة، وتمتعوا بكلام ونصائح وروحانية ضيفهم الكريم، ولم تمض نصف ساعة، حتى ظهر - من حيث لا يعلموا - أحد مراسلي الصحف، ليقطع عليهم مجلسهم بطريقة غريبة، ودخل مندفعا من بين الخدم، باصرار لمقابلة حضرة عبد البهاء، واتخذ له مجلسا على أحد المقاعد، ثم أشعل سيجارة، وقال: انني أكتب موضوعا لاحدى الصحف، ولدي بعض الاسئلة، بحاجة الى أجوبة. ثم استمر متكلما بدون لياقة.

صمت الجالسون انزعاجا ودهشة، فلقد بدد هذا الغريب أحلام أمسيتهم تماما. وكان واضحا من تصرفاتهم ونظراتهم، انهم غير راغبين بهذا المتطفل بينهم. لذلك نهض حضرته بعد قليل، مشيرا للصحفي، اللحاق به الى حيث غرفته الخاصة.

ساد الحاضرين جو من الحزن والاحباط، حال فراقهم مولاهم، وبدأوا بتبادل النظرات.

نعم، لقد ترك الدخيل المكان، حسب رغبتهم وأمنيتهم، ولكن بصحبة سيدهم، وهذا ما زاد من حزنهم وغضبهم على الرجل.

توجهت صاحبة البيت، لسكرتير حضرة عبد البهاء الخاص، وسألته أخبار حضرته، بانتظار المجلس له، ثم عادت لمجلسها وعلامات الاستياء بادية على وجهها.

بعد قليل، سمع الجميع صوت خطوات في الممر، ثم كلمات وداع عند الباب. بعدها، ظهر حضرته، وهو ينظر في وجوه الحاضرين بجد.

كانت السعادة تعلو وجوههم بعودته اليهم، فبادرهم قائلا: " لقد كان الرجل قلقا وغير مرتاح، لقد شعر بانزعاجكم منه، لذلك اصطحبته بعيدا ليشعر بالراحة والسعادة.

أنا أذهب لهما

رغب السفير الياباني لاسبانيا وزوجته التشرف بزيارة حضرة عبد البهاء خلال توقفهما في باريس. لكن صحة الزوجة كانت على غير ما يرام، فقالت تخاطب زوجها: أنا حزينة جدا، ان برودة الطقس تمنعني من الخروج هذا المساء وفي صباح الغد سنرحل الى اسبانيا، ليست هنالك طريقة للقائه.

كان الوقت متأخرا، عندما عاد حضرته الى بيته متعبا. وقابله أحدهم ناقلا اليه قول السيدة. فتفضل حضرته: " بما انه لا يمكنهما المجيء، فسأذهب أنا لهما. كان حضرته سباقا للقاء الآخرين.

كانت ليلة باردة ممطرة، حينما قصد حضرته الفندق لزيارتهما. وقابلهما بابتسامته البشوشة المعهودة وبدأ كلامه عن ظروف حياة مجتمع اليابان، وعن خدمة البشر وعن ضرورة العمل للابتعاد عن الحروب، وحاجة العمال لتحسين أوضاعهم، وتعليم الجنسين بالتساوي، وعن طائر الانسانية واستحالة تحليقه بدون جناحي الدين والعلم. ثم ذكر لهما كذلك عن وجود قوة عظيمة في العالم لم تكتشف بعد، وعلينا أن نصلي الى الله ونطلب منه عدم اكتشافها قبل نضوج البشرية روحيا، ففي هذه الأيام يعيش العالم حياة مادية ولو اكتشفها فانه سيدمر نفسه بها. ثم تكلم في مواضيع أخرى عديدة، جعلت السامعين يتسائلون، كيف يكون ان رجلا أمضى حياته في السجون الشرقية، يملك حكمة حلول مشاكل العالم بهذه البساطة؟

لقد علق أحد العلماء الامريكان ذات مرة بقوله: " ان عبد البهاء سيوحد الشرق والغرب بالتأكيد... ".

صورة

سأل القادم الغريب أحد الخدم وهو يقف على عتبة المنزل: هل سيدة البيت موجودة؟ أجابه الخادم: نعم، قال الرجل: أريد رؤيتها. لم تكن السيدة بعيدة عن المكان فجاءت تستطلع الخبر. بادرها الرجل قائلا: هل أنت مضيفة حضرة عبد البهاء؟ أجابته نعم: أتريد مقابلته؟ رد عليها لقد مشيت ستين كيلومترا على قدمي لهذا الغرض. قالت: أدخل وخذ راحتك وقص لي حكايتك بعد تناولك الطعام. جلس الرجل في غرفة الطعام، وآثار التعب والمسير تبدو واضحة عليه، بينما هيئته تدل على فقر الحال. لكنه بعدما ابتدأ الكلام اتضح انه شخص مختلف تماما. قال: لم أكن كما تشاهدينني الآن ياسيدتي، فأنا رجل متعلم جيدا، ووالدي مبشر كبير لكنني لا أملك الآن مكانا أنام فيه، وغالبا ما أفترش ضفاف نهر التايمس للنوم، كيف وصلت لهذه الحال فذلك غير مهم، المهم أنني قررت ليلة أمس وضع نهاية لحياتي التافهة. وبينما أنا أسير خطواتي الأخيرة، مررت بمحل للصحف فشاهدت صورة وجه رجل في صحيفة على شباك المحل، ووقفت أنظر اليه، لكنني تجمدت في مكاني، فالصورة بدأت الكلام معي، ونادتني بالاقتراب. قرأت الصحيفة وعلمت انه هنا، في هذا البيت. قلت في نفسي: " لو ان مثل هذا الرجل يعيش على الأرض حقا، فسأغير رأيي في الحياة وأعيش بقيتها، ثم بدأت المير الى هنا حيى أقابله. هل هو موجود؟ هل سيرضي بلقائي؟ حتى لو كنت أنا شخصيا؟ كانت الصحيفة ما تزال بحوزته، شاهدت صاحبة البيت صورة حضرة عبد البهاء واضحة عليها. أجابته: تعال بنا، انه سيراك بالطبع.

ظهر حضرته بنفسه رافعا يديه مرحبا، عندما طرقت السيدة الباب، كمن يتوقع صديقا عزيزا، وهو يقول: أهلا.. أهلا وسهلا.. أنا سعيد بحضورك، تفضل. جلس الرجل على كرسي منخفض عند أقدام حضرته، وهو يرتعش بشدة لدرجة لم يستطع معها

النطق بكلمة واحدة. فخاطبه حضرته ملاطفا: كن سعيدا.. كن سعيدا. ثم أمسك بيده ومسح على رأسه. ثم ابتسم حضرته تلك الابتسامة الرائعة وقال: " لا تشعر باليأس عندما تسيطر عليك الأحزان، رحمة الله وقوته تشمل الناس جميعا وبدون حدود. ابحث عن السعادة الروحية، عن المعرفة، ستشعر انك في العالم الروحاني رغم انك تعيش على الأرض، وسوف تشعر بالغنى في مملكة الله ".

بدأت الكلمات تزيح غيوم الكآبة وتبدلها بالقوة والسرور. وحين مغادرته المكان كانت تعلو وجهه نظرة جديدة، على عكس ما كان عليه أول مرة. ووقف بأقدام ثابتة وجسد منتصب، وهو يقول لربة البيت:" رجائي أن تكتبي لي ما يقول. لقد حصلت على ما أريد، وربما أكثر من ذلك. سألت السيدة: هل عزمت على شيء "؟ أجابها:" سأعمل في الحقول وأكسب معيشتي، وعندما أوفر قليلا، سأشتري قطعة أرض صغيرة أبني عليها بيتا بسيطا التجأ اليه، وسأزرع وردا أبيعه في السوق وكما تفضل حضرته:" الفقر غير مهم، فالعمل عبادة. وأشعر بعدم حاجتي لقول شكرا..أو.. مع السلامة.. ثم انصرف...

قوة روحانية

لحضرة عبد البهاء قوة روحانية ذات تأثير مادي أيضا، ففي احدى الأمسيات عندما كان حضرته يتكلم، جلس أحد الأصدقاء بجانبه على ذات المقعد، بينما راح حضرته يتكلم ويجيب على الأسئلة والاسفسارات لأكثر من ساعة، وهو ممسك بيد الرجل وأحيانا يضع على ركبته باسترخاء.

ذكر الرجل في وقت لاحق وهو يصف شعوره في تلك اللحظات، كانت تفيض من جسده المبارك قوة عظيمة الى جسدي، انني أتذكرها بكل تأكيد لكنني لا أستطيع وصف ما أحسست به. لقد كانت قوة خفية فوق ادراك الانسان والملائكة.

بينما قال آخر وهو يحكي واصفا نفس تلك القوة الخفية ومؤكدا احساسه بها: "كنت أجلس بجانب حضرته داخل سيارة ونحن في رحلة حينما شعرت ساعتها وكأنه يشحنني ببطارية الهية ".

أربعة وعشرون عاما

جميعنا يعلم محبة ورحمة حضرة عبد البهاء، ومقابلته للسيئات بالحسنات.

كان هنالك رجل يدعى الأفغاني عاش في مدينة عكاء زمن ورود العائلة المباركة لها. وكان من أعداء الأمر المبارك ويكره حضرة عبد البهاء كرها شديدا، ويجهد ما في وسعه لأذية الأمر واضرار حضرته. كان يسب ويلعن كل ما يتعلق بالأمر علنا وأمام الناس في الأسواق. ويحث أهل عكاء على مقاطعة اللأحباء وعدم التعامل معهم وخاصة حضرة عبد البهاء، وهو من أوائل الذين فعلوا ذلك مع الأحباء. وحينما كان يتصادف مروره في السوق مع حضرة عبد البهاء يرفع الأفغاني رداءه ليستر وجهه حتى لا يرى وجه حضرة المولى.

أما حضرة عبد البهاء فقد كان يحب هذا الأفغاني ويعطف عليه ويرسل له كل ما يحتاجه من أكل ولباس وغير ذلك، لأنه كان يعلم انه فقير الحال جدا، وليس له مأوى سوى المسجد فقد جعله مسكنا له، وعند وصول معونات وصدقات حضرة المولى لهذا الرجل، كان يقبلها غير شاكرا رغم كرهه الشديد لصاحبها. والى جانب ذلك كان لا ينقطع عن السباب والشتم. لم ينبس حضرة عبد البهاء بكلمة واحدة ردا عليه من فرط محبته له، بل كلما زاد الأفغاني زادت محبة حضرة عبد البهاء له. انتبه حضرة عبد البهاء ذات يوم لغياب الأفغاني واختفائه، فاستفسر عنه، وعلم انه مريض وطريح الفراش. أسرع لزيارته مصطحبا طبيبه الخاص لعلاجه، فوجد مكانه قذرا، ومرضه سار ومعد وحالته سيئة.

وقف حضرته عند رأسه بينما أمسك الطبيب باحدى يدي الأفغاني لقياس نبض قلبه، فما كان من المريض الا أن وضع يده الأخرى على وجهه وأغلق عينيه كي لا يرى وجه حضرة عبد البهاء.

بعد أن غادروا مكان المريض أرسل حضرته دواء وبعض الفواكه وبعد شفائه وتحسن صحته أرسله حضرة عبد البهاء للحمام العمومي ليغتسل، واشترى له ملابس وعباءة جديدة.

ذات يوم جاء الأفغاني يطلب التشرف بالمحضر المبارك وحينما سمح له ودخل، رمى بنفسه على قدمي حضرة عبد البهاء، وأخذ يبكي كطفل صغير يتيم وهو يقول: اغفر لي يامولاي.. اغفر لي ياسيدي.. منذ أربعة وعشرين عاما وأنا أسبك وأشتمك فتمدحني، أكرهك فتحبني، أسيء اليك فتحسن الي. الآن فقط عرفت مقدار ذنبي وغفلتي، كنت لي ملجأ وأبا سماويا، اغفر لي.. اغفر لي. كان في غمرة البكاء عندما رفعه حضرته ومسح على جبينه مسامحا وملاطفا. ومنذ ذلك الوقت، تدلت تلك الكراهية الشديدة بمحبة عظيمة، وتلك العداوة بصداقة حميمة، وأصبح من أتباع وملازمي حضرته الأوفياء. وبقي يمدح حضرة عبد البهاء بقية حياته.

عباءة صوف

كان لدى حضرة المولى عباءة من الصوف ايرانية جميلة حصل عليها كهدية. جاء أحد الفقراء ذات يوم ووقف على باب منزله يطلب كسوة. فما كان من حضرته الا أن أعطاه تلك العباءة الجيدة ليقيه من شدة البرد. أخذها الرجل، وتفحصها ثم علق قائلا: انها ليست سوى عباءة عادية من القطن. أجابه حضرة عبد البهاء مؤكدا: " لا.. انها ليست من القطن، انها من الصوف، وأمر بعود ثقاب ليحرق بعضا من طرف نسيجها تأكيدا للرجل. لكن الفقير بقي يدمدم ببعض الكلمات مدعيا انها ليست جيدة. عند ذلك وبخه حضرة عبد البهاء لانتقاده هدية. ثم أنهى اللقاء بأن أشار الى أحد الخدم اعطاء الرجل قطعة نقود.

أوراد المحبة

سأل حضرة عبد البهاء ميرزا حيدر علي عن معنى الحديث القائل: " في يوم القيامة تخرج اللأوراد من الصخور ". فأجابه ميرزا حيدر علي بسرد الحكاية التالية: كان هنالك رجل أخرس شرير مؤذ جدا في مدينة قزوين، كانت أذيته لكل شخص تصل اليه يديه بدون تمييز، ولم يكن في الامكان التقرب منه. بعد جهد جهيد، ومحاولات عديدة استغرقت زمنا طويلا، نجح الأحباء في تبليغه الأمر، وأصبح ذلك الأخرس الشرير بهائيا. وبدأ الناس يستغربون من تبدل حالة الرجل، فيوما بعد يوم يصبح أكثر لطفا وهدوء. وانتشر خبر ايمانه كسببا لهذا التبديل. انقلب الوضع السابق تماما، وأصبح الناس يؤذونه ويضربونه ويشتمونه ويرمونه بالحجارة ويبصقون في وجهه وهو لا يرد عليهم. ثم ذكر ميرزا حيدر علي انه شاهد أحداث القصة بعينه.

لقد كان قلب هذا الأخرس كالصخر الصلد لا تهزه أية مشاعر، ولكنه بعد الايمان، نبتت فيه أوراد المحبة والعطف وأزهار الأدب والصبر.. وفي اعتقادي ان هذا هو معنى الحديث الشريف...

استحسن حضرة المولى الجواب وأثنى عليه..

ابتعدوا

مضت الأيام والشهور ببطأ شديد وحضرة عبد البهاء الصبي ذو التسع سنوات ما زال يقف عند باب بيته منتظرا بصبر رجوع والده المحبوب في أي وقت، فلقد كان

سجينا في سجن (سياه جال). وكان متعلقا به بشدة وذكراه لا تفارقه أبدا، والحزن يملأ قلبه من الفراق.

وعندما يرى أولاد الحي حضرة عبد البهاء واقف عند الباب يعتدون عليه ويقذفونه بالحجارة والعصي ويشتمونه، فتسحبه والدته آسيا خانم الى داخل المنزل خوفا عليه من أذيتهم أو تصحبه معها الى بيت عمته لتستفسر عن أخبار والده تاركة اخته بهائية خانم ذات السنوات السبع وحيدة في البيت في بعض الأحيان. كانت البنية تخاف كثيرا فتختبيء خلف الباب منتظرة رجوع والدتها وأخيها. فما تزال ذكرى هجوم الغوغاء على منزلهم الكبير في بوابة شمران ماثلة أمام عينيها حيث نهبوا وسلبوا كل ما وقعت عليه أيديهم وأعينهم، لقد تركت تلك الأحداث أثرا كبيرا في نفسها.

ذات يوم وبينما كانت بهائية خانم ووالدتها عائدتان الى البيت، شاهدتا حضرة عبد البهاء وهو يقف وسط الأولد يحيطون به من كل جانب مستعدين للاعتداء عليه، وسمعتا صوته وهو يصيح: ابتعدوا.. ابتعدوا. تقول الأم: لم يستطع الأولاد الاقتراب منه لقد كان في صوته قوة ورهبة جعلتهم لا يجرؤن على التقدم منه. وتقدمت لأخذه من بينهم وبذلك سلم من آذاهم واعتدائهم في تلك المرة.

المولى والتاجر

تفضل حضرة المولى بحكاية قصة حدثت له ذات يوم، ذكرها لأحد المهاجرين، قال: ذات يوم، كنت مسافر مع مجموعة من الأشختص، كان بينهم أحد التجار. حينما كانت العربة تقف في القرى الواقعة على الطريق، كان الناس يتجمعون حولي مرحبين. وجدث ذلك في أكثر الأماكن التي استرحنا وتوقفت العرية فيها.

عندما لاحظ التاجر ما كان يظهره الناس لي من محبة واحترام، تقدم مني ليأخذني جانبا وأخبرني برغبته ان يكون بهائيا.

سألته: لماذا ترغب في ذلك؟

أجاب بدون خجل: انك بهائي، وأينما حللت يأتيك جمع كبير من المستقبلين مرحبين بك، بينما لا يأتي لمقابلتي أحد. لذلك أرغب في أن أكون بهائيا.

سألته مرة أخرى متعمقا: قل لي هل هذا هو السبب الوحيد؟

عند ذلك أجاب التاجر بصراحة أكثر، أعتقد ان مثل هؤلاء الناس سيساعوني في ترويج أعمالي التجارية أيضا.

عند ذلك أجبته: لا تصبح بهائيا، فمن الأفضل لك أن تبقى كما أنت عليه.

طبيب حديث

يونس خان طبيب حضرة عبد البهاء الخاص، يحكي قصة مرض حضرته وكيفية تطبيقه، قال: بعد اكمال دراستي وحصولي على شهادة طبيب، رجعت الى مدينة عكاء. وعلمت من الأحباء هناك ان حضرة عبد البهاء يصاب بالحمى كل ليلة.

كان حضرته جالس في مضيف بيته عندما قدمت له شهادة تخرجي ليطلع عليها. فقال لي بأنه يصاب بارتفاع الحرارة كل ليلة، ثم طلب مني دواء لذلك. لم يخطر ببالي أن أطبب حضرته يوم من الأيام قط، لذلك لم آخذ كلامه مأخذ الجد واعتقدته يمازحني، بعد ثلاثة أيام كنت ضمن المتشرفين في محضره، حينما أعاد علي قوله بأنه يصاب بارتفاع في حرارة جسمه وصداع شديد كل ليلة، ثم طلب وصفة دواء مني مرة أخرى. وللمرة الثانية لم أدرك أنه لا يمازحني، وانه جاد في قوله.

مرت عدة أيام حتى تشرفت مرة أخرى وأنا بصحبة حاج ميرزا حيدر علي، فوجدته فرحا ومبتسما، وتفضل: ماذا فعلت يا خان؟ تعال وافحص نبض قلبي. أسرعت اليه وأخذت يده الممدودة وقبلتها ثلاث مرات. فابتسم تلك الابتسامة

العريضة، وقال: قس نبضي، كان نبضه بطيئا لكنه منتظما وقوي مثل نبض الشباب. تفضل: هذه الأيام حالتي جيدة، ولكن حرارتي ترتفع خلال الليل. نهض وسار ببطأ، ثم أشار لي بالتقرب منه، وقال: أكتب لي بعض الأدوية، فمنذ شهر كامل وأنا مريض. أدركت في هذه اللحظات فقط انه يعني ما يقول، فأجبته جعلت فداك، لقد حصلت على عينة لدواء جديد قبل أيام لمثل هذه الحالة، وسأذهب الى الصيدلية لتركيب أحد الأدوية كذلك، ابتسم موافقا، وأجابني: حسنا.

لم أعد أشعر بشيء من حولي لشدة فرحتي بهذه المهمة، وركضت الى الصيدلية لأجهز الدواء ثم كتبت عليه طريقة الاستعمال ووضعته في علبة. كان الوقت ضحى عندما قدمت له الدواء وهو يجلس في مضيف بيته. فتفضل ممازحا: ها.. أتعالجني بدون ثمن؟ ثم تقرب من جناب حيدر علي وتفضل: أترى.. جائني يونس خان بوصفة ودواء.. لقد رددت كثيرا من كبار الأطباء ولم أرض بهم، ومنذ أيام فقط تخرج خان وأصبح طبيبا، وجاء ليعالجني اليوم.. والمصيبة بون ثمن. لم ينبس جناب حيدر علي ببنت شفة وبقي صامتا، لقد كان مؤمن ومطيع جدا. كنت شبه مجنون لتوكيلي بهذه المهمة العظيمة. وتفضل وهو يصعد درجات السلم: سأتناول دوائك.

جاء في المساء من يخبرني أن صحة حضرته أصبحت أكثر سوءا وليست على ما يرام، وبعدها بقليل جاء آخر ليقول ان صحته ساءت كثيرا.قلت في نفسي متألما، هذه هي النتيجة الحتمية، فانا حديث العهد في مهنتي ولا يجدر بي تطبيب حضرته، يا سبحان الله! فرح وسرور هذا الصباح انقلب الى مثل هذا الحزن في المساء.

عندما تشرفت مرة ثانية كان يجلس على الأريكة، وخاطبني قائلا: لم يحصل سوء، وسألني عن مكونات الدواء، ثم تفضل: بالنسبة للدواء الجاهز لا اعتراض عليه، أما بالنسبة للدواء المركب، فلقد كانت جرعته كبيرة نسبيا. ولكنه مع ذلك طمأنني بأنه سيكون على ما يرام.

كنت في غاية الحزن عند وصولي الى الفندق، ولم أنم طوال الليل، كنت أقف قليلا ثم أجلس ثم أقف لأقول كلاما ليس ذي معنى، ان الله وحده فقط يعلم ما أصابني في تلك الليلة.

تسللت عند أول خيوط الفجر الى البيت المبارك أستشف الأخبار، فرأيت آقا أسد الله مشغولا بتنظيف ساحته، وأول ما شاهدني هتف: ابشر يا خان، طوبى لك، ان حضرته قد دعى بالخير لك من الله، وتفضل:" بسبب علاج خان أخذت حماما انقطعت عنه منذ شهر تقريبا، دعواتي لخان ". لم أحتمل هذه البشارة وانفجرت في البكاء فرحا، لأخرج كل آلام الليلة السابقة، ثم تحسنت حالتي بعد وقت قليل وهدأت. كانت أشعة الشمس قد بدأت تنير المكان، عندما ظهر هيكله المبارك، وتفضل يخاطبني:- جناب خان، ان حالتي قد تحسنت كثيرا بحيث أخذت حماما، ولقد دعوت الله لك، وسأستمر في تناول الدواء.

أسرعت للفندق، حيث يجتمع عادة الأحباء هناك، وغنيت ورقصت من شدة فرحي وسروري بسلامة حضرته. ثم قصصت لهم ما أخفيته عنهم ليلة أمس من خوف وقلق.

سائق العربة

استأجر حضرة عبد البهاء ذات يوم عربة وهو بصحبة أحد ضيوفه الباشوات، وعند وصولهما الى مقصدهما، طلب سائق العربة أجرا عاليا بعدما أدرك رفعة مقام ركابه وسمو شأنهما. رفض حضرته دفع المبلغ المطلوب وتمسك باعطائه أجرته فقط. فاذا بسائق العربة يمد يده ليمسك بحزام حضرته ليهزه بقوة وعنف مطالبا بتنفيذ رغبته. كان الرجل كبير الحجم وقويا وصلفا. لكنه مع ذلك بقي حضرة عبد البهاء ساكنا وهادئا ولم يذعن لطلبه الجائر. عندما شاهد السائق ثبات حضرته وهدوئه وعدم جدوى ما

يفعل استدار متوجها الى عربته ليتركه وشأنه. عندها ناداه حضرته وقال له: لو كنت أمينا معي لأعطيتك زيادة على ما طلبت وبقشيشا اضافيا، لكنك بعملك هذا خسرت الاثنين معا ولم تحصل على شيء.

أنانيـة

قص حضرة عبد البهاء الحكاية التالية موضحا انه حتى الصلاة يمكنها أن تحمل صفة الأنانية.

في أحد الأيام كان هنالك ثلاثة رجال ينتمون الى ثلاثة ديانات مختلفة، مسلم ومسيحي ويهودي، يستقلون مركبا وسط البحر. فجأة هبت عاصفة شديدة على المركب فتقاذفته الأمواج وعبثت به الرياح، وأدرك الثلاثة لما يهدد حياتهم من خطر.

بدأ المسلم بالصلاة والدعاء، وقال يسأل الله: اغرق هذا الكافر النصراني. بينما في نفس الوقت كان المسيحي يتضرع الى الله، ويقول: يا أبتاه ارسل هذا المسلم الى الأعماق!

انتبه الاثنان لليهودي وهو ساكن لا يؤدي أي شكل من الصلاة! فتقدما منه وسألاه: لماذا لا تصلي لطلب النجاة؟ أجاب: بالعكس.. أنا أصلي، انني أدعو الله أن يستجيب لدعائكما معا!

السيد الصغير

ذهب حضرة عبد البهاء وهو صغير السن لمشاهدة أملاك والده من قطعان الخراف وهي ترعى في الجبال، كانت اعدادها بالآلاف.

وترحيبا بضيفهم وسيدهم الصغير "عباس أفندي" جهز الرعاة وليمة عظيمة بمناسبة الزيارة.

في نهاية اليوم، وقبل أن يعاد "عباس" الى بيته أخبره رئيس الرعاة، ان العرف السائد هو تقديم هدية للرعاة باعتبارك صاحب المال، وردا لما قدموه لك من كرم واضح. أجاب "عباس الصغير" ببراءة الأطفال بأنه لا يملك ما يقدمه هدية.

لكن ذلك لم يقنع الرجل وأصر على أن يترك حضرته أي شيء هدية للرعاة. فما كان منه بعد ذلك الا أن أمر بالقطيع كله هدية للرعاة.

عندما علم والده، حضرة بهاء الله بما فعل، ضحك كثيرا، وتفضل معلقا: "يجب علينا حماية عبد البهاء من نفسه.. فسوف يكرمها ذات يوم ان لم يجد بين يديه ما يهديه.

المبلغ الصغير

تذكر حضرة عبد البهاء أيام طفولته خلال زيارته لمدينة شتوكارت بألمانيا سنة 1913، فتفضل: عندما كنت طفل صغير، في الثامنة أو التاسعة من عمري، كنت مبلغا للأمر. كان هنالك رجل غير بهائي على درجة عالية من الثقافة.طلبت من أخيه ذات يوم احضاره لي لتبليغه بالأمر المبارك. وقضيت معه بعض الوقت أكلمه وأناقشه. في النهاية قال لي:(انني لم أقتنع.. ولم أوافقك بعد..). وكلما كلمته أكثر كان يردد لي نفس العبارة السابقة (انني لم أقتنع، ولم أوافقك بعد). عند ذلك أجبته. لو قدم الماء الى شخص عطشان فسيأخذ كوب الماء بدون نقاش ويشربه فورا وبدون تأخير. أما أنت فلست بظمآن اذهب وارجع لي عندما تشعر بالعطش، وعند ذلك سوف تقتنع. انني أستطيع القول ان الشمس علامة النهار لكل فرد مبصر يستطيع مشاهدة الأشياء، ولكن الأعمى لا يقتنع بذلك لأنه لا يرى الشمس. كذلك لو قلت لرجل ذي ذوق موسيقي عن قطعة موسيقية انها رائعة، لاستمع لها وسعد بها ووافقني في الرأي.

ولكنك لو عزفت في محضر رجل أطرش أجمل الألحان فسوف لن يسمع شيئا ولن يطرب لشيء.
أما أنت فاذهب واحصل على عينين مبصرتين وأذنين سميعتين، ثم ارجع لي بعد ذلك وسوف أكلمك مرة ثانية عن هذا الموضوع.
لقد ذهب الرجل، وعاد لي بعد فترة مرة أخرى، وقد أصبح يعي ويفهم أفضل من السابق. ثم أصبح آخر الأمر بهائيا مخلصا.
لقد حدث هذا وأنا طفل صغير..

موعد عند الفجر

عندما كان حضرة عبد البهاء في مدينة نيويورك، استدعى أحد الأحباء وقال له: "اذا جاتني غدا صباحا عند الفجر فسوف أعلمك الصلاة واسلوبها".
في فجر صباح اليوم التالي استيقظ الرجل في الساعة الرابعة يملؤه شعور بالفرح والسرور، وخرج متجها الى بيت حضرته. كانت الساعة تشير الى السادسة صباحا عندما طرق باب حضرة عبد البهاء. كان مسرور جدا لهذه الفرصة العظيمة، فدخل المنزل واتجه الى غرفة حضرته الخاصة، لكنه وجده قد شرع في الصلاة فعلا منذ بعض الوقت. وقد ركع على طرف فراشه ساكنا لا يتحرك. فما كان منه الا أن بحث لنفسه عن مكان قريب يؤدي صلاته فيه. بعد أن انتهى الرجل منها، لاحظ ان حضرته ما زال غارقا في صلاته وتأملاته. فتساءل في نفسه: اذن متى سيعلمني الصلاة؟ وعندما طال انتظاره، قرر اعادة صلاته مرة أخرى بدلا من الجلوس بدون فائدة. صاى من أجل نفسه، ثم صلى من أجل عائلته، ومن أجل أصدقائه، ومن أجل رؤساء دول أوروبا، ومن أجل رؤساء دول العالم وشعوبها و..و.. كل هذا وحضرة عبد البهاء لم يفتح شفتيه بكلمة واحدة ليخاطبه، وبقي هادئا أمامه غارقا في صلاته. عاد الرجل ليقرأ كل أنواع الصلاة والدعاء التي يعرفها ويستطيع ترديدها واعادها مرة واثنتين وثلاثة. لكن أي شيء لم يقطع ذلك الصمت الطويل.
بدأ الرجل يشعر بألم في ظهره نتيجة ركوعه المستمر والطويل وأخذ يشغل تفكيره، فمد يده ليمسد ركبتيه بصمت وسرية. ثم انتبه لصوت تغريد الطيور والعصافير خارج الغرفة وهي تعلن عن بزوغ صباح جديد. وها قد مضت ساعة وهذه أخرى، وهو على هذه الحالة جالس لا يدري ماذا يفعل، وتخدر جسده نتيجة جلوسه المستمر. وراح يجول ببصره حوله ينظر في أرجاء الغرفة، فشاهد شرخ كبير على أحد الجدران ثم عاد الملل يدب في نفسه. في النهاية التفت الى ذلك الهيكل الجالس أمامه والمستقر على سريره في هدوء وسكينة وهو يؤدي صلاته، فأعجبه مشهد التعبد، وتأثر به من أعماقه. وفجأة شعر أنه يرغب في تأدية صلاته الخاصة مثل ذلك الجالس أمامه. فنسي رغباته النفسية وآلانه وقلقه، وحتى الأشياء المحيطة به، وكأنها لم تكن وشعر بشيء واحد فقط، رغبته الشديدة المتحمسة للاتصال بالله. اغلق عينيه وترك العالم جانبا، فامتلأ قلبه بالسرور من قوة صلاته ومتعتها، وشعر بالتقديس لهذا التواضع وهذا النعيم. كان احساس جديد لم يذقه من قبل.
أخيرا اذا علمه حضرة عبد البهاء كيف يصلي.
وفجأة، نهض سيد عكاء من مكانه وأنهى صمته الطويل، وتقدم والابتسامة تملأ عينيه مخاطبا الرجل المتواضع، عندما تصلي، يجب أن لا تفكر بآلام جسدك، ولا بالطيور خارج شباك غرفتك، ولا بشروخ الجدران حولك. وعليك أن تعلم بأنك تقف في محضر ذات الجلال..

قناعـة

يتفضل حضرة عبد البهاء: مساء أحد الأيام في طهران كنا نملك كل شيء.. وفي الصباح جردنا من كل شيء، لم يكن لدينا حتى الخبز لنأكله أو نقتاد به.. وضعت والدتي في راحة يدي عددا من أوراق الورد لآكلها بدل الخبز.. مع ذلك كنا قانعين وشاكرين.

رحلـة

فريد مور تينسن، شاب قطع أمريكا من الغرب الى الشرق للآلتقاء بحضرة عبد البهاء. كتب قصته بعد عدة سنوات، قال: ولدت في مكان قاس ومن عائلة فقيرة والتحقت باحدى العصابات.. كانت هذه العصابة تسرق وتقتل وتخرب لكسب عيشها، وسجنت كثيرا. ذات مرة هربت من السجن عندما كنت أنتظر محاكمتي، وبقيت لأربع سنوات مطارد من قبل رجال الشرطة. ذات مرة حاولت مساعدة أحد اللصوص ضد رجل الشرطة، فوقعت في كمين مما اضطرني ساعتها للقفز من جدار يرتفع خمسة وثلاثين قدما تقريبا تفاديا من الوقوع في قبضة الشرطة، لكن ساقي كسرت نتيجة لعلو المكان.

كانت هذه الحادثة سببا لاتصالي بأحد المحامين الذي بذل ما في وسعه لاطلاق سراحي. واضافة الى ذلك، فقد بلغني الأمر المبارك، لقد كان بهائيا. وبهذا ولدت من جديد بكلمة الله.

شعرت بدافع قوي لزيارة حضرة عبد البهاء عند زيارته لأمريكا سنة 1912. ومع انني لا أملك شيئا فقد قررت الذهاب والسفر وقطع تلك المسافة الطويلة، بأي وسيلة كانت. وقبل ليلة واحدة من سفري، شاهدت في منامي انني حللت ضيفا عند حضرة المولى، وجلست الى أحد الطاولات الكبيرة بينما كان حضرة عبد البهاء يمشي ذهابا وايابا وهو يقص بعض الحكايات، ويتحرك ويشاور بيديه.

بدأت سفري، وأخذت أول قطار، ومنه الى آخر.. وآخر، ثم سفينة وأخرى غيرها، وبعدها استقليت باصا وسيارة وتوسلت كل الطرق في الوصول. وبعد كل هذا السفر الطويل والطريق المتعب وملاحقة وسائل النقل بأنواعها. وقفت على باب الجنة، وكان قلبي يخفق بشدة، كنت متعبا وقلقا وملابسي متسخة وقذرة، لكن السعادة والفرحة كانت تملأ صدري وقلبي. دخلت المنزل، ووجدت نفسي بين عدد كبير من الأحباء، وجميعهم يود مقابلته وزيارته، كان الوقت متأخرا، فلم أستطع لقاءه وتركت الأمر ليوم غد. ويا للعجب فعندما عدت في صباح اليوم التالي أخبرني أحدهم بأن حضرته قد أمر بمقابلتي بعد أن ينتهي لقاؤه مع أحد الأطباء الموجود بصحبته في تلك الأثناء. كنت قلقا وسيء الهندام، ولكنني متوقعا لقائه. دخلت ووجدت بالضبط ما قد شاهدته قبل سفري بليلة واحدة تماما، الطاولة الكبيرة ومجموعة الضيوف، وحضرته يقطع الغرفة ذهابا وايابا وهو يتكلم. وعندما شاهدني مد يده مصافحا بحرارة وابتسامته العريضة تملأ ووجهه ثم طلب مني الجلوس، وجلس أمامي. كانت أولى كلماته لي " مرحبا.. مرحبا ".ثم سألني: " هل أنت سعيد؟ وأعادها ثلاث مرات. ثم اقترب مني كي لا يسمعه غيري، وسألني: هل كانت رحلتك ممتعة؟ كنت أرغب في تجنب الاجابة على هذا السؤال بالذات، دون جميع الأسئلة. فحولت بصري خجلا نحو الأرض. لكنه أعاد علي السؤال مرة أخرى. رفعت نظري الى عينيه، فرأيتها كجوهرتين سوداوتين متلألئتين، تبدوان لو انهما تنظران في أعماقي وتقرآن ما في داخلي. كنت أعلم انه يعلم ما أخفي! لذلك قررت الاجابة، فلم تكن أمامي حيلة غير ذلك. قلت: لقد وصلت بطريقة لم يستعملها غيري لمقابلتك. فسألني: " وضح ذلك لي، كيف حضرت؟ " أجبت: جئت راكبا ومتسلقا ومتشبثا، تحت عربات سكك الحديد، على الباصات، داخل السفن.. لقد استعملت كل وسائط النقل بدون أجرة وبدون ثمن. ثم رفعت

عيناي اليه فوجدت عيناه قد تغيرتا، وشعاع عجيب من الحب يخرج منهما، عندها شعرت بالراحة وبسعادة عظيمة.

نهض ليطبع على وجنتي قبلتين ثم مد يده وأعطاني فواكه وقبل قبعتي التي أرتديها، لقد كانت متسخة ولونها بلون التراب.

وعندما حان موعد سفره كنت من ضمن المودعين له، واذا به يشير لي بمرافقته في جولته التي استمرت اسبوع كامل...يالسعادتي فقد أصبحت كلمات حضرة بهاء الله طعامي وشرابي وحياتي بسبب أحداث ذلك الاسبوع. انني أعشق كل ثانية منه.

لا تدخله هنـا..

يتفضل حضرة عبد البهاء: " عندما كنت صغيرا، ذهبت لزيارة والدي في سجن سياه جال بصحبة خادم أسود.. فأشار لنا السجانون نحو جهة الزنزانة، اقتربنا لنرى مكانا مظلما منحدرا نحو الأسفل. حملني الخادم على كتفيه وتوجهنا لدخول ذلك الممر الضيق الصغير، كان علينا أولا هبوط السلم.. بعد نزولنا درجتين لم نعد نستطع رؤية شيء من شدة الظلام. وبينما نحن وسط السلم ولم ندخل الزنزانة بعد.. اذا بصوت الجمال المبارك يعلو من داخل الظلمات آمرا الخادم: " لا تدخله هنا.. ".

فورا أعادني الخادم الى فناء السجن.. وجلسنا ساعة ونحن بانتظار خروج السجناء للراحة..

واحدا تلو الآخر.. ظهر السجناء مسلسلين بعضهم الى بعض من خلال تلك الفتحة الصغيرة. ثم لاح هيكل جمال القدم مقيدا مع بقية السجناء، يسحب بصعوبة سلاسله الثقيلة. أحزنني كثيرا منظر والدي في تلك الحالة ومزق فؤادي وسقطت فاقد الوعي.

هذا بابي ..

يتفضل حضرة عبد البهاء: في تلك الأيام العصيبة.. وهجمات الأعداء المستمرة.. كنت حينئذ في التاسعة من عمري. رمى الأولاد في أحد الأيام أحجارا كثيرة داخل ساحة بيتنا حتى غمرته، وخوفا من اصابتنا بسوء جمعتنا والدتي في مكان منعزل داخل البيت أكثر أمنا.

بعدها استأجرت بيتا آخر في منطقة أخرى. كان لهذا البيت ساحة خلفية واسعة، تجمعنا فيها وتراقبنا وتحافظ علينا بسهولة أكثر.

نفذ ذات يوم ما في البيت من خبز. فقالت لي والدتي: اذهب الى عمتك وأطلب بعض النقود منها لكي نشتري به خبزا.

ذهبت.. وأعطتني ما استطاعت عليه.. خمس قرانات وضعتها داخل منديل ربطته وسلمته بيدي. تعرف علي أحد الأولاد أثناء عودتي وصرخ: هذا بابي.. هذا بابي... وما هي الا لحظات حتى تجمع الأولاد وبدأوا بمطاردتي.. لم يكن أمامي للتخلص منهم سوى الالتجاء الى مدخل أحد البيوت، كانت بابه مفتوحة، فوقفت خلفها مختبئا في الممر عدة ساعات حتى حلول المساء. واعتقدت بعد طول تلك الفترة ومضى كل ذلك الوقت ان الأولاد قد انصرفوا، فخرجت متجها الى البيت.. واذا بهم ما زالوا واقفين ينتظرونني.. وعادوا لمطاردتي مرة ثانية. ركضوا خلفي وهم يصرخون ويرمونني بالحجارة..

وعندما وصلت البيت كنت متعبا جدا، ومنهوك القوى، فاستقبلتني والدتي مندهشة تسألني عن السبب، لكني لم أستطع التفوه بكلمة واحدة.. فقط.. سقطت بين يديها مغشيا علي.

أيام عصيبة

ذكر حضرة بهاء الله ذات يوم بنفسه مخاطبا ملا محمد زنجاني (نبيل أعظم) ما يلي:

"أن أغلب الذين شملتهم العاصفه الرهيبة في تلك السنة، كانوا رفاق سجني في سيه شال.. فقد حجزنا في زنزانة واحدة.. وصفوا أقدامنا وحشروها بقسوة داخل قطعتين من الخشب (الدهق) جمعتا لبعض عند منطقة الساق، ولم يكن في الإمكان تحريكهما بأي شكل من الأشكال أبدا، وهذا ما كان يسبب لنا عظيم الألم.. أما حول رقابنا فثبتت أقسى أنواع السلاسل والأغلال (سلسلة تدعى سلاسل والأخرى قره جوهر)(1) وكانتا ثقيلتان جدا بحيث يصعب رفعهما أو تحريكهما. هذا بالاضافة الى تشبع هواء الزنزانة بالعفونة والروائح الكريهة، وأرضية المكان كانت تعلوها القذارة وتنتشر فيها الحشرات. كما لم يكن هناك سبيل لدخول أشعة الشمس لإنارة ظلام المكان أو تدفئة برودته الشديدة. كان نهاره ليلا وظلامه دامساً..

قيدونا الى الجدار في صفين متقابلين.. ولرفع روحانية ومعنويات زملائي، لقنتهم بعض الآيات ليرتلوها كل ليلة بحماس شديد. فيقول الصف الأول: (قل إن الله هو الكافي وهو الذي يكفي من كل شيء)، فيرد عليه الصف الثاني: (وعلى الله فليتوكل المتوكلون).

وهكذا تبقى أصواتنا مجلجلة حتى ساعات الصباح الأولى، والترديد والصدى يملآن السجن ويخترقان جدرانه السميكة ليصل الى مسامع ناصر الدين شاه، فقصره لم يكن يبعد كثيراً عن مكان السجن.

وذات ليلة، سأل: ما هذه الأصوات؟

فجاءه الجواب: إنها ترانيم البابيين في سجنهم.

بعدها.. لم يعاود السؤال مرة ثانية.."

---

(1) أسماء الأصفاد التي وضعت حول عنق ويدي وأقدام حضرة بهاءالله المباركة. وكان وزنهما معاً يقارب المائة كيلو غراما.

أبـو الفضل

كان جناب ابو الفضل من سكنة مدينة طهران ومن شيعة المسلمين المغالين المتعصبين، وصف في بعض كتاباته ماحدث له في أيام اتصالاته الأولى بالبهائيين وفي الأمر المبارك سنة 1876م وكتب عن جلساته ومناقشاته واحاديثه معهم. كان هدفه الرئيسي من كل ذلك، هو اجبارهم على الاستسلام ووقف نموهم وزيادة عددهم. ولحوالي ثمانية شهور عقد مع متعلميهم عدة جلسات ومناظرات لاطفاء جذوة الايمان فيهم. الا انه في النهاية وجد ان كل تصوراته السقيمة باءت بالفشل وتبخرت وذهبت ادراج الرياح. فراح يطرق درب التحري عن الحقيقة وبذل قصارى جهده في البحث عن دلائل هذا الأمر وأوجد علاقات حميمة وأخوية مع قادة رجال الدين من يهود وزرادشتيين ومسيحيين وسنة وشيعة وأزليين، وجاهد في التساؤل من الاصدقاء والاعداء بخصوص تاريخ مؤسس الامر المبارك ودرس بعناية كبيرة الكتب المقدسة وتأمل الكلمات الالهية وكان يصلي اناء الليل واطراف النهار، راجيا الله وهو في حالة ضعف وألم تامين ان ينعم عليه بالهداية ويعطيه عين البصيرة. وأخيرا، حصل على الرؤيا الصحيحة للدين الجديد بمنة الله وامتلأ قلبه المهموم بالطمأنينة والراحة.

ولكن قبل وصوله الى المرحلة النهائية من اليقين واعتناق الامر المبارك، كان ميرزا ابو الفضل في محنة ذهنية عصيبة، فقد كان عقله موافقا لحقيقة الأمر، الا ان قلبه لم يتنور بنور الايمان واليقين بعد. وخلال فترة البحث هذه قرأ معظم آثار حضرة الباب وحضرة بهاء الله المتوفرة ومن ضمنها كتاب الايقان وحكايته المشهورة معه.

عندما وجد ابو الفضل نفسه مقهورا تماما بالادلة والحجج التي قدمها له مبلغه البهائي. قرر انه لن يؤمن حتى يقدم له حضرة بهاء الله بنفسه معجزة يطمئن بها قلبه. لكن البهائيين أوضحوا له ان المعجزات لاتعتبر برهانا قاطعا لحقيقة المظهر الالهي، لأنها لا تشاهد من الجميع، وتقنع المشاهدين لها فقط. وأكثر من ذلك، فليس للعبد ان يمتحن الحق.

الا ان ابا الفضل أصر على طلبه. فكتب بسرية عدة أسئلة على ورقة ووضعها في ظرف، وأغلقه وختمه بختمه الخاص وسلمه لعبد الكريم (بائع الملابس) ليحتفظ به كأمانة، غير عالم بمضمونها. ثم وضع ورقة بيضاء خالية في ظرف آخر وطلب من عبد الكريم ارساله الى حضرة بهاء الله. وادعى انه لو أجاب حضرته على هذه الاسئلة فلن يبقى لديه شك بحقيقة الامر.

رافق عبد الكريم ميرزا ابو الفضل ومعهما الورقة البيضاء والظرف المختوم الى بيت الحاج محمد اسماعيل الذبيح(1) ليرسل الرسالة الى حضرة بهاء الله في عكاء.

وفيما بعد، أخبر ابو الفضل قصته للحاج حيدر علي الذي دونها في مذكراته، حيث قال: كان الحاج محمد اسماعيل الذبيح غير موجود في بيته عند وصولنا هناك، الا ان زوجته كانت تعرف عبد الكريم، فرحبت بنا بشدة وأصرت على استضافتنا بمحبة كبيرة... فدخلنا حجرة تحتوي على مكتبة عامرة بالكتب والآثار الالهية، وأعطتنا الأذن باستعمالها ان رغبنا، وقراءة ما نحب. وبما ان عبد الكريم كان أميا لايعرف القراءة، فقد سألني القراءة له. فإستجبت بلطف لطلبه.

كان هناك لوح معنون الى السلطان عبد العزيز مكتوبا على ورقة زرقاء. فأخذته وبدأت بقراءته ومررت بقصة (مسرح السلطان سليم) فأعجبت جدا ببلاغتها ورصانة فقراتها. وكلما قرأت، كلما أحببت الاستزادة. والحقيقة لم أمر بحياتي بمثل هذه الكتابات الرائعة التي سلبت عقلي وخلبت لبي. وكنت أفكر بكل شيء، الا ان تكون هذه الكلمات الهية. الى ان وصلت الى الآية التي تقول: (قريبا سنأخذ به وبرئيسه الحاكم وحقا أنا القوي القدير) لوح الرئيس.

فصعقت تماما عند قراءة هذا التصريح ودخلت في حالة من الاستغراب والتساؤل وجلست صامتا لفترة نصف ساعة تقريبا أسبح في افكاري، وأتسائل ان كان هذا سحر كبير. فبالتأكيد هو اختبار عظيم لي. واعتقدت اننا ندخل (يوم الآخر) وهذا لن يتم حتى يأتي الدجال قبل مجيء الموعود. واقتنعت ان حضرة بهاء الله قال هذه الاقوال والنبوءآت ليضل عامة الناس ويشد اتباعه اليه. والا فليس من الممكن لرجل سجين بأمر الملك ان يخاطب الملك بهذه اللهجة القوية ويوبخه بمثل هذه العبارات الشديدة، خاصة وانه فريد وحيد بدون معين وفي ارض اجنبية... ملأت هذه الافكار الشيطانية والتصورات العقيمة عقلي. الا انني الان أشكر الله وأحمده لعنايته بي، لأني لم أكره حضرة بهاء الله ساعتها ولم اجافيه.

على كل حال، ولتخليص نفسي من عبد الكريم، قلت له: ان امتلاك قدرة التحكم بأعمار الناس، معجزة لم يمتلكها رسل القبل. لذلك، سحبت مظروفي المختوم وورقتي البيضاء ومزقتهما، وقلت، ان مجرد تحقق هذه النبوءات، سيقيم الدليل والقسطاس على الحقيقة. واشترطت ان لايكلمني احد عن الأمر المبارك اكثر من ذلك حتى تتحقق هذه النبوءات. وقلت في نفسي، ان حادثة الذهاب الى بيت الحاج اسماعيل ليست عملا أبعدني عن مناقشات جديدة مع البهائيين فقط، بل أمدتني بطريقة استطيع بها هداية هذه النفوس وتخليصهم من سلوك طريق الضلال.

لكن الاحباء لم يقطعوا الاتصال بي جميعهم، وظلوا يأتون لرؤيتي ومحادثتي من وقت لآخر، يحاولون تخليصي من أغلال التصورات البالية. لكني كنت مثل العنكبوت، كلما قطعوا خيوط أفكاري السخيفة كلما نسجتها من جديد.

مضت خمسة او ستة شهور على قراءتي تلك النبوءة، بقيت خلالها أفكر دائما بنبوءة حضرة بهاء الله. حتى جاء اليوم الذي كنت فيه مارا أمام مسجد شاه طهران، فرأيت الحاج ميرزا أفنان وهو تاجر محترم ومن المؤمنين الثابتين بالاسم الأعظم وبرفقته ميرزا حيدر على اردستاني احد الناجين من مذبحة قلعة الشيخ طبرسي. وكانا يقفان على ناصية الشارع يتحادثان، وبما اني كنت أتحاشى البهائيين وأبتعد عنهم قدر الامكان، فقد غطيت رأسي بعباءتي وعبرت الشارع بعيدا عنهما. الا انهما شاهداني ونادياني باسمي، فلم يكن امامي بد الا الاستجابة لهما. وباقترابي، قالا: وصلت طهران برقية تعلن نبأ خلع السلطان عبد العزيز. فوقع هذا النبأ كالصاعقة على راسي. ورغم علمي بمقصدهما، الا اني استشطت غضبا وصرخت بهما غاضبا: ليس لخلع السلطان شأن بي. فلست من اقاربه. فذكراني بهدوء بتعهدي وقالا: ألم تسند ايمانك بالأمر بهذا الحدث؟ فإنتفضت بشدة وبعصبية وتركتهما بدون كلام، ولم أذهب الى مقصدي، وعدت الى البيت. ولعلمي بحجم هذا الاختبار، فقد تغلبت علي المشاعر الجياشة رغما عني، وبعيون تذرف الدموع توسلت الى

الله ان لايضلني. وبينما أنا في هذه الحالة، وصل الى بيتي عبد الكريم ومعه شخصان آخران، الا انني لم أكن في حالة تسمح لي بدعوتهم للدخول، لذلك تركت البيت ولم أعد له الا في وقت متأخر من الليل. كان هؤلاء الاصدقاء يعلمون انني هربت منهم لعدم قدرتي على مقابلتهم. فأنتظروا يومين او ثلاثة، ثم عادوا. عندها اعتذرت لهم عن تصرفي السابق، وقلت: علينا الانتظار حتى تتحقق بقية النبوءة، وأوضحت، ان عبارة (نضع يدنا عليه) لا تعني موتا طبيعيا للسلطان عبد العزيز، فكل انسان سيموت. وأشرت انه يجب ان يقتل.

وصلت حماستي لمعرفة الحقيقة الى قمتها، فزرت جميع العلماء المسلمين الذين أثق بهم، وناقشت معهم مباديء الدين الاسلامي، الا انني وجدتهم عاجزين عن الرد والاقناع. اما الاثباتات التي وضعها البهائيين أمامي، فكانت مقنعة وحاسمة في نظري. في هذا الوقت وجدت نفسي قادرا على اكتشاف غموض وحقيقة اشارات آيات القرآن ومعرفتها.

مضت عدة ايام، حتى جاءت برقية تعلن اغتيال السلطان عبد العزيز. فطار عقلي، وكدت أجن تماما واصابتني الحيرة، ورحت ألطم على رأسي. ودخلت في حالة غير طبيعية، فصرت أحارب الله مرة، وأكفر مرة، ثم أعود لطلب مساعدته لهدايتي وحمايتي. وبقيت في هذه المصيبة أياما وليال طوال، لم استطع تخليص نفسي من هذه الافكار، ولم أنم أو أكل وبقيت أدخن وأشرب الشاي وأبكي فقط.

نهضت ذات ليلة من نومي، ورحت أوبخ نفسي بهذه الكلمات: مضت عليك سنة، وأنت تعاشر البهائيين وتناقشهم، وهم أميين وغير مثقفين، ومع ذلك فقد أكدوا تفوقهم عليك في كل مرة، وقدموا الاثباتات والبراهين والحجج على صحة دعوتهم. ورغم انك تعتبر نفسك رجلا متعلما وباحثا في الكتب المقدسة والاحاديث الشريفة، فانت متأكد انهم أكثر منك علما، ويبدوا انهم مدعومين ومؤيدين من الله وينطق بأفواههم روح القدس. وأنت تشهد على سمو ورفعة أخلاقهم وطباعهم. فلماذا تعتبر كلماتهم كما لو انها همسات شيطانية؟ هل تذكر كم كنت جذلا عند قراءتك قصة (مسرح السلطان سليم) في لوح الرئيس! وكيف انجذبت لقوة كلماتها وحلاوتها وجمالها! والآن، عليك بقراءة كتابات من يدعي انه منزل كلمات الله بعين العدل والانصاف والتحقق منها. ان كان هذا الأمر باطلا، فحسبه الله. وعندها لن يفلح أبدا.

قمت وتوضأت وصليت، ثم أخذت لوح حضرة بهاء الله (لوح الرئيس) وكان بحوزتي لفترة طويلة ولم أقرأه. ففتحته وتوجهت بعيون دامعة وبقلب خالص النية الى الله وبدأت بقراءته. عندها سمعت صوت الله يناديني من خلال فم هذا المظهر الالهي: (ألست بربك؟). فاستجبت لنداء الجمال الابهى بكل قلبي، وقلت: (بلى.. بلى.. أنت أنت. لقد آمنت).

اجتزت مرحلة الافكار والتخيلات السقيمة الشيطانية الى مرحلة الايقان... وانجذبت بشدة الى كلمات الله وامتلكتني قوتها، وشعرت بمحبة وتعلق بحضرة بهاء الله وفرح وسرور داخلي بشكل لااستطيع وصفه. ان الكلمات لتعجز عن وصف العالم الروحاني السامي الذي دخلته.. انني أعلم اليوم انني لو خدمت هذه النفوس التي تسببت في هدايتي الى اخر أيام حياتي او فديت حياتي في سبيلهم، فاني لن أوفهم حقهم، لما قدموا لي من خدمات جليلة نورت بصيرتي وادخلتني حياة روحانية جديدة.

أمضيت تلك الليلة بمتعة لاحدود لها، واسرعت قبل بزوغ الفجر الى منزل عبد الكريم وقبلت عتبة داره، وسجدت عند قدميه وأظهرت له كل الاحترام. فقال لي، ان تصرفك هذا غير جائز، وهو نتيجة معتقداتك القديمة، لأن الله هو الهادي وليس البشر.

---

(1) ليس اسماعيل ذبيح بغداد.

جناب بديع وجلاده

قابلت المؤمنة الامريكية مدام ديفورس بارني معدة كتاب مفاوضات حضرة عبد البهاء، الضابط الايراني السابق محمود والي خان في باريس، وقدمت له نسخة من كتابها وكتاب ألواح حضرة بهاء الله الى الملوك والرؤساء، المحتوي على لوح (ناصر الدين شاه)، وعند قراءته اللوح المبارك، أخذ قلما وكتب على حاشية الكتاب بعض المعلومات الاولية التي سمعها بنفسه من لسان كاظم خان الضابط المسؤول عن تعذيب جناب بديع واعدامه. وكتب ما يلي:

بعث الشاه أمرا لوالدي (سعيد الدولة) وكان آنذاك برتبة جنرال ولم يكن قد حصل على لقب سعيد الدولة بعد. اما أنا، فكنت ضابطا برتبة كولونيل. أمر الشاه والدي بالذهاب الى كاجور وتهيئة اسباب الراحة والتموين لمعسكره الصيفي الذي سيسكنه عند عودته من الصيد في لار ومن هناك سيذهب الى بلدية نور ثم الى كاجور. كنت مع والدي آنذاك في اطراف مانج كاجور عندما وصلتنا اخبار وصول الشاه الى لار وقتله شخصا هناك. بعدها علمنا ان ذلك الشخص القتيل كان رسولا للبابيين (لم يسمع آنذاك بكلمة بهائيين بعد). كان الناس فرحين بمقتل هذا الرسول البابي.

بعدها وصل الشاه الى بلدية نور، فذهبت برفقة والدي لتحيته في خيمته. الا اننا وصلنا قبله، ووجدنا كاظم خان ترك (الفراش باشي) صديق والدي في خيمته، فجلسنا معه وقدم الشاي لنا، ودار الحديث بيننا عن الرحلة. بعدها وجه والدي سؤاله لمضيفه، وقال: يا سعادة الفراش باشي.. من هو ذلك البابي؟ وكيف قتل؟ فأجابه: يا مير بنج.. دعني أقص عليك الحكاية!

كان هذا الرجل مخلوقا غريبا. في (سفيد ماه لار) ذهب الشاه للصيد ولم أكن معه. فجأة رأيت اثنين من الفرسان يجريان نحوي ويخبراني ان الشاه ارسل في طلبي. فامتطيت حصاني وذهبت اليه على الفور. وحال وصولي أبلغني الشاه ان شخصا بابيا جاءه برسالة وانه أمر باعتقاله وهو الآن في كشكجي باشي، فاذهب اليه وخذه الى فراش خانه، وعامله أولا باللطف، واذا لم ينفع استعمل معه كل وسيلة لاجباره على الاعتراف، والبوح باسماء اصحابه ومكان تواجدهم حتى أعود من الصيد. فذهبت وأخذت الرسول وقيدته. ولكن دعني اخبرك شيئا عن ذكاء وفطنة الشاه. كان الرسول يقف في ذلك المكان حاملا رسالته، وحالما نطق ان لديه رسالة يريد تسليمها

للشاه، ادرك الشاه انه بابي، وأمر باعتقاله وأخذ ما بحوزته من رسائل. الا انه رفض تسليم الرسالة التى في جيبه الى أي شخص غير الشاه. فأخذته الى البيت، وتكلمت معه في البداية برفق ومحبة وقلت له: أعطني تقريرا كاملا عن الموضوع. من أعطاك هذه الرسالة؟ ومن أين جئت بها؟ وكم لها من الوقت معك؟ ومن هم رفاقك؟

فقال: أعطاني أياها حضرة بهاء الله في عكاء. وقال لي: عليك بالذهاب الى ايران لوحدك فقط، وتسليم هذه الرسالة الى شاه ايران نفسه. واعلم ان حياتك ستكون بخطر. ان قبلت، فخذها. والا فسأرسل رسولا غيرك. فقبلت المهمة. وكان ذلك منذ ثلاثة شهور. كنت أبحث عن فرصة لتسليمها ليد الشاه واخباره بها. وأشكر الله انني انجزت مهمتي اليوم. ان كنت تريد بهائيين فهم كثر في ايران. وان تطلب اسماء رفاقي، فكنت وحيدا وليس معي أحد.

فضغطت عليه لمعرفة اسماء رفاقه واسماء البهائيين في ايران وخصوصا في طهران. الا انه أصر على الانكار وقال: ليس لي رفاق ولا أعرف احد من بهائيي ايران. فأقسمت له، وقلت: ان اخبرتني بالاسماء فسوف احصل لك على العفو من الشاه وأنقذك من الموت. فكان جوابه: اني أتمنى الموت! هل تعتقد انك تخيفني؟

عندها أمرت بالفلقة، وضرب بها وتناوب عليه ستة رجال في كل مرة. ومع كل ذلك الضرب لم يبك ولم يتوسل ابدا.

وعندها أوقفت الضرب وأجلسته بجانبي، وقلت له مرة ثانية: أعطني اسماء رفاقك. فلم يجبني وبدأ يضحك، وكأن كل ذلك الضرب لم يؤذه بأي شكل. فغضبت وأمرت بجلب السياخ والنار، وبينما هم يهيئونها، قلت له: تعال وقل الحقيقة، والا فسأحرقك. فلاحظت ازدياد ضحكه. فأمرت بالفلقة مرة اخرى. فضربوه حتى تعبوا، وتعبت معهم. عندها فككت وثاقه واخذته الى خلف خيمة اخرى وقلت لرجالي عليكم بكيه حتى يعترف. فحرقوا ظهره وصدره عدة مرات بالحديد المحمر. وكنت أسمع أزيز صوت لحمه يحترق وأشم رائحته. ولكن مهما فعلنا به وحاولنا، فلم نحصل منه على شيء. وعند المغيب عاد الشاه ودعاني اليه. فذهبت وقصصت عليه كل ما حدث. فأصر الشاه على حمله على الاعتراف ثم اعدامه. لذلك عدت وأحرقته مرة ثانية. فراح يضحك تحت وطأة كل تلك الحروق. وللمساومة، رضيت منه ان يقول، ان ما جاء به هو التماس وليس رسالة. فلم يستجب لهذا الطلب ايضا. عندها فقدت اعصابي وأمرت باحضار لوحا خشبيا ووضعت رأسه عليه ووقف الجلاد فوق رأسه والخشبة الاخرى بيده. وقلت له: ان صرحت باسماء رفاقك، أطلقت سراحك، والا فسآمر بضرب رأسك بهذا. فبدأ بالضحك وشكر الله لحصوله على مبتغاه. عدت وقلت له: قل ان ما جلبته هو التماس وليس رسالة. فلم يقبل حتى بهذا. لذلك أشرت الى الجلاد بضرب رأسه، فضربه ضربة قوية هشمت جمجمته وأسالت مخه من أنفه. عندها ذهبت الى الشاه وأخبرته بكل شيء.

لقد ذهل كاظم فراش باشي من تصرف واصرار هذا الرجل وقوة تحمله وعدم تأثير كل الضرب والحرق فيه وعدم شعوره بأي ألم.

أما الشاه، فقد أرسل اللوح الى طهران الى الملا علي كاني وغيره من العلماء لقراءته والاجابة عليه. الا انهم قالوا: ليس هناك ما نجيب عليه. وكتب الحاج ملا علي الى مصطفى الممالك (رئيس الوزراء) ليخبر الشاه نيابة عنه: ان كان (لا سمح الله) لديك أية شكوك تجاه الاسلام وان ايمانك به ليس كافيا. فأنا مستعد لتشتيت ذلك. ومثل هذه الرسالة ليس لها جواب. ان الجواب هو ما فعلته بالرسول تماما. والآن عليك بالكتابة الى السلطان العثماني عبد العزيز ليكون قاسيا جدا مع صاحبها ويضيق عليه سبل المعيشة في السجن.

وسجل تاريخيا، ان الشاه غضب بشدة من تصرف علماء الدين برفضهم مواجهة تحدي حضرة بهاء الله وكتابة جواب له. الا انه لم يستطع عمل شيء لتغيير موقفهم.

بعد سنة ونصف تقريبا وخلال رحلتي الى كربلاء، أصيب كاظم خان بالجنون، فقيده الشاه. ثم مات بعدها ميتة تعيسة. وفي سنة ذهابي الى تبريز كحاكم لاذربيجان، وجدت حفيده يتسول في الشوارع وعند أبواب الجوامع.

فإعقلوا يا أولوا الألباب.

دليل القافلة

رحل للزيارة في أيام الأمر الاولى رجل غني وعالم مسلم كبير مع عائلته من مدينة كاشان في ايران الى مدينتي النجف وكربلاء في العراق. ولما لم يجد شخصا مناسبا يختاره بين أدلاء القوافل، أجبرته الظروف على استئجار دليل بابي ليسافر معه، يدعى هاشم خان لإصطحابه الى مقصده وإعادته الى وطنه. أما السبب الذي كان يدعوه للنفور من صحبة هاشم خان، رغم كون الاخير رجل ثقة وذا خبرة في المنطقة لكونه بابي الديانة. كان هاشم خان رجلا قويا طويل القامة، قليل الثقافة رغم تعلق قلبه بنور الأمر المبارك في مراحله الاولى. ونتيجة لذلك أنعم الله عليه بنعمة الفهم والادراك، وكان باستطاعته إقناع الناس بحقيقة ما يعتنقه بطريقته الخاصة البسيطة.

تجنب التاجر وعائلته، الدليل هاشم خلال الرحلة قدر المستطاع، ولم يرغبوا في التكلم معه او معاشرته، فهو في نظرهم شخصا مرتدا ومنشقا عن الدين الحنيف.

الا ان في مثل هذه الرحلات الطويلة، تحتم على المسافرين التوقف مرتين او ثلاث خلال النهار، للراحة، ولإطعام البهائم وغير ذلك. ذات مرة وبينما كان الجميع يأخذون قسطا من الراحة، قرر التاجر، التقرب من هاشم والتكلم معه، في محاولة منه لرده عن معتقده، وإعادته الى دينه القديم. لذلك دعاه للانضمام اليه وللآخرين. وبعد تقديمه الشكر والامتنان على خدماته وعنايته بعائلته ومن معهم. راح يحاوره، وقال: (كيف حصل إني فشلت في تقدير صحة دعوة الباب، رغم علمي وفطنتي ومعرفتي. بينما إدعيت أنت معرفتك بحقيقة دعوته، وأنت جاهل تقريبا؟).

وفي اجابته على هذا السؤال. مد هاشم يده الى الارض وتناول حفنة من الرمل وبسطها أمام وجه محدثه، وقال: (ان الناس من أمثالي، ليسوا ذوي شان، مثل هذه الرمال. ورغم ذلك، عندما تشرق شمس الصباح يكونوا أول المستنيرين بأشعتها. أما الرجل المتعلم من أمثالك. فهو مثل جوهرة ثمينة تحفظ وتخبأ داخل صندوق في غرفة مقفلة. فيبقى غارقا في ظلمته رغم شروق الشمس وسطوعها!).

إهتز التاجر لهذا الجواب البسيط، العميق المعنى، وإنتبه ان هذا الرجل الأمي، يعرف شيئا لايعرفه هو. ونتيجة لذلك، لازم هاشم طوال الطريق يحاول معه ويحاوره ويتعلم منه، حتى زالت كل الحجبات التي غطت بصيرته. وفي النهاية، تنور قلبه بأشعة دين الله الجديد.

والحقيقة، ان جواب الدليل البسيط، كان عميقا جدا، رغم تقديره لمقام وقيمة العلماء والمتعلمين. وهذا يثبت انه عندما تشرق شمس الحقيقة، يجب على رجال العلم والمعرفة، السعي لشرح صدورهم وأرواحهم لأشعتها والتنور بنورها. فهنالك العديد من الحجبات المضرة التي تمنع الناس من اعتناق دين الله الجديد، وتلفهم في حالة من الظلام والحرمان التامين، مثل المادة والثروة والسلطة وغيرها مما يحيط البشرية في هذا اليوم.

علي أكبر حكاك

ان الذين يميزون حقيقة، مقام حضرة بهاء الله، يقبلون العذاب والمعاناة بسبب محبته، ويعرفون تماما انهم بعد اعتناقهم أمر الله، سيكونون في خطر دائم وعظيم. وعندما يتركون منازلهم، يكونوا غير متأكدين من عودتهم اليها مرة ثانية، فالأعداء

مستعدون في كل الاوقات للوثوب على أي شخص يوسم بالدين الجديد. لذلك، فمن اتبع حضرة الباب وحضرة بهاء الله في الأيام الأولى، أدرك بوضوح انه يمكن في أي لحظة سفك دمه في سبيل الله. كان هذا هو امتحان ايمانهم. ومع ذلك، بقي جلهم ثابتين على عقيدتهم حتى النهاية. ولا أحد يعلم، ماذا يشاهد هؤلاء الشجعان وقت الشهادة حتى يثبتوا كالجبال في تلك اللحظات التي يرهبها أقوى الرجال.

والقصة التالية تصور مشهدا لعملية شهادة أحد المؤمنين الأوائل، وتثبت بوضوح أحقية هذا الدين.

هاكم شخصا نبذ حياته بطريقة مأساوية مؤلمة بحيث ذرف الدمع عليه، العديد ممن احتشدوا للاستهزاء به او لمجرد رؤية منظر اعدامه. وتأثرت بعمق شديد، حتى قلوب الرجال الاشداء المكلفين بتنفيذ هذه الاعمال الشائنة.

ان البطل اللامع الذي يظهر في هذا المنظر المأساوي، هو (علي أكبر حكاك)، شاب جذاب جميل من مدينة يزد في ايران. يعمل نقاشا وله خبرة ومهارة عالية في فنه. متزوج وله ولد عمره أربع سنوات اسمه (حبيب الله).

حالما وصلت اخبار نيريز ومذبحتها المفجعة الى يزد، شرع علي أكبر من فوره برحلة لزيارة ذلك المكان التاريخي، حيث قاتل (وحيد) الفريد وسقط مع جماعته المدافعين الشجعان شهداء. وفي طريق عودته الى يزد، اظهر متعة روحانية وحماسة غامرة في اعمال التبليغ، بحيث اشتهر بسرعة وعرف بانه بابي. مما دفع الحاكم المستبد لإعتقاله بتهمة الهرطقة، ورفع تقريرا الى العاصمة طهران يسألهم التعليمات. مرت قرابة الشهرين ولم يصل جواب طهران. عندها انتزعت من الأسير، فدية مالية، واطلق سراحه، بشرط تسليم نفسه فور وصول الجواب الى مقر الحاكم.

بعد حوالي ثلاثة شهور، وصل الأمر بقتل أي شخص يثبت انتمائه الى الديانة البابية فورا. فدفع هذا الأمر المجحف الحاكم بقوة الى التنفيذ، وأرسل رجاله لإعتقال علي أكبر في منزله، واصطحابه الى مقره في القلعة، حيث احتجزوه هناك. فإستقبل الأسير أمر الاعتقال، بروح ملؤها الرضى، غير مبال بالقدر الذي ينتظره.

انتهز العامة في يزد هذه الفرصة، يدفعهم التحامل المتعصب على الدين الجديد، ونهضوا بسرعة وبعنف ضد كل من إتصف بالبابية، ولم يهتموا لا بصفات علي أكبر ولا بأخلاقه الحميدة ولا بسمعته.

غير ان الحاكم والمكلفين بإعدامه حاولوا مساعدته وأبدوا نفورهم من العملية، وفعلوا كل ما في وسعهم حتى ينطق الرجل مجرد كلمة ضد الدين الجديد لإنقاذ حياته. واستعملوا كل طرق الاقناع والتهديد والوعيد. الا انهم فشلوا تماما، فلم يكن هناك شيء يقنع هذا البطل الإلهي صاحب القلب الشجاع على انكار او تبديل دينه العزيز، مقابل هذه الدنيا الفانية. فإشتاط الحاكم غضبا لعدم تحمله شخصا يجرؤ على تحدي سلطته ويصر على رأيه، واستدعى رئيس الحرس وأمره بقتل هذا البابي المرتد، بوضعه داخل فوهة مدفع ونسفه. وعلى الفور تحركت وحدة المدفعية لتنفيذ الأمر وأخرجوا مدفعا من المعسكر الى ساحة مجاورة. ثم اقتاد رئيس الحرس والجلاد، الضحية الى ساحة مجاورة، وسط ضوضاء وصراخ جموع المشاهدين.

ورغبة من رئيس الحرس في انقاذ علي أكبر من مصيره المحتوم، استخدم طرقا عبقرية لإرهابه وتخويفه وكسر معنوياته العالية، للتخلي عن ولائه لدينه.

كان المدفع من النوع القديم الذي يعبأ من فوهته، ولمعرفة رئيس الحرس بعدم تعبئته بعد. فكر بتمثيل عملية الاعدام، آملا بتخويف الضحية وارعابها. فغالبا ما تنجح هذه الخدعة. وبنظرة وحشية مرعبة، أصدر أمره للجلاد بالاسراع في التنفيذ. فربط الرجل الى فوهة المدفع لإطلاقه بدون تأخير. وهكذا تم. تركت الضحية بهذا المنظر المخيف لفترة غير قليلة. بينما كان طاقم الاطلاق يتحرك ذهابا وايابا، متظاهرين بتجهيز مدفعهم. كان رئيس الحرس خلالها يراقب الضحية عن كثب، ويطالبه بالانكار

بين الحين والاخر. الا انه تعجب كثيرا من بقاء علي أكبر على هدوءه واصراره بدلا من الخوف والاهتزاز. وأدرك بسرعة ان تمثيليته فشلت. فأسرع نحو المدفعي ليوقف محاولاته الخادعة.

كان الوقت حوالي الساعة الحادية عشر صباحا، والساحة محتشدة بجموع المشاهدين الحمقى الشرسين. وحالما حل وثاق الرجل، تقدم منه رئيس الحرس مظهرا محبته وتعاطفه معه. فأخذه جانبا وأجلسه بقربه يحاول معه برغبة شديدة ويطالبه ويحثه مرة تلو الاخرى على الانكار لإنقاذ حياته. الا ان الفشل كان من نصيبه مرة اخرى. وجلس علي أكبر مثل صخرة صلبة غير قابل لحل وسط، مقاوما بقوة كاملة كل هذه الاختبارات. في هذه اللحظات العصيبة، بدأ رئيس الحرس يشعر بالتذمر الشديد لعدم عثوره على شيء قيم عند هذا الشاب، يجبره على الانكار. فإقتاده الى مسرح الاعدام وهو يشعر بالرعب والفشل معا، وأمر طاقم المدفعية بتعبئة مدفعهم. في تلك اللحظات، خطرت له فكرة جديدة راقت له واعتقد بنجاحها في كسر روح السجين. وهي استدعاء زوجة السجين، فأرسل رجاله في طلب المسكينة وطفلها الى مكان الاعدام. كان هذا التحدي شديدا بحق. فبعد بضع دقائق، ظهرت الزوجة في حالة من الأسى وهي تمسك بيدها طفلها المحبوب الذي بدى لطيفا وجذابا بردائه الجميل، ووقفت أمام زوجها تبكي بحرقة، وتقول: إرحم هذا الطفل.. ماذا سأفعل بعدك وبدونك؟

لم يجب علي أكبر على توسلاتها وأدار لها ظهره. فإلتفتت ومعها طفلها ووقفت أمامه ورمت بنفسها على قدميه تلتمس وتتوسل. الا انه بقي صامتا وأدار لهما ظهره مرة ثانية. فما كان من الصبي الصغير، الا ان ركض نحو أبيه وشد رداءه وصاح: (بابا.. بابا.. لماذا تشيح بوجهك عني؟ ألم تعد تحبني؟). ويبدو ان هذه الكلمات البسيطة المؤلمة، كان لها وقعا مختلفا، أثرت في الوالد الضحية أكثر من أي شيء آخر. ومن المحتمل انه لم يتحمل وقعها عليه، لأنه رفع رأسه بنفاذ صبر الى السماء بطريقة المستغيث، وكأن لسان حاله يقول: (يا إلهي.. أتوسل اليك وقف هذه الامتحانات).

هنا وصلت المأساة المحزنة الى قمتها، بحيث تعاطفت معه قلوب العديد من المشاهدين، وحزنوا وإغرورقت بالدموع حتى عيون رئيس الحرس.

بخر نكران الذات والثبات الخارق الذي أظهره هذا الشهيد الشهم، آخر نقطة أمل لدى رئيس الحرس في سعيه، لرده عن دينه. فصرخ برعب مقررا وضع حد لهذه المسرحية المحزنة، وذلك بتنفيذ أمر الحاكم على الفور. فربطت الضحية مرة ثانية، الى فوهة المدفع أمام أنظار زوجته المحزونة وطفله البريء. وأخلي المكان من جميع الواقفين. الا ان الطفل رفض الابتعاد عن والده، وراح يصرخ ويتوسل ويقول: (خذوني لأبي! دعوني بقربه!).

اصبحت النهاية المرعبة قريبة في هذه اللحظات، واجتاح نفوس المتواجدين في الساحة شعورا بالتوتر والرعب والخوف، وساد الصمت أرجاء المكان، ولم يسمع الا صوت رئيس الحرس وهو يشير ويأمر بإطلاق النار وارسال الضحية الى الجو لتمزيقه اربا في ثوان. ووسط تعجب الجميع، رفض المدفع الانطلاق. فكرر الجنود المحاولة مرة ثانية وثالثة، والمدفع لاينفجر. فوقف الكل امام ما يحدث، مذهولين صامتين. وهنا ركض رئيس الحرس نحو الضحية ليرجوه، قائلا: نحن لا نريد قتلك. ويبدو ان الله لا يريد ذلك ايضا. والآن ألا تعطف على ولدك وزوجتك؟

الا ان علي أكبر لم ينطق بكلمة، حتى عندما ركضت زوجته الحزينة وطفله الى جانبه مرة اخرى. وبقي هادئا غير مكترث ابدا بمن حوله.

كان الجنود في تلك الاثناء، منشغلين بتعبئة المدفع من جديد. ووقف رئيسهم منتظرا لفترة قصيرة، لعل الضحية يتخلى عن موقفه وينطق بكلمة نكران، او ربما يحصل شيء ما لينقذ حياته.

على كل حال، لم تخطر اية فكرة لحل وسط في عقل علي أكبر، وكانت روحه مشتاقة للتضحية بجسده التافه في سبيل ربه، ولرقيها الى بارئها.

الآن، حانت الفرصة الذهبية واقتربت.. ورغم كل الفرص العجيبة التي كان باستطاعته استغلالها لتخليص نفسه، أكد ثبات علي أكبر الطويل العديم المثال، الفرق بين رؤيته النبيلة وبين أفكار رئيس الحرس. وبعيدا عن الحزن والتردد وبفرح وشوق كبيرين وروح مسرورة، استقبل الشهيد - اشارة رئيس الحرس المفعم باليأس - أمرا باطلاق المدفع من جديد.

في هذه المرة، وخلال جزء من الثانية، انفجر جسد الشهيد المجيد وتفرق الى اشلاء متناثرة وسط الانفجار الناري الدخاني الرهيب، وطار في الهواء عاليا، ليسقط من السماء مثل قوس قزح قرمزي اللون مصحوبا بحمام من الدماء، ولتنتشر أشلاءه بعيدا في كل أرجاء الساحة.

بعدها، أمر رئيس الحرس ترك أشلاء الشهيد في مواضعها على الارض حتى المساء لتدوسها المارة والحيوانات باقدامها وحوافرها.

فكانت هذه الشهادة المحزنة ضربة موجعة لكل جامعة المؤمنين الاوائل، خصوصا زوجته المحزونة التي بقيت تبكي وتلطم رأسها بحزن لا حدود له.

جـارنـا

يروي الحاج محمد طاهر مالميري في مذكراته (تاريخ الأمر في يزد) هذه القصة الممتعة بخصوص احد السادة، واسمه ابو القاسم بيضا:

كان السيد ابو القاسم تاجرا جيدا وشاعرا موهوبا ومواطنا محترما معروفا، اعتاد مخالطة ومجالسة تجار وشخصيات المدينة لمكانته المحترمة. اما من ناحية عقيدته، فكان مسلما ثابتا أمينا شريفا، فهو حفيد الحاج الملا رضا (أحد قراء عزاء الامام الحسين المشهورين).

يقول الحاج محمد طاهر، كان بيتي يغلق طريق المرور على بيت ابي القاسم ولا يسمح له بالوصول الى الشارع الا من خلال باحة بيتنا. ولأن بيتنا كان معروفا ببيت البابيين، فقد بقي هذا الرجل يخاف الاقتراب او الوقوف بقربه. لذلك اعتاد اجتياز تلك الفاصلة راكضا بسرعة شديدة وبأقصى ما يمكنه، حتى لاتناله تأثيراتنا الروحانية.

بعد عدة محاولات لتبيلغه، آمن الرجل واعتنق الأمر المبارك، وصار يحضر لقاءاتنا داخل بيتنا الذي طالما خاف الاقتراب منه. وكلما تذكر أيامه الاولى تلك، يقول: كنت كلما مررت بهذا البيت يرتجف جسدي ويرتعش بأكمله، وأبقى طوال النهار أشعر بالرهبة والانزعاج.

ميرزا مصطفى

في يوم مغادرة حضرة بهاء الله استنبول، وصل اليها مؤمن مخلص يدعى ميرزا مصطفى، من مدينة نراق، اعتنق الامر البابي في ايامه الاولى. وكان قد زار بغداد وسكنها لبعض الوقت ايام اقامة حضرة بهاء الله فيها، وفاز بلقاءه وتمتع بمشاهدة جمال وجه مولاه الذي لم يكشفه للناس بعد. أما في استنبول فقد سنحت الفرصة له بالتشرف بمحضر مولاه لمرة واحدة فقط، حيث أمره خلالها، بالعودة الى ايران للانخراط في تبليغ الأمر المبارك. فذهب الى اذربيجان.

وفيما يلي قصة هذا الروح الباسل كما وردت عن لسان حضرة عبد البهاء:

عندما وصل ميرزا مصطفى اذربيجان، راح يبلغ الأمر المبارك، وبقي مواضبا على الصلاة والتعبد ليلا ونهارا، مما زاده حماسة وأحدث تبليغه للأمر صخبا في تبريز. وانضم اليه في نفس الوقت العالم الشهير الشيخ احمد خراساني. فاتحدت قوة

الاثنان في التبليغ. وكانت النتيجة نارا روحانية عارمة، راحا على اثرها يبلغان الأمر علانية بين الناس، مما دفع أهل المدينة للنهوض ضدهما بحنق شديد.

فطاردهما الحرس وأمسكوا بميرزا مصطفى. الا ان المعتدين اشتبهت عليهم شخصيته، وارادوا اطلاق سراحه، وقالوا مشككين: ان هذا ليس هو الرجل المطلوب، ان ميرزا مصطفى له جذيلتين طويلتين. عندما سمع الرجل ما قاله الحرس، خلع عمامته على الفور واسقط جذيلتيه، وقال: مهلا توقفوا.. انا هو الرجل المطلوب. فإعتقلوه وعذبوه مع الشيخ احمد، حتى كرع هذين الرجلين العظيمين كأس الشهادة في تبريز وأسرعا الى العالم الأعلى.

في موقع الشهادة صرخ ميرزا مصطفى بأعلى صوته: اقتلوني أولا. أقتلوني قبل الشيخ احمد حتى لا أرى سفك دمه.

كانت العادة في تلك الايام توجيه وجه الضحية نحو القبلة قبل تنفيذ الاعدام. الا ان ميرزا مصطفى استدار نحو ادرنة ورفض الحياد عنها كلما طلبوا منه ذلك، وكان يقول: هذه هي القبلة الحق. ثم صرخ بصوت عال، سمعها من حوله قبل تلقيه الضربة القاتلة: يا بهاء الأبهى.

نبيـل أكبـر

هذه قصة اخرى تبين مقدار ما يصيب المؤمنين الجدد بالديانة البابية من خطر رهيب. هي قصة الملا محمد قائني الملقب بنبيل أكبر. استخلصت هذه المقتطفات من أقواله التي سجلها ابن أخيه الشهير شيخ محمد علي قائني.

حدثت القصة، اثناء اعتقال حضرة بهاء الله في سجن سياه جال في طهران، عندما شنت حملة عظيمة لإبادة البابيين من قبل الحكومة والشعب ورجال الدين. كان وقتها (نبيل أكبر) رجل دين بارز ومثقف كبير. وصل طهران في ذروة موجة الاضطهادات ضد البابيين، وهو في طريقه الى مدينتي النجف وكربلاء في العراق لزيارة العتبات المقدسة. فصادف ان سكن في مدرسة فقهية يديرها رجل دين يدعى الشيخ عبد الحسين. وهاكم قصته أيام اقامته في تلك الاثناء في طهران:

كان مدير المدرسة، قليل الالمام بالفلسفة الالهية والغيبيات رغم اهتمامه بها، لذلك اعتاد دعوتي الى العشاء خلال الامسيات ليتعرف على وجهة نظري وآراء غيري.

خلال تلك الفترة، حاول شابان بابيان الاعتداء على حياة الشاه وقتله، الا انهما فشلا وألقي القبض عليهما. ونتيجة لذلك استعرت نار غضب الملك، وأمر باستئصال شأفة البابيين جميعا. فحمل اثنان من الضباط في طهران مسؤولية ووزر تنفيذ أمرالشاه، وهما عزيز خان سردار ومحمود خان كلانتر. وراحوا يقبضون في كل يوم على مجموعة من الناس ليعدموهم، وأصبح الوضع خطيرا جدا، لدرجة انه حتى لو أتهم أي شخص بالبابية زورا وبهتانا، فسيلاقي نفس المصير ولن ينجيه من القتل شيء.

حدث ان ذهب بعض الطلاب ممن كانوا ضد أفكاري الفلسفية وضد الفلاسفة أجمعين الى محمود خان، للوشاية بي وليتهموني باعتناق البابية. ساعتها، كنت أمضي ليلتي في مقاطعة سانجلاج في بيت صديق عزيز كان يعمل طبيبا، عندما وصل عدد من الجنود في الصباح الباكر ليصطحبوني الى بيت محمود خان. ولشدة حراجة موقفي وخطورته، تدبرت كتابة بعض السطور على ورقة صغيرة، وارسلتها الى الشيخ عبد الحسين أبلغه بحالتي.

أخذت الى بيت الكلانتر في طابقه العلوي، فوجدت هناك رجلا متقدما في السن معتقلا لنفس السبب. وعندما رأى حالتي، أصابه الحزن الشديد، وأبدى عطفه تجاهي، وتوسل الى الله بحرقة ودموع لنجاتي.

سمعنا داخل البيت هياجا شديدا وصراخا وأنينا، فأدركنا ان هناك معتقلين يعذبون ويضربون من قبل الكلانتر. لم يمض وقت طويل، حتى صعد الكلانتر للغرفة المقابلة

لنا. فاغتنمت الفرصة، وبدون أذن منه، تقدمت نحوه، وبادرته بالتحية. الا انه لم يرد علي. وبدلا من ذلك، غضب وتجاهلني. فسألته عن سبب إحضاري الى هنا؟ أجاب: لتنفيذ أوامر الشاه. فسألته: ما هو جرمي؟ أجاب: هل هناك جريمة أكبر من البابية، أعداء الدين والدولة؟ قلت له: ان هذا اتهام باطل ضدي. أتهمني به أعدائي الذين ليس لهم نية سوى إيذائي.

عندما لاحظت عدم تأثير كلماتي عليه، لم أتابع الموضوع أكثر من ذلك، وسلمت نفسي لقدري. وبينما انا جالس أنتظر ما يخبئه القدر لي، اذا بسكرتير الشيخ عبد الحسين يصل الى المكان، ويسلم الكلانتر رسالة من مديره. بعد قراءتها، ارتسمت على وجهه علامات الهدوء، وشرع بتقديم الاعتذار لي، وقال: ان الشيخ يريد لقائك. عليك بالذهاب اليه فورا. عندما نهضت استعدادا للمغادرة، نهض من مكانه، ورافقني حتى الباب، وقدم لي اعتذاره عدة مرات.

ذهبت الى المدرسة، حيث كان الشيخ ورفاقه في انتظاري. ففرح بوصولي. ولإهتمامه بأمر اعتقالي، أراد معرفة سبب الحادثة. فقلت له: إسأل هذا السؤال لطلابك المتعجرفين الذين إتهموني ووشوا بي ظلما. فإغتاظ حال سماعه ذلك، وخاطب طلابه بلهجة شديدة ووبخهم ووعد بانزال أقسى العقوبة بحق الفاعل.

على كل حال، ورغم بطلان التهمة وعدم ثباتها، الا انني وصمت بعدها بالبابية بين طلاب ورجال الدين. واعتقدوا انني بابي، وهذا هو سبب اعتقالي الحقيقي، ولم يطلق سراحي، الا بتدخل الشيخ عبد الحسين نفسه. فانتشر الخبر بين الناس، وراحوا يتهامسون فيما بينهم ويشيرون نحوي في الشوارع والاسواق، وتجنبني بعض الطلبة وراحوا يبتعدون عني، حتى لا تلامس عباءآتهم عبائتي.

ذات مساء، وبعد اشتهاري بالبابية، جاء لزيارتي شخص يدعى سيد يعقوب، يعيش في نفس المدرسة وهو من قائين. واتضح لي فيما بعد، انه بابي يخفي ايمانه. فقال لي ممازحا: هل تعلم، أنك اشتهرت بين الناس في هذه المدينة بالبابية؟ ان رجال الدين والطلاب يصفونك بها ويعتبرونك واحدا من جماعة البابية. فأجبته: لكن هذه الاشاعات بدون أساس. فأنا لا أعرف عن هذه الجماعة غير اسمها، ولم أقرأ سطرا واحدا من كتبهم، ولم أقابل أحدا منهم. قال: على كل حال، أصبحت الآن معروفا بالبابية. وآراء الناس تجاهك لن تتغير، ان قرأت كتابات الباب أم لم تقرأها. وبالمناسبة، لقد عثرت على بعض تلك الكتابات بالصدفة، الا انني لم أفهمها. وبما انني وجدتك منصفا ورجل ثقة تتمتع بأخلاق حميدة، لذلك جلبتها معي الآن حتى تقرأها. وسأكون ممنونا لك وشاكرا، ان اخبرتني رأيك واستنتاجك منها. ومد يده الى جيبه ليخرجها ويسلمها لي، قبل ان ينصرف.

نظرت الى الاوراق باستخفاف وبدون أكتراث. ولأن عقلي كان مليئا بعبارات ومصطلحات الفلاسفة ومعتادا على طرقهم، لم تجلب انتباهي هذه الكتابات اطلاقا، ووجدتها ركيكة وخالية من الحقيقة والحكمة معا. لذلك جمعتها وخبأتها تحت كتبي.

جاء السيد يعقوب في الليلة التالية يستفسر عن استنتاجاتي. فقلت له: قرأت الكتابات بشكل سطحي، ولم أجد فيها ما يجلب انتباهي. ان هؤلاء البابيين المساكين، يضعون أنفسهم في وضع باطل وخطير، ويضحون بأنفسهم في سبيل مولاهم. ان الأناس العاديين معذورون لأنهم لايميزون الخطأ من الصواب. لكن الذي يحيرني، هو هؤلاء العلماء، لماذا يطرقون هذا السبيل ويتسببون في تضليل البسطاء؟ من الواضح جدا ان دعوى الباب باطلة، ولاحاجة لاثبات ضلالة أتباعه.

إنزعج السيد يعقوب عند سماعه هذا الرأي، وبقي صامتا لبعض الوقت مطرقا برأسه الى الأرض.. ولدى استعداده للمغادرة، نطق بهذه الأبيات: (غالبا ما تنقلب المعرفة والذكاء الى لص مهول يسرق عابري السبيل..). ثم خاطبني قائلا: وجه نظرك الى المغزى الباطني والى حقيقة هذه الآثار، حتى تشاهد ما لم تره عين،

وتسمع، ما لم تسمعه اذن، وتشعر بما لم يشعر به قلب. قال هذا، وترك الغرفة واليأس باد عليه.

تأملت للحظات موقف السيد وأفكاره. وانزعجت ليأسه. وشككت انه بابي يبغي اضلالي. ولاظهار بطلان دعوة الباب للسيد فقط، ولانقاذه من طريق الضلال، قررت اخراج الكتابات لقراءتها بعناية، حتى أثبت خطأ الباب من خلال كتاباته. وكان ذلك هو السبب الرئيسي في اقدامي على قراءتها، الا انه تملكني الخوف والرهبة والانزعاج من فحواها، ووجدت نفسي أمشي فوق الصراط بين الموت والحياة. في هذه المرة، تعجبت كثيرا، عندما وجدت ان كل سطر منها فتح علي بابا جديدا من المعرفة، واظهر أمام عيني عالما جديدا. فلم أستطع النوم تلك الليلة، وكان تعجبي يزداد كل دقيقة عندما أقرأ. فأعدت قراءة الآثار المباركة، وغمرت نفسي في لجة ذلك البحر، مثل غواص يبتغي جمع درر ولئاليء ثمينة، وشاهدت حقيقة دعوى النقطة الاولى واضحة أمامي مثل شمس النهار في كبد السماء، وأحسست في نفسي بانني أملك قلبا وعيونا وروحا وقوة جديدة، وأدركت ان كل المعرفة والفلسفة التي اكتسبتها وتعلمتها سابقا - والتي كانت مصدر افتخاري - وكأنها لاشيء تماما.

جاءني السيد يعقوب في مساء اليوم التالي، فتملكه السرور والذهول لرؤيته انقلاب حالي، وعند سماعه قصتي، رمى بنفسه على الارض من هذه الاخبار المفرحة، وراحت دموعه تنهمر على وجنتيه وصدى ضحكاته يملأ أرجاء الغرفة. ومن ساعتها، راح يتحفني بالكثير من الآثار المباركة.

ميرزا حلبي

ان قصة شهادة مبيض النحاس، الحاج ميرزا حلبي ساز يزدي، وهو من اتباع حضرة بهاء الله المحبين، حكاية من تاريخ الأمر القديم. حدثت خلال مذابح يزد الفضيعة في صيف عام 1903م عندما تم قتل وأعدام عدد كبير من البهائيين خلال بضعة أيام.

تجمع عدد من الناس خارج منزل الحاج ميرزا، في ذكرى ولادة سيدنا محمد (ص)، وراحوا يرجمون باب بيته بالحجارة لمدة طويلة، فكسروا وحطموا كل نوافذ المنزل، وتصرفوا بخسة ودناءة، اضطر الحاج ميرزا للصعود الى سطح منزله لمطالبتهم بتوضيح السبب. فارتبك بعضهم وطأطأوا رؤوسهم خجلا وانصرفوا، بينما بقي صغار السن منهم على أعمالهم الصبيانية حتى هدؤا من وقع تأثير كلماته وانصرفوا... لكنهم عادوا عند المغيب، يرجمون الحجارة داخل المنزل لحوالي ثلاث ساعات.

في ساعات الفجر الاولى، غادر الحاج ميرزا منزله، قاصدا بيت الحاج ميرزا محمود أفنان، ليلتقي الاحباء في تجمعهم كعادتهم، لاداء الدعاء والمناجاة في مشرق الأذكار، وبقي حتى انتهاء الجلسة قبل الشروق، وأبدى رغبته لتوديع الحاضرين الوداع الاخير قبل مغادرته، لاحتمال عدم تمكنه من رؤيتهم مرة أخرى. فعانقهم واحدا تلو الآخر. ادرك صاحب البيت خطورة الموقف، ونصح الحاج بالبقاء وعدم العودة الى بيته، وانتظار جلاء الموقف خلال النهار. لكن الحاج رفض الاقتراح، وخرج وهو يقول: (ليفعل الله ما يشاء).

في صباح نفس اليوم، كان الحاج منشغلا بقطع لوح زجاجي داخل بيته، وبجانبه جلس اطفاله الثلاثة وزوجته، عندما ظهرت خارج المنزل مجموعة من الرجال وعلى رأسهم شخص يدعى حسن مهرزى معروف بشقاوته وقوته غير العادية. فضرب باب البيت بقوة، ففتحها ودخل الى الدار، ومن خلفه المهاجمين، ثم تقدم من الحاج وأمسكه بقوة وسحبه الى خارج البيت، وراح يضربه بسلسلة ثقيلة من الحديد،

والحشد من خلفه يضربونه بأيديهم وبالعصي والسلاسل الحديدية والحجارة، حتى سقط الرجل على الأرض مضرجا بدمه.

عندما شاهدت زوجة الحاج ما يجري أمام بيتها، اندفعت بيأس وسط الجمع المحيط بزوجها، ورمت بنفسها على جسده المثخن بالجراح لتقيه من الأذى. الا انهم ضربوها بالعصي والسلاسل وجرحوها جروحا بليغة. ورغم ما أصابها منهم، بقيت متمسكة به تحاول تخفيف الضرب والأذى عنه، فحاولوا سحبها لابعادها عن جسد حبيبها، لكنها بقيت تحتضنه لفترة من الوقت.

أما الاطفال، فكانوا يقفون على مقربة من هذا المشهد المخيف، هلعين يصرخون ويبكون خائفين لا حول لهم ولا قوة لدرجة الموت، والله وحده يعلم ما كانوا يشعرون به من رعب. كان كبيرهم يدعى عناية الله، في سن الحادية عشر، والبنت كان اسمها رضوان في سنتها التاسعة، والصغيرة طوبى وكانت في السادسة. بعد فترة تمكن المهاجمون من ابعاد الزوجة عن زوجها. ورغم ان جسد الحاج ميرزا كان مليئا بالجروح وينزف بغزارة، الا انهم سحبوه الى بيت (امام الجمعة) مصحوبا بحوالي مائتي رجل.

لم يتحركوا من مكانهم سوى بضع خطوات، حتى تسللت زوجة الحاج ميرزا من بينهم، ورمت بنفسها على جسد زوجها مرة ثانية. فحاولوا أبعادها، لكنها تمسكت به بشدة. في هذه المرة، ضربوها أكثر من قبل حتى أفقدوها وعيها، ثم تركوها مرمية على الارض بحالة يرثى لها، وسحبوا زوجها معهم. فاغتنم الغوغاء والعامة هذه الفرصة لخلو البيت من أهله المظلومين واقتحموه، لينهبوا كل ما وجدوا.

كان أولاد هذا المظلوم يبكون وينتحبون قرب جسد أمهم المطروح على الارض فاقدة الوعي. وبينما هم في هذه الحالة التعيسة، تقدمت بعض النسوة من جسد أمهم شبه العاري وقميصها الخفيف الممزق وأخذوا منها وشاح رأسها (للدلالة على انها إمرأة غير صالحة) وتركوها ممدة كما هي. عندها، اقتربت منها امرأة معروفة بسوء سمعتها تدعى (روبيبة) وأظهرت شجاعة ونخوة حقيقيتين، فانحنت عليها لتغطيها بعباءة قديمة جلبتها من بيتها القريب وحاولت جاهدة انعاشها واعادتها لوعيها. كان اولاد الحاج ميرزا يبكون دون توقف وبحرقة لا حدود لها. فحاولت المرأة بكل ما في وسعها لتهدئتهم، وحملت أمهم على ظهرها الى منزلها وأظهرت شجاعة عظيمة في مساعدة الضحية. ففي مثل هذه الظروف لايجسر احد على مد يد المساعدة الى بهائي، لاحتمال اتهامه بالانتماء الى الدين البهائي. الا ان روبيبة كانت مومسا، وبذلك فهي بعيدة كل البعد عن هذه التهمة. وفي البيت جهزت شرابا خاصا وسقت الاطفال منه، ومن ثم أمهم، التي فاقت بعد ساعتين. أما الاطفال فكانوا منهكين من كثرة البكاء.

حال استطاعتها الكلام، سألت الزوجة عن أخبار زوجها، فأخبرت، انهم أخذوه لدائرة الحكومة وان الامير يعامله بكل لطف وعطف، فإنفجرت تبكي بحرقة. لم تجد روبيبة الا ان تواسي الأم، حيث قالت لها: اشكري الله على سلامة الحاج. عليك بعدم البكاء أمام الاطفال لأنهم عانوا كثيرا. ثم ساعدتها على الوقوف وحملتها مع اطفالها الى بيتهم. كان البيت مخلوع الأبواب والشبابيك، وأفرغ ما فيه تماما من آثاث وسجاد وملابس، ولم يترك الغوغاء فيه شيئا ذا قيمة. بل لم يستطيعوا اغلاق باب بيتهم عليهم، لأنها محطمة ومرمية على الارض.

التجأت الأم الجريحة واطفالها المساكين الى زاوية في ركن البيت يبكون بحرقة حتى منتصف الليل تقريبا. واذا بسيدة اخرى تحمل لهم اخبارا مفرحة من الحاج ميرزا محمود أفنان، تقول ان الحاج في صحة جيدة وهو في مكان أمين وسيعود الى البيت في مساء اليوم التالي. فواست هذه الكلمات قلوب العائلة الحزينة بعض الشيء. ومع ان روبيبة كانت خائفة وتتوقع هجوم الناس عليها لمساعدتها تلك العائلة المنكوبة، الا

انها تدبرت أمر جلب بعض الطعام للأم واطفالها. وخلال ذلك، ولأن البيت كان بدون باب خارجي، بقي الغوغاء وخصوصا النساء والاطفال يستغلون الفرصة ليدخلوا ويخرجوا دون وازع ويهيلوا الشتائم والسباب للعائلة المحزونة.

انزوت الأم واطفالها الى ركن غرفة وجلسوا على الأرض ينتظرون عودة والدهم، وبمساعدة روبيبة طبخوا طعاما بسيطا لتقديمه للأب عند عودته. الا انه لم يعد.

أما بالنسبة لوالدهم فقد أخذته جموع الغوغاء الى بيت امام الجمعة، وهناك تقدم منه رجل شرس يدعى حسن، وأمره بشتم الدين البهائي. فنظر الحاج اليه ولم يجبه. فأعاد حسن طلبه ثانية بغضب. عندها، قال الحاج: أنت لست قاضيا ولا حاكما. وهذا ليس من شأنك. وسأجيب على الأسئلة في المكان المناسب. عند سماع حسن هذا الجواب، غضب غضبا شديدا، وانطلق الى دكان قصاب قريب وأخذ منه سكينا كبيرا، وبضربة قوية فتح جمجمة الحاج، وبإخرى قطع يده. وبينما هم كذلك، وصل اثنان او ثلاثة من رجال الحكومة واخترقوا الحشود ليأخذوا الرجل الجريح الى دار الحكومة. وهناك سقط مغشيا عليه في الممر. الا انه عاد وأفاق بعد دقائق.

ويروي مجموعة من البهائيين الذين كانوا معتقلين داخل القصر، شاهدوا عملية اعدامه، فقالوا: أخذ الحاج ميرزا، ساعته اليدوية المزينة في ظهرها بصورة حضرة المولى وأعطاها لأحد الحاضرين ليسلمها الى زوجته وأطفاله... في هذه الاثناء كان الجلاد يربط مئزره الخاص على رأس الحاج ليوقف نزيف الدماء الغزير، الا ان ذلك لم ينفع، اذ خارت قوى الرجل وسقط مغشيا عليه، فرفع الجلاد مئزره عن رأس الضحية ولبسه هو. ونفذ في تلك اللحظة، عمله المطلوب. وهكذا تمت عملية الشهادة. وكان عمر الحاج ثمانية وثلاثون عاما.

بعد حلول المساء بساعتين، أرسل الحاكم الى الحاج ميرزا محمود افنان وطلب منه ارسال من يخلي جثة الشهيد لدفنه. فذهب القائم على خدمة الروضة الأبدية في يزد الى قصر الحاكم وحملها على ظهره ودفنها هناك.

بقيت عائلة الحاج ميرزا تلك الليلة يقظة حتى الصباح لاتعلم شيئا عن استشهاده ويتوقعون عودته للبيت سالما. وبقي الاطفال يلحون في السؤال، والأم تؤكد لهم عودته القريبة. الا ان الوقت مضى وانتشر حراس الليل في طرقات وأزقة المدينة وخلت الشوارع من المارة، عندها انقطع الامل بعودته. الا ان الاطفال لم يناموا، وبقيت الأم صاحية تعاني من أوجاع جراحها الشديدة منتظرة عودة الزوج. ومع أول بزوغ خيوط نور الفجر، خرجت رغم كل الآلام والجراح الى بيت الحاج ميرزا محمود أفنان تستفسر منه عن مصير زوجها. وحالما شاهدها، لم يستطع تحمل الموقف وراح يبكي وينتحب. وبهذه الطريقة علمت الزوجة باستشهاد زوجها.

عادت الأرملة المسكينة الى البيت كسيرة الجناح تبكي بدموع لا انقطاع لها، والله وحده يعلم مقدار حزنها وشتات أفكارها، بينما جلس الاطفال ينتظرون عودة والدتهم بصحبة والدهم، وحال رؤيتهم حالتها وهي بتلك الدرجة من الخوف والرعب أدركوا ماحصل، وراحت أصوات بكائهم ونحيبهم تسمع في كل ارجاء البيت. ويمكننا تصور مصيبتهم بتأمل حالتهم، فالبيت خال تماما من كل شيء ووالدهم مقتول وأمهم مثخنة بالجراح والناس جميعا ضدهم.

وكأن كل هذه المصائب لم تكن كافية لهذه العائلة التعيسة. فبعد يومين، أطارت إمرأة من الحي اشاعة تقول، ان زوجة الحاج ميرزا سممت خزان مياة الشرب العام في المدينة. فكانت هذه الاشاعة كافية لهجوم بعض النسوة على بيتها للقضاء عليها. كانت الأم جالسة مع أطفالها في زاوية من البيت تصلي لله وتبكي حالها، واذا بحوالي ستين او سبعين إمرأة يدخلن عليها ويبعدن الاطفال جانبا ويطرحنها أرضا، ورحن يضربنها بنهاية القسوة لقتلها والتخلص منها. فأحدث هذا العمل صخبا وضوضاء عالية

في الحي واجتمع الناس من كل مكان. ووصل الخبر الى رئيس الحرس، الذي إنطلق مع رجاله الى المكان واخترقوا جموع النساء ليجدوا الأم المسكينة فاقدة الوعي منذ نصف ساعة تقريبا والمهاجمات مازلن يضربنها رغم اقتناعهن التام بموتها.

بعد تفريق الجمع، كانت زوجة الحاج ميرزا مرمية على الارض وملابسها ممزقة قطعا منثورة حولها وجسدها عار مغطى بالدماء والتراب. فإنتاب رئيس الحرس شعورا بالخزي والارتباك ولم يستطع النظر اليها فتركها وانصرف. وترك اطفالها ممسكين بجسدها المهروس وليس هناك من يعتني بهم سوى جدتهم العجوز التي كانت هي نفسها محتاجة لمن يساعدها ويأخذ بيدها. وهنا تدخلت العناية والقدرة والرحمة والعطف الالهي لتشمل الاطفال. فبعد ساعة، راح جسد الأم الميت يتحرك. وبسرعة عادت لها الحياة. فأسرعت روبيبة مرة اخرى لجلب بعض الملابس لها.

عند سماع النسوة نبأ بقاء الأم على قيد الحياة، قررن العودة للقضاء عليها. الا ان عمدة الحارة تدبر أمر حملها الى مكان آخر، رغم جراحها الشديدة. فأخذت الى دار الحكومة في القصر، وتكلف المجتهد الشيخ محمد جعفر سبزوارى أمر حمايتها، وأرسل وراء امرأة تدعى بابي بجم وطلب منها ابقاء الأم التعيسة في بيتها والعناية بها حتى ينجلي الوضع.

بقيت الأم في بيت تلك السيدة لا تعلم شيئا عن مصير اولادها حوالي عشرين يوما وبقي الأطفال الأبرياء المظلومين خلال هذه المدة بدون والديهم جالسين بين اطلال بيتهم الخالي الا من جدتهم العجوز المريضة، منهكين تماما، وهم في خوف وترقب مرعب خائفين على حياتهم معتقدين ان مصيرهم هو القتل أيضا، ينتظرون بلهفة عودة أمهم. وخلال العشرين يوما عانوا من الارهاق والتعب والجوع والخوف كثيرا وتحولت أجسامهم الى مجرد هياكل عظمية من شدة الجوع، وكان المارة يرمونهم بالحجارة ويشتمونهم بألفاظ نابية، وكلما سمعوا السباب والشتائم اعتقدوا ان الناس سيدخلون لقتلهم، فيتملكهم الخوف الرهيب، ويسرعون نحو حضن العجوز المتهالك ليحتموا به. كانت مصيبة الولد الاكبر عناية الله بفقدان والديه، تعذبه بشدة، فمرض بشكل خطير وتمدد على الارض في احدى زاويا الحجرة. كما عانى بقية أخوته كثيرا لدرجة أنهم صاروا على وشك الهلاك. وغالبا ما سألوا العجوز: ماذا فعلنا ليقتلنا الناس؟

إن القلم ليعجز عن وصف مصيبتهم هذه...

أخيرا، وبعد عشرين يوما، هدأ الوضع، وعادت الأم يملؤها الرعب والهلع لتبحث عن أولادها.

وأورد الحاج محمد طاهر مالميرى مؤلف كتاب (تاريخ شهداء يزد) حالة استشهاد الحاج ميرزا من فم زوجته. ووصف حزن قلبها كما ذكرته هي بنفسها عند عودتها الى البيت ومشاهدة أولادها على وشك الموت، قالت:

يشهد الله علي، انني عندما وصلت الى البيت رأيت ثلاثة أطفال لم أميزهم ولم أتعرف عليهم، فتركتهم ورحت أبحث عن أولادي، فقالت لي والدتي: ان هؤلاء هم أولادك! فنظرت اليهم وتفحصتهم. وعندما تأكدت أنهم أولادي، دخلت في حالة محت من قلبي وعقلي كل ما عانيته سابقا، وأصبحت كل تلك المصائب لا قيمة لها. ولحد هذا اليوم وبعد كل تلك السنين يرتعش جسمي بأكمله من الخوف والهلع عندما أتذكر ذلك الموقف.

ويعطينا نفس الكاتب في كتابه غير المنشور (تاريخ الأمر في مقاطعة يزد) صورة عن المعاناة التي وقعت على أطفال الحاج ميرزا عندما كانت أمهم في الحجز، فيقول:

كان لهذه العائلة جار يدعى زين العرب، يسكن بجوارهم ويلاصق سطح بيته سطح بيتهم. ذات مساء أثناء مجزرة يزد، قال بعض الأشرار لهذا الرجل: طالما ان

بيتك مجاور لبيت الحاج ميرزا. فاننا نعتقد انك بهائي أيضا. والحقيقة انه كان بعيدا جدا عن هذا، فهو رجل سافل شقي جدا. عند سماعه هذه التهمة ثارت ثائرته وقرر الذهاب لقتل زوجة الحاج ميرزا وأولادها الثلاثة. فذهب الى بيته واخذ مسدسه وصعد سلم بيته متجها الى سطحه واجتازه الى سطح بيت الحاج ميرزا وراح يصرخ لاعنا وشاتما، رافعا مسدسه ومعلنا بصوت عال لجميع من حوله رغبته بالنزول الى بيت جاره لقتل اطفاله. كان الاطفال في تلك الساعة يجلسون في ركن من البيت حول جدتهم مرعوبين من هيئة زين الشريرة وما يتفوه به، وهو يقف على السطح شاهرا مسدسه. وراحوا يبكون ويصرخون ويتوسلون. وعندما شرع الرجل بنزول سلالم بيت جاره متوجها نحو باحته، سمع الصياح جار آخر يدعى أقا حسين ابن أقا رضا، حيث اسرع البالسطح في الوقت المناسب ليمنع حدوث تلك الجريمة. فتوجه نحو زين يحاول منعه، وسأله بتودد: لماذا تريد قتل هؤلاء الاطفال؟ أجاب زين: في هذا المساء، اتهمني بعض الرجال انني بهائي، لأنني جار الحاج ميرزا. لذلك قررت محو هذه العائلة تماما. ولن يمنعني أحد من تنفيذ ما أريد. فراح أقا حسين يهدىء من غضب زين ويوضح له ان الاطفال ابرياء، وان والدهم البهائي قتل وانتهى أمره، ومصير والدتهم مجهول. وهم أيتام، ذبح والدهم ومات أمام عيونهم وضربت والدتهم وعذبت، ولا أحد يعلم هل هي ميتة الان أم على قيد الحياة. ويعيشون الان عرايا في هذه الخرابة، جوعى ليس لديهم شيئا يأكلونه. انظر لحالهم البائس انهم يبدون أشباحا. فكيف يسمح لك ضميرك بتنفيذ هذا العمل؟ لقد أمر الرسول محمد (ص) اتباعه باحترام الجار حتى ولو كان كافرا. وأنت مسلم، فكيف تفعل هذا بهؤلاء الاطفال الابرياء؟

ولما لم تنفع هذه الكلمات مع زين ولم تجد طريقا الى قلبه القاسي، طلب منه أقا حسين تأجيل تنفيذ رغبته قليلا والذهاب معه الى بيته للجلوس قليلا وتدخين سيجارة وشرب قدح من الشاي والاستراحة، ثم ليفعل بعدها ما يشاء. واخيرا، استطاع الجار الطيب اقناع هذا الرجل الشرير، ومع كثير من المحاباة والتودد والاقناع استطاع تغيير فكرته.

أما بالنسبة للاطفال، فالله وحده يعلم مقدار خوفهم ورعبهم في تلك الليلة. وقال لي احدهم: جلسنا طوال تلك الليلة في الظلام يقظين مرعوبين خائفين وعيوننا شاخصة نحو السلالم نتوقع نزول زين في أي وقت. وأقل حركة وأدنى صوت كان يخيفنا ويملؤنا رعبا لاعتقادنا انه قادم. لن ننسى أبدا رعب وهلع تلك الليلة السوداء.

ذبيح أدرنـة

ترك لنا حسين آشجي طباخ حضرة بهاء الله لسنين طويلة، هذه الحكاية عن مساء ذلك اليوم الذي غادر حضرته ادرنة الى ميناء غاليبولي في تركيا. قال حسين آشجي:

صدرت الاوامر من استنبول بنفي حضرة بهاء الله الى سورية. وعلى اثر ذلك، أشاع خورشيد باشا خبرا مفاده انه سيغادر ادرنة لشعوره بالخجل، بسبب فشله في وقف تنفيذ هذا الامر، ولعدم استطاعته مواجهة حضرة بهاء الله. أوكل موضوع النفي الى بعض الضباط واختفى. والحقيقة انه لم يغادر المدينة، بل انسحب الى بيت صيفي في ضواحي المدينة مختبئا خجلا.

ويضيف حسين آشجي، ذات مساء وبعد انجاز عملي في المطبخ، ذهبت الى السوق لزيارة أقا رضا شيرازي وميرزا محمود كاشاني في محلات عملهم. وبعد دقائق من وصولي، اذا باثنين من الجنود يصلان ويستدعيانهما الى دار الحكومة. فحاولت الانسحاب بهدوء وترك المكان، الا انهما امسكا بي واخذاني معهما. ثم فهمت بعد ذلك، انهم قبضوا على جميع الاحباء اصحاب الدكاكين في السوق وسجلوا

اسمائهم وأعدادهم. وبمعرفة السلطات انني الطباخ الخاص لحضرة بهاء الله، نودي على جندي ليرافقني الى بيت حضرته.

باقترابنا من البيت المبارك، ارتعبت لرؤيتي عددا من الحراس يقفون خارج البوابة. وعندما حاولت الدخول، منعوني رغم محاولة الجندي المرافق توضيح الامر. وقالوا لايمكن دخولك الا بموافقة الضابط المسؤول، وهو الآن موجود في القسم الخارجي لبيت حضرة بهاء الله، يتحدث الى حضرة عبد البهاء... وبعد عدة محاولات، تمكنت من الدخول، فذهبت مباشرة الى محضر حضرة بهاء الله. فسألني عما يدور في المدينة. كنت خائفا جدا وفمي ناشف من الخوف لدرجة صعب علي الكلام وقتها. فاستأذنت للخروج من الغرفة لشرب بعض الماء، وعندما شعرت بالتحسن عدت الى محضره المبارك. فنظر إلي وابتسم وتفضل يمازحني: هل الكاشاني خائف؟ (اشارة لأهل كاشان المشهورين بالخوف). فأخبرته بالقصة كاملة. عندها أرسلني الى بيت أخيه أقا كليم مع رسالة تأمره بالحضور فورا. وعند عودتنا ووصولنا الى بوابة بيت حضرته، سمح الجنود لي بالدخول ومنعوه. فحاول استغلال حريته وبعث معي رسالة الى حضرة بهاء الله، تقول: طالما أنني حر في الحركة داخل المدينة، فهل يمكنني عمل شيء للمساعدة؟ فتفضل حضرته: قل لأقا كليم ان يدخل. نحن لانطلب مساعدة أحد. ان أمرنا ليس بيد أحد، انه بيد الله. نقلت أمره الى حضرة عبد البهاء، فطلب من الضابط دخول أقا كليم. فدخل.

كانت الاوامر تقضي بالرحيل خلال يومين. الا ان حضرته ارسل الى السلطان معترضا على عدم كفاية المدة للتجهيز للرحلة، وان بعض تجار السوق يطالبون رجاله بتسديد ما بذمتهم من ديون. وطلب حضرته ايضا الافراج عن رجاله الثلاثة المحتجزين في استنبول ليبيعوا خيولهم الثلاثة لتسديد الديون التي عليهم، عندها يمكننا الرحيل.. كان الضباط يصلون الى قسم البيت الخارجي كل يوم ليقابلوا حضرة عبد البهاء. والحرس يحيطون بالبيت ليل نهار. استمر هذا الوضع ثمانية ايام. جاء خلالها العديد من القناصل الاجانب لمقابلة حضرة بهاء الله، الا ان الحرس كانوا يمنعوهم من الدخول. حيث كانوا يظهرون كرمهم وتعاطفهم وقدموا لحضرته حماية وتقدير حكوماتهم. الا انه أوضح لهم بجلاء عدم رغبته في طلب مساعدة أية دولة. وحسبه الله وحده... وبالرغم من اصرارهم الشديد. الا انه رفض خدماتهم بلطف، مؤكدا انه وضع كل ثقته بالله وانه متوجه اليه في كل الاوقات.

ذات مرة، نصح حضرته بعض اصحابه من الذين وصلوا حديثا للتشرف بمحضره المبارك، بالابتعاد عن المدينة وعدم الاندماج مع المنفيين، واخبرهم ان جهة سفره غير معلومة. وكان من ضمنهم أخوين شجاعين جريئين هما الحاج جعفر تبريزي وكربلائي تقي. بعد سماعهما نصيحته. قرر الحاج جعفر مع نفسه تفضيل الموت على البقاء حيا وبعيدا عن مولاه. فأخذ سكينا وذهب الى قسم البيت الخارجي المزدحم بالضباط ورجال الحكومة ووضع رأسه خارج الشباك المفتوح على الشارع وقطع حلقومه. سمع أقا محمد علي تمباك فراشي صرخة عالية صادرة من جعفر، حيث كان يقف بجانبه، ولكن لا علم له بما قرره الحاج، بعد سماعه صرخة جعفر، سحبه الى داخل الغرفة، ليجد ان رقبته كانت مقطوعة، فذعر الجميع من هذا الحدث. ونادوا على حضرة عبد البهاء على الفور. أما أنا، فتصادف دخولي الغرفة في نفس لحظة الواقعة، لأحسب عدد الموجودين وأعد لهم العشاء الكافي، وكانت حضرة الورقة العليا تنتظرني في المطبخ لتعرف النتيجة. عندما رأيت الحاج جعفر بتلك الحالة يترنح داخل المكان والدم ينزف منه وقد صبغ ملابسه وتناثرت قطراته والرجال حوله يتحركون في كل اتجاه وكل يشير ويقول ويطلب شيئا، أخافني المشهد كثيرا وبقيت واقفا مذهولا. ورأيت الجنود يطمئنون الذبيح بقرب وصول الطبيب لمعالجته. ورأيته رغم عدم استطاعته

الكلام، يشير اليهم بطريقة واضحة ومفهومة انه سيقطع رأسه مرة ثانية ان نجح الطبيب في انقاذه.

وبسبب تأخري وعدم عودتي الى المطبخ، ارسلت حضرةالورقة العليا في أثري أرملة ميرزا مصطفى، الا انها حال رؤيتها منظر الحاج جعفر انهارت وسقطت على الارض مغشيا عليها. ومرة أخرى ونتيجة للتأخير، أرسلوا خادمة اخرى مسيحية لتعرف ماذا يجري. فسقطت هي الاخرى بجانب الأولى فاقدة الوعي حال رؤيتها للمشهد! في تلك الاثناء ارسلني حضرة عبد البهاء الى قسم البيت الداخلي لجلب بعض ملابسه الخاصة ليغير للحاج جعفر ملابسه الملطخة بالدماء. وفي طريقي، وعند الباب، شاهدت السيدتين مغشيا عليهما، فسكبت ماء على وجهيهما، فأفاقتا، واصطحبتهما الى المطبخ. عندما شاهدتنا العائلة المباركة مرعوبين خائفين، اندهشوا وارادوا معرفة حقيقة ماحدث، وخاصة عندما طلبت ملابس حضرة المولى. فقلت محاولا تغطية الموقف، ان حضرته تعرق كثيرا في الزحام ويريد التغيير! لكن حضرة الورقة العليا لم تصدقني، وقالت: قل لي الحقيقة، ما هو الموضوع؟ لماذا أنتم خائفين بهذا الشكل؟ حاولت اخفاء الامر، الا انها طالبتني بلطف، واشارت ان صمتي سيسبب خوف جميع اهل البيت. فلم أجد بد من قول الحقيقة. واقترحت على حضرتها اخفاء الموضوع عن حضرة بهاء الله حتى يتم تناول عشاءه. فلم توافق على اقتراحي، وعلقت قائلة: هذه ليست اول مرة يحصل فيها هذا. فقد سفك الاف من الاحباء دمائهم في سبيل الجمال المبارك.

اما بالنسبة للحاج جعفر، فقد وضعوا بعض القطن على جرحه منتظرين وصول الطبيب وطلب منه حضرة عبد البهاء الهدوء وضرورة التعاون مع الطبيب عند وصوله ووعده بمرافقة حضرة بهاء الله في نفيه. الا انه لم يكن راغبا بتضميد جرحه. وبقي يردد: حياتي لاتساوي شيئا بعيدا عن محبوبي... وهنا.. وفي هذه اللحظة.. اذا بالحاضرين يتراجعون بهدوء الى جوانب الغرفة والمكان يسوده الصمت المطبق والهدوء التام، فقد شرف حضرة بهاء الله الغرفة وتقدم الى جانبه بكل جلاله وكماله وعظمته وأخذ بيديه المباركتين رأس الحاج جعفر، وأكد له على مرافقته له الى مكانه الجديد حالما يشفى من جرحه. وطلب منه البقاء في ادرنة حتى الشفاء التام ثم اللحاق به. فلم يتحرك احد ولم يسمع للحاضرين صوت، الا بعد ان غادر حضرته الغرفة. عندها شرع الجراح بعمله. كان الجرح كبيرا لا يندمل، وبقي ينفتح كلما خيط، والطبيب يكرر عمله مرة بعد اخرى حتى اتم عمله. اما الحاج جعفر فكان ساكنا هادئا لا يتحرك، وتحمل الألم بشكل عجيب، حتى ان معالم وجهه لم يكن يبدو عليها شيء من التأثر!

السيد جعفر

السيد جعفر يزدي عالم دين محترم من قبل كل أهالي يزد. اعتنق الأمر المبارك خلال زيارة العالم الشهير وحيد الى المدينة لتبليغ الامر البابي. بعد فترة، علت موجة من الاضطهادات، أجبرت وحيد وسيد جعفر وبعض المؤمنين على ترك المدينة والذهاب الى نيريز في مقاطعة فارس.

ولأن السيد جعفر يتمتع بمكانة محترمة ويملك حماسة عالية، راح يبلغ الناس علنا في نيريز تحت اشراف جناب وحيد. وخلال وقت قصير، انضم تحت لواء الأمر عدد كبير من الناس. فأشعلت هذه الفعاليات نار عداء الحكومة ورجال الدين معا. وحدثت نتيجة لذلك، مذبحة عظيمة جرفت معها العديد من المؤمنين ومن ضمنهم وحيد نفسه.

كان المحرض الاول لهذه الاحداث، هو زين العابدين خان حاكم نيريز الذي أمسك ببعض من نجوا من القتل لتعذيبهم حتى الموت لاسباب مختلفة ومن بينهم

السيد جعفر الذي اعتبره الحاكم مسؤولا بشكل مباشر عن ايمان الناس بالدين الجديد بسبب علمه ونفوذه. وسجل المؤرخ البهائي الشهير نبيل أعظم (نبيل زرندي) ما يلي عن حبس السيد جعفر:

كان الحاكم قبل ذلك، يحترم السيد جعفر ويقدمه على نفسه بشكل واضح، لما له من مكانة ونفوذ كبيرين بين الناس. أما الآن، فقد أمر بخلع عمامته - رمز نسبه الرفيع - ورميها في النار، واظهاره امام العامة حاسر الرأس ليمطروه بالسباب ويسخروا منه.

استمرت مذبحة نيريز بضعة شهور، فكانت سببا لنشر الفقر والمجاعة بين الناس وخصوصا بين الفقراء. وأثرت القوات المشاركة بالمذبحة من وقع الفاجعة بشدة على شحة مصادر الغذاء والمواد التموينية. واستمرت هذه الازمة حتى بعد المذبحة وانسحاب الجيش. مما اتاح للحاكم استغلال هذه الفرصة، حيث قام بتخزين كميات كبيرة من القمح لبيعها للناس باسعار باهضة. وعندما أصبح الوضع قاسيا ولم يعد أحد يقوى على شراء قوت يومه ، وافق الحاكم على توزيع الحنطة بينهم بأسعار زهيدة. وكان يجلب السيد جعفر من زنزانته ويوقفه أمام بوابة المخزن وقت توزيع الحصص على الناس ويشترط على كل من يريد أستلام حصته، البصق في وجه السيد جعفر أولا، ومن لايفعل يحرم من حصته. فيقف بطل الأمر الالهي هذا على باب المخزن يتلقى بصاق مئات الرجال والنساء على وجهه المبارك وهم يمرون بتلك البوابة ينظرون اليه بحقد وكراهية.

لم يشعر آقا سيد جعفر بالقرف او التذمر او السخط أمام هذا الاحتقار الشديد، بل العكس، بقي هادئا ساكنا في مصيبته وأظهر روحا مرحة عالية ومحبة وشكر تجاه كل من أهانه.

وكما سجل تاريخيا ورسميا، لاحظ السيد جعفر ذات مرة وهو واقف في محنته، ان عددا من الناس يترددون في التقدم لأخذ حصتهم، فناداهم بوجه ملائكي مرح، وقال: من الأفضل لكم التقدم وأخذ حصتكم قبل فوات الاوان، فليس مهما ان تبصقوا في وجهي، فسوف أمسحها بمنديلي.

من الوارد جدا، انه عند وقوفه بجانب بوابة المخزن والناس يمرون به ويفعلون ما يفعلون، ان عاد بأفكاره الى تلك الايام الجميلة في يزد، يوم كان يقف كل يوم جمعة على المنبر لإلقاء خطبته ويتلقى من الحاضرين التقدير والاحترام. يا لهذا التناقض الحاصل الآن! انه يقف بسعادة تامة امام كل هذا الاحتقار، لأن مولاه أنزل على عيونه رؤيا رائعة لحياة جديدة منحته تاج المجد الخالد. والقلة القليلة من الناس كانت تتسائل: لماذا لا تطغى وتغطي هذه الاضطهادات المرة شعاع سعادته السماوية.

ان هذه المعاملة الوحشية لم تكن الا بداية كربة أقا سيد جعفر ورفاقه. فقد أمر الحاكم الظالم بأخذ السيد جعفر من سجنه كل يوم ليضرب بالفلقة أمام بيت أحد المواطنين، فيضرب بشدة حتى يرق قلب صاحب البيت أو أحد المارة عليه ويدفع بعض المال كفدية لإنقاذه بصورة مؤقتة. ثم ينقل في اليوم التالي الى مكان آخر في الشارع، وهكذا... وكنتيجة لهذا العذاب اليومي أدميت وتورمت وتقرحت قدماه ولم تعودا تقويان على حمله.

كان مصير صاحبه الحاج محمد تقي أكثر فداحة منه، ففي كل يوم كان يؤخذ الى مقر الحاكم لتخلع عنه ملابسه ويغطس في حوض ماء، ثم يسحب ليقف وسط مجموعة من الرجال يضربونه بالعصي بكل قوتهم. وكانت الاوامر تقضي بأن لايترك حتى يتحول الماء على جسده الى دم قاني. فأي وحشية هذه!؟

وعلى كل حال، فإن يد القدرة الالهية التي تركت هؤلاء الرجال الرائعين في هذه المحنة أمست على وشك الأخذ بأيديهم. فقد عاشوا حتى شملتهم العناية الالهية، وذلك بتكحيل عيونهم بالنظر الى جمال حضرة بهاء الله.

وبسبب منام رأته زوجة الحاكم، تدبرت اطلاق سراحهم. اذ تقدمت من زوجها تطلب اطلاق سراح هؤلاء الضحايا الأبرياء، الا ان تدخلها فشل ولم يثمر. بل وبخت من زوجها للطفها وشفقتها. فلم يخيفها سوء تصرف زوجها وقررت العمل بسرية لتنفيذ خطتها. وبدعم وتدبير ورغبات بعض الاشخاص الموثوق بهم نفذت خطتها بغاية السرية. وفي ذات ليلة ترك باب السجن مفتوحا وحمل جسدي الحاج محمد تقي وأقا سيد جعفر ووضعا على ظهر حمارين وسلما الى صاحب قافلة مع أوامر واضحة بحملهما بغاية السرعة الى قرية هرات البعيدة عن متناول يد حاكم نيريز الظالم.

في النهاية، وصل هذين الجسدين المتهالكين الى هرات. وكان منظرهما مثيرا للحزن، أيقظ احساس وعطف رئيس القرية، فاستقبلهما بمعاملة حسنة جدا. وبقيا هناك عدة أشهر حتى شفيت جروحهما الرهيبة. بعدها سافرا الى يزد. وعندما علم الاحباء بنفي حضرة بهاء الله الى العراق، مشى الحاج محمد تقي على قدميه الى بغداد مسافة ألف وخمسمائة كيلومتر ليتشرف بحضرة بهاء الله ويتلقى بركاته. فأنزل له لوح الصبر الشهير بإسمه.

ثم لحقه الحاج سيد جعفر، ولم تكل او تفشل قدماه التي لاقت كل ذلك العذاب في حمله تلك المسافة الطويلة، للدخول في محضر مولاه ونيل البركات.

الملا رضا

قصة حياة الملا رضا قصة جميلة مشوقة. فهو من عائلة معروفة. تعلم في مدرسة دينية. وسخر حياته للتبليغ منذ اعتناقه الأمر المبارك الى آخر لحظة في حياته داخل سجن طهران. ويعتبر بطلا عظيما بحق، ايده الله في أيام الأمر الاولى لتبليغ واعلاء رسالته، وأنعم عليه بسيف قوة المنطق الذي شق به ستائر الجهل والخرافات. ونتيجة لأعماله التبليغية العلنية الجسورة عرض نفسه دائما للمخاطر وللآلام والمعاناة الشديدة. ولم يمر يوم عليه من دون ان يشرب من كأس المحن والبلايا وهو بغاية السعادة والرضا. ويقال عنه بصورة مؤكدة - من قبل الاحباء - انه عندما أدين في يزد بتهمة النشاط البهائي، أمر الحاكم بضربه فلقة أمام عامة الناس سبع مرات في سبعة تقاطعات لعدة شوارع في يوم واحد، وذلك ردعا للمواطنين عن الايمان بالدين الجديد. كان الملا رضا يخلع عباءته وعمامته وجوربه ويضعهم على منديل يفرشه على الارض في كل مكان يوقف به. وبعد استلقاءه ووضع قدميه في عقدة حبل الفلقة، يغطي وجهه بطرف عباءته ويشير الى الجلاد بالشروع في عمله. لم ينطق خلال كل تلك الجولات بكلمة تذمر واحدة ولم يبد أية حركة تدل على تألمه. ذات مرة، وأمام هدوءه غير العادي في تحمل كل تلك الجلدات الوحشية، اعتقد المشاهدون انه قد مات. وعندما كشف الغطاء عن وجهه، وجدوه منشغلا بتنظيف أسنانه بكل هدوء!

يقول سيد أسد الله - وهو من ضمن الاحباء الذين اعتقلوا مع الملا رضا - كنا نتوسل اليه ونطالبه مرات وكرات بالاعتدال والتحفظ في كلامه وطريقة تبليغه، الا ان طلبنا لم يجد معه نفعا، بل ظل متحمسا للتبليغ، ولم يغير طريقته. وبما ان الوضع كان يزداد سوءا يوما بعد يوم والخطر يزداد أمامنا والخوف يدفعنا للاعتقاد بوقوع مشكلة كبيرة من جراء تصرفاته، تجلب الأسى والمعاناة للجميع. قررنا اتخاذ عمل احترازي، فذهبنا الى السجان المسؤول وطلبنا منه ان يأمر الملا رضا بعدم تبليغ الأمر المبارك علنا، آملين تأثير كلمات السجان في تحقيق ذلك. ولكن، ومع الأسف، أدركنا ان ليس هناك قوة في الارض تستطيع ان تثني هذا الرجل العجوز عن ارادته وتحديه في نشر امر الله. ولا كل تلك الالام المبرحة والمعاناة التي وقع فيها. لذا، فعندما رفض الانصياع لأمر السجان، أمر الاخير بانزال عقوبة بغاية القسوة عليه، فأخذوه الى باحة السجن بكل وحشية. ورغم كبر سنه وتأثير حياة السجن الرديئة عليه، وقف راسخا ثابتا مثل صخرة صلبة وقت التنفيذ، ولم يتحرك او ينبس ببنت شفة او حتى تبدو عليه

علامات الألم، وبدا وكأنه فاقدا للإحساس، وصدم جميع الاحباء واهتزوا لمنظر عقابه. عند انتهاء عملية الجلد، أسرعت اليه أواسيه وأداوي جروحه. فإستغرب الملا رضا من تصرفي وصرخ بصوت عال: ياسيد أسد الله.. هل تعتقد حقيقة إنني تألمت؟ انني في ساعة التنفيذ شعرت وكأنني فيل ثمل، ولم أشعر بأدنى ألم. لقد كنت في محضر حضرة بهاء الله أتكلم معه ساعتها.

كان من بين السجناء الاغيار الذين شهدوا عملية الجلد المرعب، رجل يدعى غلام رضا خان. بعدما شاهد صلابة وثبات الملا رضا غير العاديتين، تحركت فيه رغبة البحث والتقصي عن الأمر المبارك. وتوج بحثه بالايمان في النهاية. وعندما أطلق سراحه، سأل كيف أصبحت بهائيا، فقال: لقد حصلت على نور ايماني من الجلد! فلو أنزلت أمامي مئات الآيات القرانية وألوف البراهين لإقناعي بحقيقة الأمر. ما كانت لتجدي معي نفعا كما فعل هدوء ذلك العجوز قوي القلب وهو تحت وطأة العذاب...

اخيرا.. بقي الملا رضا داخل زنزانة السجن حتى توفي نتيجة اصراره على التبليغ العلني..

الحاج سيد جواد كربلائي

الحاج سيد جواد كربلائي، من أتباع حضرة بهاء الله المشهورين ومن أوائل المؤمنين بالظهور البابي في العراق، قدم خدمات جليلة لاتنسى للأمر المبارك. كان واحدا من تلاميذ السيد كاظم الرشتي المشهورين، وقابل في شبابه الشيخ الشهير احمد الاحسائي مؤسس الفرقة الشيخية الاسلامية. كان معروفا بعلمه وحكمته وتقواه وعدله، متحفظا في كلامه دمث الاخلاق كريم الطبع، كسب ثقة الناس وودهم. عرف حضرة الباب منذ أيام صبا حضرته قبل سنوات من اعلان دعوته، واعجب باخلاقه العالية البادية عليه بشكل واضح. بعدها بعدة سنوات، ذهب سيد جواد الى بوشهر وعاش حوالي ستة شهور في نفس البناية التي كان حضرة الباب وخاله يمارسان عملهما داخلها. هناك انجذب له ودخل محضره عدة مرات. ولكن، لم يخطر في باله ابدا ان يكون المهدي المنتظر من غير رجال الدين او من غير المتعلمين.

وفي حديث له مع الميرزا ابو الفضل العالم البهائي الشهير، ذكر الحاج جواد كربلائي، الظروف المثيرة التي قادته للايمان بحضرة الباب في كربلاء، قال:

في سنة 1844م عاد الملا علي البسطامي من شيراز الى كربلاء ينقل معه اخبار ظهور حضرة الباب ودخوله محضره المبارك مع عدد اخر من الاشخاص. فأثارت هذه الاخبار - التي انتشرت بسرعة - ضجة كبيرة بين رجال الدين الذين يثقون بالملا علي وبمقامه وحياته الشريفة. الا ان الملا علي لم يذكر غير صفة حضرة الباب فقط، ورفض الكشف عن شخصيته، واعتاد القول: ان حضرة الباب قد ظهر وتشرف بعضنا بمحضره، الا ان حضرته منعنا في الوقت الحاضر من ذكر اسمه او الكشف عن شخصه او اسم عائلته. وعلى كل حال، فقريبا ستنتشر دعوته وسيكشف عن اسمه.

احدثت هذه الاخبار شعورا جميلا بين الناس في العراق، وكان ظهور حضرة الباب، هو الموضوع المتداول بين الجميع. وحاول الكل التنبؤ بشخصيته، لكن، لم يتوقع احد ابدا ان الميرزا علي محمد هو حضرة الباب. ولم يخطر هذا الاحتمال على بال أي فرد، لأنه كان شابا وتاجرا، واعتقد الجميع وبدون استثناء ان حضرته (باب حكمة الله) سيظهر من بين المتعلمين وليس من بين التجار او أصحاب الحرف. واعتقد اتباع الشيخية - على وجه الخصوص - انه لابد ان يكون من بين تلامذة السيد كاظم الممتازين.

يقول الحاج سيد جواد: ذات يوم، دعوت الملا علي الى بيتي... وتكلمنا عن هذه الاحداث الجميلة، ورغم كل علاقة الحب القوية والصداقة التي تربطنا، لم أستطع استخلاص اية اشارة منه لمعرفة شخصية حضرة الباب. وعندما يأست، أمسكت يده

بقوة ممازحا ودفعته نحو الجدار وطالبته بالكشف عن شخصية ذلك الرجل الجليل. الا انه ذكر بهدوء، انه ممنوع من ذلك. وبينما نحن كذلك، اشار الملا علي سهوا ان حضرته طلب منه جمع كل رسائله التي كتبها سابقا الى سكان كربلاء وارسالها الى شيراز. وحالا، برزت صورة ميرزا علي محمد في ذهني، ورغم ان الفكرة غريبة، الا انني تساءلت هل يكون هو. لذلك اسرعت الى غرفتي وبحثت عن بعض رسائله التي ارسلها لي سابقا. وحالما وقع نظر الملا علي على صورة ختم حضرة الباب، انفجر باكيا. فإنتابني شعور غريب، وبكيت معه. ووسط بكائه، راح يطالبني ويرجوني، ويقول: انني لم اذكر اسمه. رجائي ان تبقي ذلك سرا.

لم يمض وقت طويل حتى كشف حضرة الباب عن مقامه في مدينة مكة، وانتشرت الاخبار بسرعة بين مسلمي العالم.

بعد هذه المقابلة سافر الحاج سيد جواد الى شيراز، ودخل محضر الباب كمؤمن، وكرس حياته لخدمة الأمر في كربلاء لاحقا. كما حدث ان تشرف بمقابلة حضرة بهاء الله في كربلاء لأول مرة سنة 1851م، وأدرك على الفور عظمته. الا انه لم يستطع معرفة مقدار بهاءه الا في وقت لاحق.

وهذا وصف كتبه بقلمه عن اول لقاء له مع حضرة بهاء الله: كنت في كربلاء عندما وصلتني اخبار وصول حضرته اليها. وكان أول شخص نقل هذا الخبر لي، هو الحاج سيد محمد اصفهاني (عدو الديانة البهائية اللدود لاحقا). وقبل تشرفي بمحضره توقعته شابا من سلالة النبلاء يخلو من المعرفة او الحكمة لأنه ابن وزير. فذهبت لمقابلته مع بعض الاصدقاء. وكما هي العادة، لم يدخل اصدقائي الى البيت قبلي احتراما لكبر سني ومقامي بينهم، فدخلت أولا واحتللت مقعد الشرف في الاجتماع. بعد تبادل التحية مع حضرته، التفت الى الحاضرين وسألهم عن المواضيع التي يتباحثها عادة تلاميذ السيد عند اجتماعاتهم. وهل يتناقشون، كما هو الحال بين الرجال؟ وماذا سيفعلون لو أظهر الله نفسه، وطوى كل علماء الدين والفلاسفة، ووضع نظاما جديدا من التعاليم وفتح صفحة جديدة من العلوم الالهية؟ فماذا سيكون موقفهم؟

تكلم حضرته بهذا الخصوص لبعض الوقت، ولم يمض وقت طويل حتى أدركنا نحن الموسومين برجال العلم والمعرفة، اننا نعيش في أعماق الجهل. بينما يقف هو، الذي نعتبره شابا فقط وابن وزير على أعلى قمم العلم والمعرفة والحكمة.

بعد هذه المقابلة، رحت أجلس عند قدميه بغاية التواضع ولا أتكلم أبدا واستمع اليه باهتمام كبير للاستفادة من علمه ومعرفته كلما دخلت محضره. فأزعج تصرفي هذا، الحاج سيد محمد. وذات مرة زجرني بقوله: لنفترض اننا جميعا موافقون ان جناب البها من نفس مستوانا. فلماذا تجلس انت صامتا وتظهر له كل هذا الخضوع والتواضع؟

طلبت من صديقي ان لا يغضب مني وقلت له: لا يمكنني تحديد مقام له او اعتباره كفرد مثلنا (لا سمح الله). فأنا اعتبره شخصا فريدا ليس كمثله آخر.

عاد حضرة بهاء الله في اوائل سنة 1852م من كربلاء الى موطنه في ايران، وسجن بعدها بعدة شهور في سجن سياه جال في طهران. وعندما اطلق سراحه من السجن ونفي الى العراق بعد عدة شهور، كان الحاج سيد جواد يسكن في كربلاء. وخلال اقامة حضرة بهاء الله في العراق لحوالي عشر سنوات، كان السيد جواد مؤمنا مخلصا أدرك بحق مقام حضرته قبل اعلان دعوته. وعندما نفي حضرته من استنبول، سافر الحاج جواد الى مختلف انحاء ايران لخدمة الأمر المبارك باخلاص كبير. وبقي مخلصا مؤمنا ثابتا حتى وفاته في مدينة كرمان سنة 1882م.

الحـقـــد

آمن بالامر المبارك سنة 1871-1872م، رجل دين محترم اسمه الملا نصير من قرية تلخوجيا القريبة من اصفهان. ونتيجة لحماسته الكبيرة، نجح بتبليغ بعض أهل قريته وجذبهم الى الدين الجديد. فانتشرت اخبار ايمانه بين الناس وقاموا عليه، مما دفعه لهجر قريته والابتعاد عنها. فذهب الى اصفهان لبعض الوقت. وهناك، نجح بتبليغ عدد آخر من الناس وضمهم الى ظل الأمر المبارك. بوصول هذه الانباء الى المجتهد العنيف عدو الأمر اللدود الشيخ محمد باقر الملقب بالذئب، اصدر على الفور فتوى باعدامه.

في هذا الوقت كان الملا نصير يعمل أجيرا بسيطا في حمام عمومي داخل المدينة، فارتدى زي أهل المدينة وخلع عنه ملابس رجال الدين. ورغم البحث والتحري عنه وملاحقته، نجح في الخروج من اصفهان والعودة الى قريته، وراح يتردد بين مدن اصفهان وشيراز وطهران ساعيا وراء لقمة العيش. الا انه اعتقل وهو في قريته وارسل مخفورا الى اصفهان ليرمى في السجن مكبلا بالاغلال. وهناك، استدعاه الامير مسعود ميرزا (ظل السلطان) الى مكتبه وطالبه بالارتداد عن دينه، وعندما رفض، أصدر أمرا باعدامه، ونفذ في سنة 1877م.

حصل الاعدام في ساحة عامة كبيرة تدعى (ميدان الشاه)، فاجتمع عدد كبير من الناس للتفرج. وفي ساحة الاعدام كرر الشهيد ممانعته الانكار مقابل اطلاق سراحه، فما كان من الجلاد الا ان قام بعمله وقطع رأسه. عندها أمر الشيخ محمد باقر بتعليق جسده بالمقلوب على عمود عال فوق منصة الاعدام ليراه الجميع. ويبدو ان الحبل لم يتحمل ثقله فانقطع وسقط جسد الشهيد من علوه على الارض. لم تمنع هذه الحادثة الشيخ من تكرار الأمر، وكرر أمره بتعليق الجسد ثانية، وأعلن بصوت عال للحاضرين، ان من يرمي الضحية بحجر سيحجز له مكانا في الجنة بالتأكيد. فهرعت الجموع المجنونة للتنفيذ، وشوهد الرجال والنساء لمدة يومين وهم يقطعون مسافات طويلة في كل اتجاه بحثا عن الاحجار لتنفيذ مهمتهم، حتى يفوزوا بمقاعدهم المرجوة حسب وعد الشيخ. ولم يمنع هذا العمل الشاق حتى النساء الحوامل من المشاركة في هذه الجريمة المخزية، وشوهدن ببطونهن المنتفخة البارزة وهن يحملن مختلف انواع الاحجار للمساهمة في رجم جسد الشهيد.

استمر هذا العمل البربري لمدة يومين كاملين. ومن الصعب تصور شكل جسد الملا نصير بعد رجمه بكل تلك الكميات الهائلة من الاحجار. وعندما تركت جثته في الليل، أقدم بعض المهووسين الأشرار على اقتلاع عينيها وقطع اصابعها وجدع أنفها وشفاهها وأذنيها.

في صباح اليوم الثالث، وصل الشيخ محمد باقر الى المكان، فأمر وهو غير مكتف بكل ما جرى من أفعال وحشية دنيئة، بطرح الجسد على الارض ودهسه بحوافر حصان. فنفذ الأمر وراح الحصان يمر عليه ذهابا وايابا حتى تهشمت كل قطعة عظام فيه. وزيادة في أعماله الوحشية، أمر بايقاد نار ورمي ما تبقى من لحم مهروس وعظام مسحوقة داخلها. وفي النهاية، جمعوا ما تركته النيران وصعب عليها التهامه، ورموها في بئر قديمة متروكة.

هكذا كان شهداء الأمر الأبطال يستقبلون المخاطر والبلايا من أجل ايمانهم بحضرة بهاء الله ودينه المبارك.

<u>ملاحظة:</u>

ترجمت جميع القصص الواردة في هذا الكتيب عن كتاب ظهور حضرة بهاء الله لجناب أديب طاهر زاده بأجزاءه الأربعة. أما عناوينها فوضعت بتصرف المترجم.

سيفي سيفي النعيمي